الفيصل

- شبلي تلحمي: الثورة الإعــلامية أعلت من حقوق الفرد
- ترولهتـان السويدية: قبعـــة المــارد
- الطربوش.. وجاهة اجتماعية ومعركة هوية
- الحرات في السعودية عمرها ٣٥ مليون سنة

مجلة ثقافية شهرية -المحرم-صفر ١٤٣٤هـ/ ديسمبر ٢٠١٢-يناير ٢٠١٣م

٤٣٩
٤٤٠

الحاج ناصر الدين دينيه..
حضور عالمي وإنساني


طالعوا موقع «الفيصل» الإلكتروني
www.alfaisal-mag.com

العددان ٤٣٩-٤٤٠ / محرم/صفر ١٤٣٤هـ

المحتويات





الحاج ناصر الدين دينيه..
حضور عالمي وإنساني

كان كاتباً ينفذ قلمه إلى أعماق النفس الإنسانية، وكان تشكيلياً يلتمس حياة الناس البسطاء، ويصور همومهم، فتجرد قلمه كما تجردت ريشته من ملونات الاستشراق السياحي التي كانت واضحةً في أعمال غيره من المستشرقين. إنه الفنان التشكيلي إتيان دينيه، الذي أصبح اسمه بعد إسلامه ناصر الدين دينيه، والذي عاش وأسلم ودفن في بوسعادة إلى جوار رفيق دربه إبراهيم باعامر، الذي أسلم على يديه، وكان قريباً منه ومشاركاً له في مجالات حياته الفنية والفكرية.

إدارة التحرير

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد

نائب رئيس التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

هيئة التحرير

حسين حسن حسين

محسن بن حمد الخرابة

سيد علي الجعفري

يوسف باش أعيان

الإخراج الفني

الوليد إبراهيم دينار

المراسلات للتحرير والإدارة

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١

المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٥٢٢٥٥

ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي

١٥٠ ريالاً سعوديًا للأفراد، ٢٥٠ ريالاً سعوديًا للمؤسسات، أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات

هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥، ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية

٤١/٢٤٥٠

ردمد ٠٤١١-٨٥٢٠

الناشر

دار الفيصل الثقافية

www.alfisal-mag.com

contact@alfaisal-mag.com

alfaisalmagazine@yahoo.com

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
  في حال إرسال قصة مترجمة يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض تشمل: عنوانه، واسم مؤلفه، ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات ».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
- يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
- يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
- التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
- تشكيل الشعر ما أمكن، خصوصًا القديم منه.
- ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ١٠ ريالات ـ الكويت ٨٠٠ فلس ـ الإمارات ١٠ دراهم ـ قطر ١٠ ريالات ـ البحرين دينار واحد ـ عُمان ريال واحد ـ الأردن ٧٥٠ فلساً ـ اليمن ١٠٠ ريال ـ مصر ٤ جنيهات ـ السودان ١,٥ جنيه ـ المغرب ١٠ دراهم ـ تونس ١,٢٥٠ دينار ـ الجزائر ٨٠ دينارًا ـ العراق ٨٠٠ فلس ـ سورية ٤٥ ليرة ـ ليبيا ٨٠٠ درهم ـ موريتانيا ١٠٠ أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠ شلن ـ جيبوتي ١٥٠ فرنكاً ـ لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية ـ الباكستان ٢٠ روبية ـ المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية ـ الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع ـ هاتف ٤٨٧١٤١٤(٠١) ـ فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر ـ مؤسسة توزيع الأهرام ـ شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ ـ فاكس ٣٣٩١٠٩٦ ـ ٢٠٢...، سورية ـ المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ٥٣٠١ هاتف ٨٤٢٨٢١٢ ـ فاكس ٢١٢٢٥٣٢ ـ ١١ ـ ٠٠٩٦٣، تونس ـ الشركة التونسية للصحافة ـ ٣ نهج المغرب ـ ص.ب ٧١٩ـ فاكس ٧١٤٠٠٣٢٣/ هاتف ٩٣٢٢٤٩ ـ ٧١ ـ ٠٠٢١٦، قطر ـ دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ـ ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ ـ فاكس ٤٦٦١٨٦٥ ـ ٠٠٩٧٤، الأردن ـ شركة وكالة التوزيع الأردنية ـ ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ ـ فاكس ٤٦٣٥١٥٢ ـ ٦ ـ ٠٠٩٦٢، البحرين ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ ـ فاكس ٥٣١٢٨١ ـ ٠٠٩٧٣، الإمارات العربية المتحدة ـ مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٤٩٣٥٦٦٢ ـ فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ ـ ٤ ـ ٠٠٩٧١، الكويت ـ شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ ـ فاكس ٢٤١٧٨٠٩ ـ ٠٠٩٦٥، المغرب ـ الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٣٢ ـ ٠٠٢١٢ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية ـ القائد للنشر والتوزيع هاتف: ٢٠١٩٠١/٢ ـ ٣ ـ ٠٠٩٦٧ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧

alfaisalmagazine@yahoo.com



«العلمية» في بنها

أشكر حضراتكم ومجلتكم الرائعة، لكن أراسل سيادتكم لأني أجد خللاً في توزيع مجلة الفيصل العلمية؛ فأنا أعيش في مدينة بنها، والمجلة تأتي إلى المدينة بأعداد قليلة لا تتناسب وحجم الإقبال عليها؛ فهي ليست متوافرة بكثرة مثل مجلات أخرى مماثلة؛ لذا أرجو أن تتوافر المجلة في المدينة بكثرة، وكذلك في باقي مدن مصر. وأشير إلى أن مجلة الفيصل الثقافية تصلنا بكثرة؛ لذا فأنا لا أعتقد أنه خلل في التوزيع.

إبراهيم وارث

بنها – مصر

التحرير

نأمل حلّ هذه المشكلة، وتوفير الفيصل العلمية بأعداد أكبر في الأسواق العربية المختلفة، ونشكر لك اهتمامك الكريم، والتنبيه على هذا الأمر الذي سيجد منا كلّ اهتمام.



عش هادئ

(الفيصل العلمية) رداء جميل مطرّز بالحروف والكلمات، وإزار متوّج بالأفكار والجماليات العلمية، تغرم بها أرواح فياضة بالأحاسيس والمشاعر.

(الفيصل العلمية) عش إعلامي وثقافي هادئ على شاطئ القيم النبيلة، يعبق فضاؤه بفروع العلم المختلفة، التي يتيه روّادها بحجج الإقناع فيها، وشذا الحوار في منتداها.

(الفيصل العلمية) ضوء صفحات زاخرة بطهر الكلمات والعبارات، يجد في ظلالها من أرهقه العناء والسفر والتجوال ضالته المنشودة، ويهنأ في واحتها وتحت جناحها كلّ باحث عن قيمة علمية رصينة، وينال عاشق العلم والفكر في صحبتها مبتغاه وما يتمناه؛ فتفضلوا بقبول وافر التقدير والاحترام.

د. سناء الصادق

الإسكندرية – مصر

التحرير

نشكر لك كلماتك في حق (الفيصل العلمية)، ونأمل أن تزداد تألقاً بمشاركات أمثالك من المختصين، ويسرّنا كثيراً تلقي ملاحظات القراء؛ حتى نتمكن من تفادي ما قد يكون من قصور.



رسالة تستحق

أتابع مجلة (الفيصل) منذ سنوات بعيدة، ومع أنها لا تصل إلى السودان منذ مدة إلا أنني ظللت أوصي إخواني المقيمين بالمملكة بمدّي بها كلما سنحت لهم الفرصة، وهذا ما جعلني على تماسّ مع المجلة، لكن أليس من الظلم أن نحرم قرّاء كثيرين ارتبطوا بمجلة (الفيصل)، وأصبحت لهم زاداً ثقافياً سنوات طويلة؟! لماذا لا تحلّ المجلة مشكلة التوزيع في السودان بشكل قاطع؛ حتى لا نحرم من متعة الاطلاع عليها ومتابعتها، خصوصاً أنها بالنسبة إلى أمثالنا من ذوي الدخل المحدود، وممن لا يستخدمون الوسائل الحديثة بكثافة، بمنزلة الكتاب، بل نفضّلها على الكتاب لتنوّع مادتها، واشتمالها على كثير من الموضوعات التي تقع في دائرة اهتمامنا؟.

إنني أقدّر ما قد يكون من تكاليف مادية باهظة، لكن هذا المشروع الثقافي هو عنوان للمملكة، وتعبير عن فكر رائد للتضامن الإسلامي آلى على نفسه الذود عن الثقافة العربية والإسلامية، وهو ما يجعل أيّ جهد أو مال يتضاءل أمام عظم الرسالة التي تحملها مجلتنا.

أشكر لكم سعة صدركم، وأدعو الله أن يوفقكم للوفاء بمقتضيات هذه الرسالة العظيمة لمجلتنا الغالية.

عصمت إبراهيم وهبي

الخرطوم - السودان

التحرير

نشكر لك هذا الاهتمام بمجلتك، ونقدّر ما تبذله من جهد للحصول عليها، ونعدك أنه في إطار التطوير الشامل للمجلة سيتم بحث كل المشكلات، ومحاولة إيجاد حلول ناجعة لها، وإن شاء الله ستكون مرضية لكل القراء.

موضوعات حية

أشكر لمجلة (الفيصل) حرصها على الحفاظ على رصانتها وسط هذا الكم الكبير من الإصدارات الصحفية التي تسطّح العقول، لكن نريد من مجلتنا الاهتمام بالموضوعات ذات الطبيعة المعاصرة الحية من استطلاعات وتحقيقات تواكب بعض الأحداث التي تدور حولنا.

محمد الديداموني

الرياض - السعودية

التحرير

نشكر لك متابعتك واهتمامك بالمجلة، ونقدّر لك رأيك بخصوص الموضوعات الحية، ونؤكّد أن المجلة تحرص على ذلك قدر الإمكان كلما تيسّرت لها الظروف، وتجد في هذا العدد استطلاعاً مصوّراً عن مدينة ترولهتان السويدية، نرجو أن ينال إعجابك وإعجاب القراء.



لم يحدث أن اقترن اسم بلد من البلدان بحجر كريم كما اقترن اسم اليمن بحجر العقيق اليماني، الذي جاوزت شهرته حدود جمالياته وروعته؛ ليرتبط بكثير من المعتقدات الدينية والاجتماعية والطبية للعرب والمسلمين.

العقيق اليماني: حقائق وأساطير

صادق الحميدي
صنعاء – اليمن

لا يأخذ العقيق قيمته من ندرته؛ فهو موجود بدرجة تفوق كثيراً وجود الأحجار الكريمة الأخرى، وإنما يأخذ قيمته من أنواعه وأشكاله وأحجامه وألوانه، كما يأخذ قيمته من الصور والأشكال التي تكونت بداخله؛ فهذه المعايير -إضافةً إلى منافعه وخصائصه الروحية والطبية وغيرها- هي التي تحدد ثمنه وقيمته التي يستحقها.



أماكن استخراج العقيق

يتجمع العقيق على هيئة كتل في الصخور، وعند شقّ هذه الصخور وفتحها تعكس باقةً مدهشةً من الألوان والأشكال، ويتكون من ترسّب محاليل مائية، ويُوجد في الحمم البركانية، فيملأ التجاويف التي أحدثها انبثاق الغازات في أثناء تجمد الصهارة، كما يُعثر عليه في الصخور الرسوبية، وبين الحصى. ويُوجد العقيق في أماكن كثيرة داخل اليمن، إلا أن أهم هذه الأماكن هي محافظة ذمار، فيتوزّع فيها بين مناطق آنس وعنس، وأجود الأنواع المستخرجة منها -حسب الخبير محمد ريشان- في آنس، وتحديداً في جبل ضوران، وقرية الغدم، وحمير، وجبل الشرق. أما عنس، فإنه يُوجد فيها في قريتي يعر وجوعر. وله وجود أيضاً في محافظات أبين وتعز والبيضاء. ولا تُستخدم في استخراج العقيق في هذه الأماكن الطرائق العلمية القادرة على الحفاظ عليه، وإنما الطرائق البدائية هي السائدة؛ كالكمبريشن، والتفجير بالبارود، وأداة الإزميل، وكلّ هذه الطرائق تؤثر في جودة العقيق الخام. هذا بالنسبة إلى العقيق الباطني، أما العقيق الظاهر على سطح الأرض فيتم تجميعه ببساطة، ويسمى الحجر الشمسي.

مكانة العقيق

يهتم العرب والمسلمون بالعقيق بشكل خاص دون سواه؛ فعلى الرغم من وجود جواهر أجمل وأثمن منه -كالزمرد- إلا أنهم لا ينجذبون إليها، ولا تحظى باهتمامهم، ويرجع ذلك إلى ارتباطهم بالعقيق منذ قبل الإسلام؛ فاليمنيون القدامى -كالحميريين- كانوا أول من لبس العقيق وتزيّنوا به كحلي للنساء، وخواتم للرجال؛ فقد اعتقدوا أن أحجار العقيق تجلب لهم السعادة، وأحد أسباب تملّكهم الحكم، وتمنحهم المهابة في القلوب. ولما جاء الإسلام -وهذا سرّ مكانة العقيق الكبرى عند بعض الناس- ازدادت قيمة العقيق ومكانته بين العرب والمسلمين حسياً ومعنوياً؛ حسياً لكونه يعطي لابسه مظهراً مميزاً وجاذباً، أما معنوياً فلارتباطه بالمأثورات الدينية المتداولة بين أوساط الناس الذين يلبسونه، بوصفه سنةً نبويةً يقتدون بها كأبرز اعتقاد سائد، وإن كنا لا ندري صحة سندهم، إلا أنهم يتناقلون أن النبي صلى الله عليه وسلم تختّم بالعقيق اليماني، وأنه صلى الله عليه وسلم قال: «تختّموا بالعقيق اليماني؛ فإن فيه البركة». ويقول أهل صنعاء: إن أول من



شهد لله بالوحدانية هو جبل العقيق، ويؤكدون أن خاتم الإمام علي ابن أبي طالب -رضي الله عنه- كان من العقيق الأحمر، حتى اندفع بعض الناس إلى التبرّك بالعقيق؛ استناداً إلى ما ينسبونه إلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم.

هذه أسباب رئيسة لحبّ الناس العقيق تقف إلى جانب أسباب أخرى كثيرة ذُكرت في الأساطير، ومهما يكن من مسوّغ لعشق العقيق فإنه يتفرد بمكانة خاصة في قلوب الناس؛ إذ إن كل من رأى العقيق، وتختّم بأطيبه، أحبه، وإذا صدقت مقولة ريشان: إنه اكتُشف أن حجر العقيق يبعث موجات كهرومغناطيسية تؤثر إيجاباً أو سلباً في جسم الإنسان، فإن حبّ الناس العقيق يصبح حقيقةً تسندها هذه المقولة إن كانت مثبتة علمياً.

أجود العقيق

تختلف أسعار العقيق حسب نوعيته وقيمته عند الناس، والنوع الأحمر من العقيق ما زال أثمن العقيق لجودته، يقول أرسطو: «إن أجود العقيق ما اشتدت حمرته، وضعفت صفرته»، وأجمعت معظم المصادر العربية على تفضيله على الأنواع الأخرى، ودأب الناس حتى يومنا هذا على تعريفه باليماني مع أن له وجوداً في دول أخرى؛ فالعقيق الأحمر الهندي يطلق عليه اليماني أيضاً؛ لأن أجود أنواع العقيق يمني، وهو مطلوب. وتتدرج تحت العقيق الأحمر أسماء كثيرة، سواء داخل اليمن أو خارجه، فتطلق المصادر على الأنواع الحمراء البرتقالية اسم كارنيليا (carnelian)، أما الحمراء الذهبية، والحمراء البنية، فتدعى سارد (sard)، وكان العرب يجمعون سائر الدرجات اللونية الآنفة الذكر تحت اسم (الينع)، ويعمدون بهدف التمييز بينها إلى استعارة تشبيه مناسب للون (تشبيه بالفواكه والنباتات)؛ كقولهم: رطبي، أو مصفر، أو كبدي، أو وردي، أو رماني، أو خوخي، أو كرزي، أو تمري، وهي أسماء تدخل تحت اسم العقيق الأحمر؛ فكل بلد يطلق عليه التشبيه الذي يراه مناسباً، ونقل البيروني عن أبي نصر الجوهري أنه كان يسمّي شديد الحمرة عقيقاً أحمر، والمشوب بصفرة رومياً، وما مال منه إلى الذهبية مُذهباً. وما يجدر ذكره أن الحمرة في العقيق جاءت نتيجة خلوه من الشوائب وأكسيد الحديد.

أما بالنسبة إلى الألوان الأخرى من العقيق، فيوجد العقيق المزهر، ويأتي من حيث الأهمية والثمن بعد العقيق الأحمر





العقيق لا يأخذ قيمته من ندرته، وإنما من أنواعه وأشكاله وأحجامه وألوانه والصور والأشكال التي تكونت بداخله

العقيق يوجد في أماكن كثيرة داخل اليمن، إلا أن أهمها محافظة ذمار، فيتوزع فيها بين مناطق آنس وعنس

الرماني، وقد يُطلق عليه اسم الجزع، وألوانه هي أسود مع أبيض متداخل، أو أحمر مع أبيض متداخل.

سر جاذبية العقيق

اشتهرت صنعاء بأنها مدينة الفنون المهنية؛ فقد ورثت تقنية الحِرَف عن الأجداد منذ أكثر من ألفي عام، وأكثر شهرة صنعاء كانت في حرف صياغة الفضة والأحجار الكريمة من نقش، وطرق، وتطعيم، وتفريغ، وتشكيل. وتتعدد الأحجار الكريمة في اليمن، إلا أن أشهر أنواعها العقيق اليماني؛ إذ يتمتع بخصائص فنية وجمالية عالية من حيث ألوانه المتفردة والمتباينة والجذابة، إلى جانب ما يضمه من تشكيلات ورسوم وصور متعددة، فضلاً عن الرونق والجمال اللذين يضفيهما إلى المصوغات الذهبية والفضية التي يتم تطعيمها به بعد تشكيل أحجامه النادرة على هيئة فصوص مصقولة تتميز بطابع جمالي خاصّ، وتوضع غالباً على الخواتم الفضية، أو يتم تركيب المسابح منها، أو عمل عقود ذات مظاهر لافتة، كما أنه حجر عالي الصلادة، غير قابل للخدش، يؤثر في الزجاج من دون أن يتأثر به. هذه السمات مجتمعةً وغيرها جعلت العقيق اليماني أكثر رواجاً من غيره من المنتجات والمعروضات اليدوية والحرفية الأخرى في المعارض التي شاركت فيها اليمن في عدد من دول العالم.

داعب العقيق مخيّلة الشعراء، وأثر فيهم، حتى جادت قرائحهم بجميل المعاني بعد أن صار لهم مبعث شغف وجداني، فربطوا بين جمالياته وتجليات الحب ولذة الوصال ودهشة الإشراق، حتى قال قائلهم:

إن تبدت توارت الشمس عنها
وتوارى الحسان خلف الحسانِ
فاقت الشمس والجمال بهـاءً
مثل حور تطوف خلد الجنـانِ
باغتتني بطلـــعة هي عندي
مبعث السعد كالعقيق اليماني

وقال عبدالهادي السودي:

كلّ خمــــــر على الأنام حرام
غير خمر العقيــــق اليماني



ادعاءات بأن العقيق بركة ويمنع الحسد



أساطير عقيقية

تكتنف أنواع العقيق خرافة الأسطورة السائدة المتداولة بين الناس، خصوصاً سكان صنعاء القديمة، إلا أن العقيق الأحمر الرماني المائل إلى الياقوت يتفوق كثيراً على الأنواع الأخرى بسيطرة الأساطير التي تلفّه منذ القدم؛ إذ حظي بشهرة عالية وانتشار واسع في دول الخليج العربي، وإيران، والعراق، ومصر، والجزائر، حتى دول أوربا، وغيرها، فيعدّه بعض الناس حجراً مباركاً يمنع الحسد، ويمنح البركة، كما امتلك قداسةً لدى آخرين لارتباط لونه بعقيدة دم الحسين بن علي رضي الله عنه؛ فأصحاب هذه العقيدة يرون أن البركة تنزل على من يرتديه أو يلبسه؛ لهذا يفضّل كثيرون وضع الفصوص العقيقية الحمراء على الخواتم، ويقول الأبشيهي في (المستطرف): «التختّم بالعقيق وحمله يورث الحلم والأناة وتصويب الرأي، ويسرّ النفس، ويكسب حامله وقاراً وحسن خلق».

وللعقيق الأحمر خواصّ يذكرها محسن عقيل -صاحب موسوعة الأحجار الكريمة- منها: أن التختم باللون الأحمر الأخفّ حمرةً (يشبه لون قطعة اللحم) يمنع حامله من نزيف الدم في أيّ موضع من الجسد، لاسيما النساء اللاتي تدوم فيهن حالات الطمث، وإذا استيك بالعقيق يذهب عن الأسنان صداها ويبيّضها، ويستخدمه بعض الناس علاجاً للدغ الثعابين. ولعلاجات العقيق الأحمر الأسطورية طرائق مميزة، تعمل -كما يعتقد بعض الناس- على كشف نفع العلاج من عدمه، من تلك الطرائق طريقة الدائرة المصنوعة من الجلد -كما يحكي خالد شامية، أحد أشهر صائغي صنعاء- وهي مخطوطة أثرية قديمة توجد لدى طائفة من الناس المهتمين بمثل هذه الجوانب، والدائرة موسومة برموز فلكية، وتتكون من نحو سبعين خاصية (أنواع الأمراض حتى الرزق وغير ذلك)، كلّ خاصية موكلة بمهمة معينة، وأكثر الخواصّ المشهورة في الدائرة خواصّ قوة علاج الجماع، وبعض الأمراض النفسية، وتسهيل الولادة، وتقوية القلب من الضعف، وحبس دم النزيف، وخاصية الوجاهة لمن يريد مقابلة كبار المسؤولين، وكذلك للرق (وجع العين).

ويذكر الأنطاكي في (تذكرة أولي الألباب) ما يوافق رؤية بعض الناس علاجه العين، فيقول: «من يكتحل به يأمن أوجاع العين وأمراضها... ورماده يشدّ الأسنان واللثة»، كما يفيد آلام البطن والمفاصل، وغير ذلك من الأمراض. وقبل إعلان نوع المرض للمريض يتم وضع العقيق الأحمر المزهر في قلب الدائرة المرسومة؛ حتى يضع الشخص المراد قراءة حياته أو علاجه يده على الفصّ، ويبدأ بتحريكها، فيشعر بتحرّك الفص تلقائياً؛ ليقع على نوع معين من الكتابة داخل الدائرة المرسومة في الورقة، ويترتب على ذلك قراءة حظّه، فينصرف معتقداً بحظه الذي أعلنته الدائرة، وبالطبع ليس كلّ فصّ يتم فحصه ووضعه في الدائرة، لكن تُؤخذ مجموعة نادرة من الفصوص، ويتم فحصها وإخراج فصّ واحد مميز منها، ويتم وضعه في قلب الدائرة، أو يتم وضعه في تميمة (رقعة مكتوبة)، وتعلّق على صدر المريض. وإن كانت العلاجات بهذه الطرائق قد بدأت تختفي في حقبة ما إلا أن بعض مشايخ علم الفلك عملوا على إعادة إحياء فكرة العلاج عن طريق الأحجار الكريمة، والبحث عما يناسب الشخص المراد علاجه من الأحجار المناسبة لبرجه بعد معرفة الاسم والعمر ويوم الميلاد، ثم عن طريق الأرقام الفلكية، والبحث عما يناسب المريض من الأحجار.

أما الطريقة الثانية للعلاج بالعقيق الأحمر، فهي طريقة كلامية؛ إذ يقوم المعالج بالشرح لطالب الوجهة (وجهة القبول مثلاً)؛ لكي يصبح الشخص لديه القبول والوجاهة لدى كبار المسؤولين، ولا يقوم المعالج بعمله إلا بمعرفة أسرار طالب الوجهة، ومن ثَمّ يترتّب على ذلك دخول الشخص في متاهة؛ إذ لا يمكن قراءة أسرار فصّ العقيق.

يأتي العقيق المزهر من حيث الأهمية -حسب عقيدة بعض الناس- بعد العقيق الأحمر الرماني؛ لأن أغلبه يحتوي على صور يقدسها كثيرون، ومن أنواعه: السماوي الذي يُؤخذ لدرء الحسد، واللون الأخضر الأدكن، واللبني (الأبيض)، ومن الوشب اللون الأخضر الأدكن. أما الجزع فهو مكروه لدى عامة الناس؛ لأنه حسب اعتقاد بعض الناس يأتي لهم بالأحلام الرديئة، وسوء الخلق، وتعسّر قضاء الحوائج، ويكثر من بكاء الصبي؛ فقد قال الأنطاكي في تذكرته: «الجزع يجلو وسخ الياقوت والمرجان، وذروه يقطع الدم، وإذا استيك به نقى الأسنان». وجاءت تسميته جزعاً من اعتقاد قديم راسخ لدى بعض الناس، وهو أن من يرتديه تجزع (تذهب) عنه الأرواح الشريرة، وقيل العكس: إنه يورد المشكلات،

العقيق المزهر يأتي من حيث الأهمية والثمن بعد العقيق الأحمر الرماني، ويطلق عليه اسم الجزع

الأحجار الكريمة تتعدد في اليمن، إلا أن أشهر أنواعها هو العقيق اليماني

مم يتكون العقيق؟

ينتمي العقيق إلى أحجار السلكا، ويعدّ من الفصيلة غير المتبلورة منها، وهو أسوةً بأحجار عائلية يتألف كيميائياً من ثاني أكسيد السلكون (sio2)، ويشوبه أكسيد الحديد، وأحياناً بعض النيكل، كما تكتنفه فقاعات مائية أو غازية تسمى علمياً (إندروس Enhdros) حسب المعمل الكيميائي في وزارة النفط اليمنية. والعقيق ذو ألـوان متباينة؛ لأنـه يتركّب من مجموعة أكاسيد الأمونيوم، وكربونات الحديدوز، التي تؤثر بدور كبير في عملية الصبغ اللونية الطبيعية والصلادة كذلك، ويكتسب العقيق بريقاً شمعياً شفافاً أو نصف شفاف أو معتماً. وينتسب العقيق اليماني إلى أنظمة التبلور حسب ألوانه؛ فالألوان الأحمر والمزهر والأسود والأخضر والبني تنتمي إلى نظام التبلور السداسية، وصلابته تقدّر بـ٧,٥، ووزنه النوعي يراوح بين ٢,٦٠ و٢,٦٥، ومعامل انكساره يراوح بين ١,٥٥٣ و١,٥٥٤. أما عقيق الجزع بلونيه الأخضر والأحمر، فنظام تبلوره المعين المستقيم، وصلابته ٤، ووزنه النوعي ٢,٩٥، ومعامل انكساره ١,٥٣٠. أما عقيق عين القط، فنظام تبلوره سداسي، وصلابته ٧، ووزنه النوعي ٢,٦٥، ومعامل انكساره يراوح بين ١,٥٤٤ و١,٥٥٣.



وهو فأل شر حسب فتحي القباطي؛ لذا يشتريه الناس ليُرمى في بيت عدو لخلق المشكلات له. وقيل: سُمِّي جزعاً لأنه أول شيء اكتشف في اليمن. أما اللون الأتوكسي (الأسـود)، فيعتقد فيه الزهد في الدنيا؛ لهذا ارتبط بمعتقدات بعض الطوائف. وهناك أنواع أخرى من العقيق ترتبط باعتقادات طبية ونفسية كثيرة، منها: حجر الدم، وهو حجر ملون عديم الشفافية، سُمِّي بهذا الاسم للاعتقاد السائد بحبسه الدم، أما حجر الفيروز فهو شفاف ذو أربعة ألـوان، هي: الأزرق، والأبيض، والأخضر، والرمادي، ويتميّز بجلب السعادة إلى القلب كما هو مفهوم بعض الناس، ومن الفصوص ما يُشرى للتقريب بين الزوجين.

تعدّ المسألة العلاجية ثقافةً سائدةً ومتناقلةً، بل إن معتقد طب العقيق الناجع -من الناحية النفسية لكثير من الناس- أهم من عقاقير الأطباء، ومهما يكن من أفكار اعتقادية بأحجار العقيق اليماني الكريمة فإن الضرر والنفع بيد الله وحده، إلا أن هذه الأفكار السائدة عن الأحجار صنعت لها زخماً دعائياً دفع كثيرين إلى الإقبال عليها لاقتنائها، بل الترويج لها؛ مما دفعها إلى أن تشكّل سياحةً خاصةً تميّز صنعاء القديمة.

الأشكال والصور في العقيق

عند ذكر العقيق المزهر بيّنا أنه أكثر أنواع العقيق اليماني احتواءً للصور والأشكال الطبيعية كالإنسان والحيوان، وللبيوت كصور الكعبة المشرفة، وكذلك يحتوي على الأسماء الحسنى أو لفظ الجلالة أو اسم النبي صلى الله عليه وسلم، ويُعرف بالعقيق المصوّر؛ بسبب وجود ترسبات وصور ورسوم وأسماء بداخله رسمتها يد الطبيعة بحكمة من الله، وليس للإنسان أيّ تدخل فيها. وأغرب أنواع العقيق اليماني فصّ منقوش فيه ثلاث سور قرآنية، هي: الفاتحة، والإخلاص، والكوثر، إضافةً إلى آية الكرسي حسب خالد شامية، مع أن هذا الفصّ لا يتجاوز حجمه حبة الفاصوليا، وهذا الفصّ موجود ضمن مقتنيات مكتبة الخليفة الراشد علي بن أبي طالب في العراق الشقيق، وتُوجد نماذج واضحة في أكثر من معرض دولي للعقيق المرسوم.

إن احتواء فصوص العقيق على أسماء عظيمة كأسماء الله، أو أسماء النبي صلى الله عليه وسلم، دفع كثيراً من الناس إلى التسابق

إلى اقتنائها يقيناً منهم بكرامتها وبسبب ندرتها أيضاً، وهوما أعطى العقيق المزهر دفعةً لأن يكون أكثر شهرةً نسبياً من العقيق الأحمر.

لقد نال عدد من الفصوص شهرةً، بل وُضعت في المزاد العلني ليرتفع ثمنها إلى مبالغ باهظة وخيالية، منها الفصّ الذي يحوي صورة أشبه بالصورة التي تمثّل ارتطام الطائرة الثانية في جسم أبراج مركز التجارة العالمي؛ فقد وجد الفصّ قبل أحداث سبتمبر ٢٠٠١م، وكان بعض الناس يعتقد أن الصورة لسمكة أو طائرة، ولا يعرف الحائط الذي أمامه، فصادفت الأحداث حينها ليتّضح الشبه الكبير بين صورتي الحادث وفصّ العقيق؛ ليزيد ثمن الفصّ حتى بلغ سعره قبل عشر سنوات مئة ألف دولار. ويوجد فصٌّ ثانٍ يحمل صورةً للشيخ زايد بن سلطان بملامح تقريبية تصل إلى ٨٠٪، وقد أجمع على ذلك كلّ من رأى الصورة.

وعن تشكّل الصور والأسماء في الفصوص العقيقية، يعتقد عامة الناس أن الأسماء والصور الموجودة في العقيق هي قطرات تنزل من السماء في أثناء المطر تحمل في طياتها البركة، فتضع على الصخر الأسماء المباركة؛ كأسماء الله، وآياته، وأسماء النبي صلى الله عليه وسلم، تقول الأستاذة أمة الرزاق جحاف -مدير المركز الوطني اليمني للحرف اليدوية-: «إن الصور والرسوم والأشكال في العقيق تتكون نتيجة للبرق عند هطل المطر؛ فالبرق مثله مثل فلاشات الكاميرا، يلتقط أيّ صورة ليطبعها على حجر العقيق، وهذا ما سمعناه من القدماء أصحاب الحرف الأصليين، والأكثر معرفةً بها». ويرى بعض الحرفيين أن هذه الترسبات التي تكوّن أشكالاً ورسوماً طبيعيةً وأسماء وألفاظاً ذات دلالة؛ مثل: لفظ الجلالة (الله)، و(لا إله إلا الله)، واسم (محمد)، وصورة الكعبة المشرفة، وغيرها من الأسماء والأشكال الأخرى التي لا حصر لها، تتكوّن عند هطل الأمطار على الأحجار التي ينصبّ عليها قوس قزح. أما علمياً، فيؤكد خبير العقيق محمد ريشان أن طريقة تكوين الصور ناتجة من اتحاد ثاني أكسيد السليكون مع أكسيد الحديد تحت درجة حرارة عالية في باطن الأرض، ومع مرور الأيام والسنين تتشكّل أشكال عجيبة وغريبة، منها ما هو صور معروفة (أشكال طبيعية أو إنسانية)، وما هو صور مبهمة.

ومهما يكن من تفسيرات أسطورية حول العقيق إلا أن ذلك يعود إلى عدم وجود تفسيرات علمية توضّح غرابة هذه الظاهرة.

التسمية

جاءت تسمية العقيق في اللغة من عقّ أو عاق، ومعناهما: خرج عن طوع شيء ما أو النظام المعروف، وسُمّي العقيق عقيقاً؛ لأنه عقّ عن الأحجار الكريمة من ناحية، ومن ناحية ثانية لانفراده بلونه المميز، وصلابته، وملوحته العالية.



أنواع العقيق

ذكرنا سابقاً عدداً من الأنواع التي يتعلّق بها عدد من الاعتقادات، وهناك أنواع أخرى من العقيق إلى جانبها يمكن إيرادها، وهي كثيرة، نجمل منها الآتي:

- العقيق الأصفر:

ومنه ما ذكره البيهقي في كتبه، ويوجد منه الأصفر الفاتح، والخالص، والأخير يسمونه: شرف الشمس، وينقشون عليه طلاسم يسمونها: خاتم سليمان.

- العقيق الأبيض:

وهو اللبني اللون، الذي تنسبه المصادر الحديثة إلى مجموعة الكالسيدوني، وهي التسمية التي ورد بها ذكره في الإنجيل بنسخته السريانية.

- العقيق الأزرق:

ذكره التيفاشي والبيهقي وسواهما، وهو الصنف الذي يُعرف باسم الكالسيدوني الأزرق Bluecalsidony، وهو ذو زرقة باهتة.

- العقيق الأخضر:

وقد أغفلت معظم المصادر ذكره، ولعل ذلك يعود إلى ما عُرف عن ندرته، وتصنف الأنواع باهتة الخضرة في علم الأحجار الكريمة الحديثة من الكالسيدوني الأخضر، أما الأصناف الخضراء المشرقة فتُدعى كريسوبراس، ويُعزى اللون الأخضر إلى آثار النيكل.

- العقيق اللالوني:

وهي الأصناف العديمة اللون من العقيق الذي يشبه إلى حدّ بعيد أحجار البلور Cristal، ولعل ذلك كان سبباً في إحجام العرب عن ذكرها بين أصنافه، وإن كانت تصنف حديثاً من الكالسيدوني العديم اللون.

- العقيق المتعدد الألوان:

ومنه: العقيق المتقزّح Iriscarnelian، والعقيق المريش Bricciated Agate، وتكتنف أحجاره قطع من العقيق أيضاً، والعقيق المطحلب Moss Agate، وهو أحجار مزدانة بأحجار تشبه الطحالب أو الشعب، والعقيق الريشي Plum Aqate، وبه نقط لو قطعت لبدت كهيئة الريش أو الزهور.

- حجر النمر:

وهو حجر قاتم اللون يتكون عادةً من ألوان ثلاثة: الأبيض، والأسود، والرمادي.

- حجر الشمس:

وهو شفاف يميل إلى بياض براق، ومتكور الشكل، وسُمِّي بذلك لخاصيته؛ فله بريق لامع إذا تعرض للشمس خلال النهار، ويظلّ دافئاً محتفظاً بالحرارة طوال الليل.

- حجر السجين:

يميل إلى اللون الأبيض، وهو مكوّر صغير ذو بريق لامع يستخدم كخرز للحلي منذ القدم.

- حجر أظافر الشيطان:

وهو تشبيه قديم، وهو مكوّر الشكل، تظهر على سطحه عروق من الحجر نفسه تشبه النجوم، ولونه يميل إلى الرمادي.

هذه نبذة مقتضبة من العقيق اليماني الحافل بالأسرار الربانية، التي حملته هالة من الأسطورة الدينية؛ ليصبح مبعثاً للدهشة والتساؤل؛ ليبقى جمال العقيق الآسر للألباب مبعث يقين بجماله الأبدي؛ ذلك الجمال الذي يحفل بكنوز من الروعة تفوق كل الأساطير والأحاجي الأخرى، إلا أن بعض الحرفيين -كفتحي القباطي- يخشون من تعرّض العقيق اليماني للتزييف والتزوير من قبل الصين والهند؛ فقد دخلت من هذه الدول إلى أسواقنا أنواع كثيرة من العقيق بشكل غير قانوني، وهو ما قد يضرّ بسمعة العقيق اليماني، خصوصاً أن الزبون أعمى لا يجيد التمييز بين اليماني والمقلد، وعلى الجهات المعنية الانتباه إلى مثل هذا الأمر، وما قد يترتب عليه من إضرار بسياحة العقيق الاقتصادية.

العقيق يتجمع على هيئة كتل في الصخور، وعند شق هذه الصخور وفتحها تعكس باقةً مدهشةً من الألوان والأشكال

سبق نشر موضوع عن العقيق اليماني بعنوان: (العقيق اليماني: فصوص السلا والبهجة)، للكاتب علي المقري، في العدد ٢٧٢- صفر ١٤٢٠هـ/ مايو- يونيو ١٩٩٩م. كما نُشر تعقيب عليه بعنوان: (العقيق اليماني واختلاف المسميات)، للكاتب حمودي عدنان، في العدد ٢٩٧- ربيع الأول ١٤٢٢هـ/ مايو- يونيو ٢٠٠١م.



قضية

لم تكتمل يوماً ما وجاهة الوجهاء من دون ارتدائه، ولا كانت الهوية محقّقةً باديةً من دون إشهاره، لكن شتان ما بين ما كان وما هو كائن اليوم. إنها معركة الطربوش، معركة الوجاهة والهوية الحاضرة في سيرة الذاكرة الشعبية والتراثية العربية.

الطربوش.. وجاهة اجتماعية ومعركة هوية

ناصر أحمد سنه

القليوبية – مصر

اهتم الرجل العربي منذ القدم بألبسة الرأس؛ لأنها تتوج رأسه، وتظهره بمظهر لائق أمام الناس، ونادراً ما كان يظهر حاسر الرأس؛ لأن ذلك يعد أمراً معيباً ومخالفاً للمألوف. وقد يتأخر أحدهم عن الذهاب إلى عمله صباحاً لأنه يفتقد غطاء رأسه ولا يجده، وحتى عند تشييع جثمانه يحمل معه غطاء رأسه الدالّ على مكانته الاجتماعية والعلمية.

لكن منذ النصف الثاني من القرن العشرين تغيّرت أحوال، واستبدلت أمور كانت متأصلة عربياً، فطال التغيّر والتبدل ألبسة الرأس مثل غيرها من الأزياء، سواء عند النساء أو الرجال، وإن كان تطور لباس رأس الرجال أسرع وأكثر تنوعاً وتبايناً وإتقاناً. ومن ألبسة الرأس الرجالية التي اشتُهرت في الماضي: القاووق، والقلبقط، والعُرف، والطبزة، والتاج، واللبادة، وهي ألبسة انقرضت منذ سنين، وانقرضت صناعتها، ولم يبقَ منها شيء يُذكر بعد أن كان لكلّ واحد منها دلالة على مكانة صاحبه ووظيفته الاجتماعية، غير أن سيد هذه الألبسة كان الطربوش.

المجتمع السوري عرف الطربوش منذ أكثر من مئة عام.. وفرمان السلطان العثماني محمود الثاني سبب انتشاره

في المعجم الوجيز: «الطربوش: غطاء للرأس من نسيج صفيق كالصوف ونحوه، وقد تُلفّ عليه العمامة، ويُجمع على: طرابيش». ولعلّ أصل كلمة (طربوش) يعود إلى الكلمة الفارسية (سربوش)، وتعني (زينة رأس الأمير). واستخدمت بالمعنى نفسه في تركيا العثمانية؛ إذ كان (التربوش) زياً رسمياً للعثمانيين. ثم حُرّفت الكلمة إلى (شربوش)، فأصبح شبه عمامة تُلفّ حول طاقية حمراء من الجوخ، سطحها يراوح بين ١٠سم و١٤سم، وتعلّق في وسطها شرابة غليظة زرقاء أو سوداء تتدلّى حتى العنق، ومع مرور الوقت تحولت الكلمة إلى (طربوش).

ثم حلّ محلّ الطربوش الكبير الطربوش النمساوي تشبّهاً بالأجانب، وأطلق عليه اسم (فيز FEZ)؛ نسبةً إلى مكان صناعته، وهي فيينا عاصمة النمسا. وكان شكله أسطوانياً، ولونه أحمر أو أبيض. ثم تحوّل الاسم إلى فاس، وزعموا أنه يدلّ على مدينة فاس المغربية؛ كي يموّه على العرب منشؤه الأصلي، ويرضي المشاعر بأنهم لا يستعملون بضائع الأوربيين. وترى مصادر أخرى أن أصل الكلمة يرتبط باللفظة الفرنسية Tiare: رأس الملوك والبابوات.

مهما يكن من أمر فبعد أن كان الطربوش ملء السمع والبصر، وعم انتشاره ربوع مصر والشام، وقعدت الحوانيت والورش عن الوفاء بكل طلباته فتمّ استيراده، تكاد تختفي اليوم

ورش إنتاجه بمصر، وتنقرض اليوم صناعته، وينتهي ارتداؤه، إلا من حوانيت معدودة باتت مزاراً للسائحين وغيرهم؛ لتعرّف الحرف العريقة والأصيلة؛ منها: محلّ ورشة الحاج أحمد الطرابيشي الموجود في حيّ الغورية بالقاهرة، ذلك المحلّ الذي يرجع إنشاؤه إلى قرابة قرنين من الزمان، وقد واكب إنشاؤه دخول الطرابيش مصر، ومن عراقته أن ارتدى ملوك، منهم: الملك فاروق، والملك الحسن الثاني ملك المغرب، وشيوخ من الأزهر الشريف، من إنتاجه يوماً ما. لكنه اليوم يعاني الخسارة؛ بسبب عدم وجود مستهلك لسلعة يحرصون على تقديمها؛ تنفيذاً لوصية بالمحافظة على صناعة الطرابيش.

لكن لا تزال صناعة الطرابيش موجودةً في بلاد المغرب العربي، خصوصاً في تونس. وينحصر استخدامه حالياً عند رجال الدين الذين يضعون العمامة البيضاء أو الملونة السادة أو المنقوشة حول الطربوش.

تاريخ عريق

في أيام الإمبراطورية العثمانية تم اعتمار العمامة الحريرية، وكانت تُغرز فيها بعض الأحيان الريشة المستعملة للكتابة أو للتوقيع على الوثائق المهمة. وفي عهد السلطان عبدالحميد الثاني شاع استعمال الطربوش بين أفراد الشعب، خصوصاً الوجهاء من كبار القوم، وأصبح ارتداء الطربوش موضةً دارجةً يتفنّن فيها الصناع، ويتفاخر بها الشباب والفتيات، إضافةً إلى الشيوخ والعلماء؛ إذ يضع العلماء عمامة بيضاء ملفوفة على الطربوش، وما زال كثير من الشيوخ والعلماء يرتدونه إلى يومنا هذا، ويعود إليهم الفضل بعدم انقراضه نهائياً.

ولعل بدايات دخول الطربوش إلى مصر تعود إلى تاريخ وصول محمد علي إلى مصر، وتولّيه الحكم عام ١٨٠٥م. وتغيّر شكل الطربوش على عهد الوالي سعيد، ثم الخديوي إسماعيل، والملك فاروق؛ ففي عهد الخديوي عباس الأول تحوّل إلى زي رسمي يحرص الباشوات والأفنديات -على حدٍّ سواء- على ارتدائه. وفي ذلك الأوان كان الرجل إما مطربشاً، وإما معمّماً، وهم الذين يلتزمون الزي الأزهري، أو يرتدون الطاقية كأهل الريف، أو العمامة في الصعيد. وجاءت ثورة ١٩٥٢م، فألغى الرئيس جمال عبدالناصر ارتداء الطربوش بعد أن كان إلزامياً على الموظفين وطلاب المدارس والجامعات والعسكر.



الزعيم سعد زغلول

وضع الطربوش على الرأس يشير إلى المزاج النفسي، أو أهمية الطرف المقابل، أو نوعية القضايا التي يجري بحثها

أما في سورية، فبدأ زوال الطرابيش الحمراء نسبياً من شوارع مدنها مع المرسوم الجمهوري الذي أصدره الرئيس حسني الزعيم عام ١٩٤٩م، الذي بموجبه منع الموظفين والمستخدمين لدى الحكومة من ارتدائه، ثم ألحقه بمرسوم طريف آخر منع بموجبه السير في الشوارع بلباس (البيجاما)، متأثراً بمراسيم كمال أتاتورك في تركيا آنذاك. وبعد نهاية حكم الزعيم الذي استمر ١٣٠ يوماً فقط ألغى الرئيس الأسبق هاشم الأتاسي مرسوم الطرابيش

والبيجاما، لكن الانقلاب التالي بزعامة أديب الشيشكلي أعاد العمل بمرسوم البيجاما، ونسي مرسوم الطربوش.

وكان الطربوش من لوازم زي النمساويين في أوربا؛ لذا عكفت مصر والشام على استيراده من الخارج، خصوصاً من النمسا. ولم يحلُ هذا الأمر كثيراً للوالي محمد علي باشا، فأمر -في إطار برامجه لإدخال الصناعة الحديثة إلى مصر- بإنشاء مصنع للطرابيش في مدينة فوه بمحافظة كفر الشيخ شمال



الملك فاروق

مصر، الكائن إلى الآن ببوابته الشهيرة، وبذلك استغنت مصر بهذا المصنع عن الاستيراد. إلا أنه عندما هيمن الغرب على دولة محمد علي باتفاقية ١٨٤٠م حرص على تفكيك مصانعه، بما في ذلك مصنع الطرابيش في فوه، وبذلك عادت مصر إلى استيراد الطربوش من الخارج مرةً أخرى. واستمرت الأمور على هذه الشاكلة طوال قرن من الزمان تقريباً، حتى تم إنشاء مصنع العباسية للطرابيش.

علي أي حال، حرص علية القوم والوجهاء في مصر على ارتداء الطربوش، وكان بعض الزعماء يفاخرون باعتماده، وضمّت خزائن بعض العائلات الكبيرة عدداً كبيراً من الطرابيش. وفي بداياته، بدا الطربوش في شكل أسطواني أحمر اللون، ومبطّن بالقش، وله ذؤابة؛ أي: شرابة أو زرّ -كما يطلق عليها العامة- من خيوط حريرية سوداء، إلا أنه مع مرور الوقت تغيّر شكل الطربوش، وأخذ الشكل المخروطي، وعُرف بـ(الطربوش الأفندي). أما العامة، فقد بقوا زمناً يلبسون نوعاً آخر من الطرابيش، هو الطربوش المغربي، وكان يشبه العمامة التي تُلفّ حول طاقية حمراء من الجوخ مسطحة إلى أعلى بطول يراوح بين ١٠ و١٢سم، وتُطوى بشكل مثلثي، وتظهر هي وثنياتها من أعلى الرأس، كما تنطلق من وسطه طرة أو شرابة غليظة زرقاء تتدلّى حتى العنق.

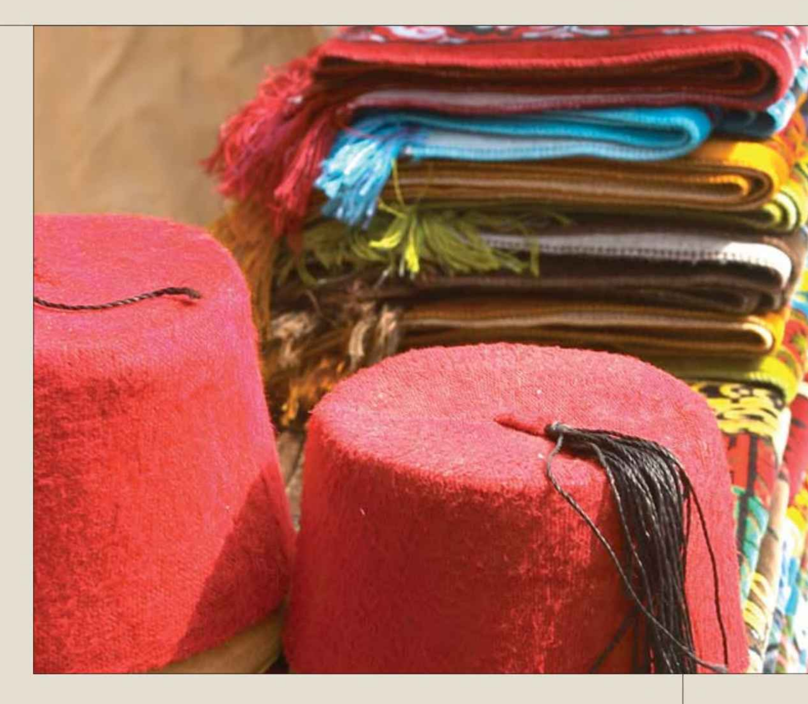
عرف المجتمع السوري الطربوش منذ أكثر من مئة عام، وكان العامل الأساسي في انتشاره وشيوعه هو الفرمان الشاهاني الذي أصدره السلطان العثماني محمود الثاني، الذي اهتم بلباس رجال دولته ورعيته، وحدد في هذا الفرمان طول الشارب واللحية، وطراز الجبة، وعرض أكمامها، وأوجب لبس الطربوش كلباس للرأس مُعترف به رسمياً، بل كان أول من لبس الطربوش من سلاطين الدولة العثمانية.

وكان نوع الطربوش دالاً على الانتماء الجغرافي، والمستوى الاجتماعي؛ فطربوش نابلس يختلف عن طربوش الشام؛ فالأول أكثر دكنةً، وأطول، إضافةً إلى أن نهايته أدق. أما الطربوش الشامي، فأقصر من حيث الارتفاع، وأكثر توهجاً؛ إذ يبدو كالبطيخة الناضجة.

معركة الطربوش والقبعة

إبّان حقبة الحكم العثماني لعدد من الدول العربية انتشرت عادة وضع الطربوش الأحمر على رؤوس الرجال، وظهر الطربوش الأحمر أول مرة في منطقة المغرب العربي، وحلّ محل العمامة والحطة والعقال. لكن كمال أتاتورك أصدر أمراً عام ١٩٢٦م، عُرف بقانون القيافة، يمنع استعمال الطربوش الأحمر؛ لتحلّ محله القبعات الغربية. وظلّ الطربوش مستخدماً في أقطار عربية لم يكن لذلك القانون مفعول فيها؛ مثل: مصر، وبلاد الشام، والمغرب العربي، وبقي عند كبار السن في سورية حتى أواخر الستينيات.

وعلى خلفية معركة أخرى أعم وأشمل بحثاً عن هوية مصر:



أصل كلمة «طربوش» هو الكلمة الفارسية «سربوش»، وتعني «زينة رأس الأمير»، وقيل: الكلمة الفرنسية Tiare، وتعني رأس الملوك والبابوات

هل أهي فرعونية، أم عربية إسلامية، أم أنها تنتسب إلى دول حوض البحر الأبيض المتوسط؟ اشتعلت خلال العقد الرابع من القرن العشرين معركة ثقافية حول الطربوش بعد أن اكتسب في مناخ مناهضة الاحتلال دلالةً قوميةً خاصةً، بوصفه رمزاً وطنياً في مواجهة قبعة الأوربيين المحتلين ومن يرتضيها من (المتغرّبين) المصريين، بينما كان يراه بعض المفكرين والمثقفين؛ أمثال: الأديب سلامة موسى، ومحمود عزمي العائد من أوربا، رمزاً لتبعية مصر للدولة العثمانية.

وأصبح للطربوش تيار سياسي له هيبة وأنصار في الشارع المصري؛ ففي هذه الحقبة ظهر سياسي شاب، هو أحمد حسين (١٩١١- ١٩٨٢م)، أنشأ (جماعة الشباب الحر)، التي تحوّلت فيما بعد إلى (جمعية مصر الفتاة)، وكان شعارها (الله، الوطن، الملك)، وغايتها أن تصبح (مصر فوق الجميع).

دعت جمعية مصر الفتاة في هذه الآونة إلى مقاطعة السلع الأجنبية، واستقلال مصر الاقتصادي، وقام مؤسسها أحمد حسين، وكان طالباً في السنة الثانية في كلية الحقوق، بطرح (مشروع القرش)، وكانت فكرته أن يتبرّع كل مواطن بقرش صاغ واحد؛ ليبني بالحصيلة مصنعاً للطرابيش، معتمداً في دعوته للمشروع على أنه عار على المصريين أن يستوردوا لباس رأسهم القومي من الخارج.

بلغت حصيلة مشروع القرش في العام الأول نحو ١٧ ألف جنيه، وفي العام التالي نحو ١٣ ألف جنيه، وهي مبالغ كبيرة بمقياس الثلاثينيات. وبلغت ثقة أحمد حسين بعدالة مشروعه ووطنيته أن الدعوة التي وجّهها إلى الشعب للتبرّع من أجل استقلال مصر الاقتصادي في فبراير ١٩٣٢م تضمنت نبرة التهديد؛ إذ جاء فيها: لا يفكر شخص في الامتناع عن شراء طوابع القرش؛ فالمتطوعون مكلّفون بالتعرض لكلّ شخص لا يحمل طابع القرش، والمتطوعون ألوف وألوف، إذاً فخير لك أن تدفع.

ورداً على هذا المشروع الساعي إلى إنشاء مصنع للطرابيش ظهرت أيضاً تقاليع جديدة، فابتكر بعض الناس طربوشاً مختلفاً بألوان العلم المصري حينذاك؛ أي: أخضر اللون بزرّ أبيض، وكان لابسه يبدو كأنه يلبس (فحل فجل). وعلى الرغم من كلّ ذلك اتخذت الحملة من أجل الطربوش صورةً قوميةً، اشترك فيها آلاف المتطوعين في القاهرة والإسكندرية والصعيد وعواصم المحافظات، وباركتها أغلبية الأحزاب السياسية، وسخرت لها الحكومة فرق الموسيقا العسكرية والحفلات، وشارك فيها المطربون ولاعبو السيرك.

تبنّى المشروع صدقي باشا، وأصدر تعليماته بأن تقدم له كل التسهيلات، لكن حزب الوفد المصري اتّخذ موقفاً معادياً لهذا المشروع، وأعلن رئيسه النحاس باشا أن هدف المشروع إشغال جهود الشباب عن قضية مصر الحقيقية التي تتمثّل في جلاء



كيف يصنع الطربوش؟

صناعة الطربوش فنّ يحتاج إلى مهارة عالية، وحرفية يدوية دقيقة. ويُصنع من مادة أولية: قماش من الصوف الخالص يتم استيراده من بعض دول جنوب شرق آسيا، خصوصاً من جزيرة جاوا في إندونيسيا. أما الجلدة، وهي الجلد الذي يُستعان به طبقةً تاليةً للقماش الذي يتكون منه الطربوش، فتستورد من بلجيكا، ومن خيوط القطن الناعم يُصنع (الزر)، وهو مجموعة خيوط تتدلّى من الطربوش لتضفي عليه الجمال والأناقة. وكان يقوم على هذا الأمر حرفيون يونانيون يعملون في مصر منذ أوائل القرن الماضي. وللزر دلالته، فكان له ثلاثة ألوان: الكحلي والأسود، ويرمزان إلى الأساتذة والأفندية وأئمة المساجد، أما الزر اللبني الفاتح فيدلّ على المقرئ في الجنازات. أما الخوص، الذي يُستعان به للحشو، فيُصنع من جريد النخيل المنتشر في ربوع مصر، خصوصاً نخيل مدينة رشيد. ثم هناك الطاقية الداخلية الموجودة في الطربوش من الداخل، وتصنع من القماش العادي.

وتبدأ طريقة إعداد الطربوش بتحضير قوالب من الخوص، يتم وضعها حول قالب نحاس، ثم يوضع فوقها الجوخ؛ ليتم تثبيتها تحت مكبس خاصّ، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة الكيّ، وهي المرحلة النهائية ليكون الطربوش معداً للوضع فوق الرؤوس. وبطريقة يُطلق عليها (التبليد) يُصنع الآن الطربوش ماركة (صقر قريش)؛ فالمتاح منه ماركة واحدة على أشكال وألوان مختلفة، منها: الأفندي المعروف، الذي كان يرتديه الملك فاروق مثلاً، والنوع الآخر من الأزهري، ويأخذ شكل العمة، ثم الطربوش المغربي بألوانه الفاتحة، ومن أنواعه أيضاً الطربوش القصير الذي يناسب طويل القامة.



الاحتلال. ومن جهته، عبّر طه حسين -عميد الأدب العربي- عن خشيته من أن يكون هذا النشاط الشبابي هروباً من ثورة الفكر.

وأسفر مشروع الطربوش بالفعل عن إنشاء مصنع في العباسية بالتعاقد مع شركة هاريتمان الألمانية، وافتتح المصنع في ١٥ فبراير ١٩٣٣م، واستمر عمله حتى قيام ثورة الضباط الأحرار عام ١٩٥٢م عندما بدأ الطربوش يفقد قيمته مع مرور الوقت، وبات المصنع لا فائدة منه، فتوقف نشاطه.

مشاهير بالطربوش

ارتدى مشاهير كثيرون وعائلات كثيرة الطربوش؛ فعلى مستوى الملوك كان الملك فاروق ملك مصر، والملك المغربي الحسن الثاني. وكذلك اشتهر أفراد وعائلات مصرية عريقة بارتداء الطربوش؛ مثل: عائلة سعد زغلول الزعيم الوطني المعروف، وحبيب باشا السعد، وفكري أباظة، وسليمان باشا الفرنساوي أحد بناة الجيش المصري (يُطلق اسمه على شارع سليمان باشا في وسط القاهرة)، ومحمد شريف باشا (شارع شريف)، وأحمد ماهر باشا، ومكرم عبيد باشا، وزعيم الأمة النحاس باشا، وأحمد حسنين باشا، ومحمود سامي البارودي، وأحمد لطفي السيد باشا، ومحمد حسين هيكل باشا، وطه حسين. كما ارتداه أمير الشعراء أحمد شوقي، وشاعر النيل حافظ إبراهيم.

وعلى مستوى المطربين والموسيقيين، ارتدى الطربوش الشيخ سلامة حجازي، وعبده الحامولي، والموسيقار محمد عبدالوهاب، وكان يخشى على رأسه من البرد. ولبسه أيضاً الفنان الشعبي محمد طه، ومحمد عبدالمطلب، وغيرهم. ولعله من الأقلاء - وقد شارف على التسعين من عمره- الذين مازلنا نشاهدهم وهم يرتدون الطربوش الأحمر الشيخ حافظ سلامة قائد المقاومة الشعبية إبّان حرب أكتوبر ١٩٧٣م.

ثمة قصة رواها العالم محمود حافظ -رئيس المجمع العلمي المصري، ورئيس مجمع اللغة العربية- يقول: دخل طالب على الأستاذ أمين شاي في عبدالراجي -مدرس اللغة العربية بمدرسة السعيدية- وكان غير مطربش، فسأله الأستاذ: أين طربوشك يا ولد؟ فأومأ التلميذ إيماءةً غير مناسبة، فصمّم المعلم على

الرئيس هاشم الأتاسي، الذي تسلّم رئاسة سورية ثلاث مرات: ١٩٣٦- ١٩٣٩م، و١٩٤٩- ١٩٥١م، و١٩٥٤- ١٩٥٥م، والزعيم سعد الله الجابري، والرئيس شكري القوتلي، والسياسي والأديب فخري البارودي، ورئيس الوزراء فارس الخوري. وعن الأخير يروي الكاتب السوري عادل أبو شنب قصةً في كتابه (شوام ظرفاء)، فيقول: مرّ فارس الخوري بأحد أسواق دمشق، فرأى طربوشاً يناسب رأسه، فجرّبه، وسأل عن ثمنه، فوضع البائع رقماً كبيراً، ولعله رفع الثمن لندرة وجود طربوش يستوعب رأس زبونه. لكن الخوري استغلاه، وهمّ بالانصراف، فقال له البائع: اسمع يا فارس بيك، لو دُرت الدنيا كلها من شرقها إلى غربها، ومن شمالها إلى جنوبها، لما وجدت طربوشاً كهذا يناسب رأسك (المبجبج) ما شاء الله. فردّ السياسي السوري البارز فارس الخوري في الحال: اسمع يا أخانا، أنت أيضاً لو دُرت الدنيا كلها لما وجدت رأساً كرأسي يجيء طربوشك عليه (حفر وتنزيل).

من المطربين والموسيقيين الذين ارتدوا الطربوش: الشيخ سلامة حجازي، وعبده الحامولي، والموسيقار محمد عبدالوهاب



الطربوش رمز فلكلوري بعد أن كان رمزاً للوجاهة

عقابه أو أن يقدم استقالته. وعندما جاءت والدته، وكانت من صفوة القوم أيامها، قال لها الأستاذ: يا سيدتي، إذا كنت تريدين تعليم ابنك تعليماً خاصاً فليكن ذلك في قصرك، لكن هنا الكلّ سواسية ما دامت تجمعهم جدران فصل واحد. وعندما ذهبت الأم إلى علي شمس باشا -وزير المعارف آنذاك- تشكو المعلم نصر الوزير المدرس، وصمم على اعتذار الطالب للمعلم، وقال لها بيت أحمد شوقي:

قُمْ للمعلّم وفّه التبجيلا

كاد المعلم أن يكون رسولا

وعربياً، من مشاهير زعماء سورية الذين لبسوا الطربوش:

ويُقال: إن الخوري أخذ الطربوش برأسماله.

وفي بيروت، اشتهر آل حيدر، وآل أرسلان، وآل الخازن، وآل سلام، وغيرهم من كبار العائلات ورجال الحكم، بارتداء الطربوش والتباهي به وجاهةً، حتى قيل: إن المسؤول في الوزارة أو مجلس النواب إذا كان لا يرتدي الطربوش فلا يمكن أن يكون على مستوى المسؤولية والجدية في اتخاذ القرارات.

وفي فلسطين، كانت العائلات الفلسطينية الكبيرة، التي كانت منتشرةً على مدن الساحل والمدن الداخلية الفلسطينية كالقدس ونابلس، ترتدي الطربوش رمزاً للمكانة الاجتماعية والدينية والسياسية. ومازال طربوش الحاج أمين الحسيني

-الزعيم الفلسطيني الذي قاد ثورة الفلسطينيين قبل عام ١٩٤٨م- حاضراً في الأذهان.

وكان الطربوش ضرورياً لاستكمال المظهر الرسمي عند الموظفين الحكوميين؛ فكان الطربوش يميز من يشغل وظيفةً رسميةً عاليةً؛ فرؤساء الوزارات والوزراء وكبار الموظفين -أياً كانت اعتقاداتهم- اعتمدوا الطربوش زياً، وحرصوا على وضعه على رؤوسهم، فوضعه على رأسه مثلاً شكري القوتلي، وبشارة الخوري.

ولم يقتصر الطربوش على ذوي الوظائف الرسمية الكبيرة؛ فكثيرون كانوا يعتمرون الطرابيش للدلالة على الموقع الاجتماعي، والتعبير عن أهميتهم ومكانتهم الاجتماعية.

وكانت طرابيش المسؤولين دكناء قليلاً في الأغلب ووازنةً على الرأس لا تتحرك إلا بمقدار، والشراشيب فيها دائماً إلى الخلف. وكان (مكتب عنبر) يمنح خريجيه (الطربوش)، إضافةً إلى الشهادة والمنصب؛ لذلك فإن معظم الذين تخرّجوا فيه،

من زعماء سورية الذين لبسوا الطربوش: هاشم الأتاسي، وسعد الله الجابري، وشكري القوتلي، وفخري البارودي

وأولئك الذين تقلدوا مناصب في دمشق وبيروت وطرابلس وعمان والقدس ونابلس، كانوا يرتدون الطرابيش.

وكان ما يُلبس مرافقاً للطربوش يختلف تبعاً لوظيفة الشخص وموقعه الاجتماعي؛ فالموظف مهما كان موقعه لا بد أن يلبس السترة والبنطال، وهذا هو الزي الرسمي، أما الشيوخ فيلبسون الطربوش مع القفطان، أما من هم أقلّ منهم ثراءً، أو لا يحركهم طموح كبير، فإنهم لا يأبهون لما بعد الطربوش، فكانوا يلبسون القمباز، وكانوا يلبسون السترة والبنطال، لكنهم في كل الحالات يصرّون على ارتداء الطربوش، حتى البقال الصغير بعد أن يخلع ملابس الطلعة، ويرتدي ملابس العمل في دكانه، يستبقي الطربوش على رأسه؛ لأنه لا يقوى أن يكون عاري الرأس أمام الآخرين. وأكثر من ذلك في أيام الصيف الحارة، حين يكون التاجر في دكانه عاري الرأس، إذا دخل عليه زائر أو زبون فإن أول ما يفعله هو أن يضع طربوشه على رأسه. وكان لصاحب الدخل المحدود طربوش واحد، وللغنيّ طرابيش كثيرة، تتفاوت من حيث اللون والمقاييس وأوقات الاستعمال.

دلالات وضع الطربوش

يشير تغيّر وضع الطربوش على الرأس إلى المزاج النفسي، أو أهمية الطرف المقابل، وربما نوعية القضايا التي يجري بحثها؛ فالطربوش إذا كان مستقيماً دلّ على الاستقامة، وإذا كان مائلاً إلى الخلف دلّ على المزاج الرائق، ولا يخلو من الرغبة في التوجيه أو السخرية. كما أن موقعه قابل للتغيير وإعادة النظر عدة مرات في اليوم الواحد تبعاً للخطة، ونوع الحديث، والشخص المقابل. وقد لا يكون من المبالغة القول: إن الطرابيش الشامية تتكلم بفرح، وإن كلامها مفهوم في أغلب الأحيان.

ويختلف شكل الطربوش ومقاسه من بلد إلى آخر؛ ففي سورية ولبنان وفلسطين كان طويلاً وأشد احمراراً عنه في تركيا، وقد شهد الثلث الأخير من القرن العشرين عدداً من الطرابيش ذات الشهرة الكبيرة، منها: الأبيش، والمهايني، والعظمة، والبكري، والحسيني، والسبيعي، وغيرها. أما أسعار الطرابيش فتراوح بين ١٥ جنيهاً و١٠٠ جنيه مصري حسب الخامات المستخدمة في صناعته، والعمر الافتراضي للطربوش ١٠ سنوات، بعدها يجب تغييره.

خلاصة القول: تغطي أغلب الشعوب والأجناس رأسها بأغطية متنوعة متميزة معبّرة في كثير من الأحيان عن تراثها وهويتها، وكان الطربوش عربياً سيد الألبسة، ورمز الوجاهة والأناقة حيناً من الدهر، ويكاد باختفائه يختفي ملمح مهم من ملامح الزي الرسمي والأناقة وهوية الشخصية العربية. وقد غدا الطربوش رمزاً فلكلورياً يقتنيه بعض السياح وعشاق الطرابيش على سبيل الترفيه والتسلية؛ فحتى على سبيل هذا الجانب هل يمكن المحافظة عليه وتنمية حرفته اليدوية حتى لا تموت، أو إنه الزمن الذي تتجاوز عجلته التي لا تتوقف ألبسةً وصناعات وحرفاً وتقاليد؛ فهذه طبيعة الأشياء وطبيعة الحياة في آنٍ واحد.



تتمتع قمة إيفرست بشهرة فريدة بوصفها أعلى مناطق العالم ارتفاعاً، وتطرح كثيراً من الصعوبات الجغرافية والمتاعب الصحية عقبةً في طريق المغامرين الذين يطمحون إلى تحقيق مجد يخلّد ذكراهم من خلال قهر صخورها وإخضاع جبروتها.

إيفرست.. قمة التحدي بين الجبل والبشر

خالد خلف زيدان
المنيا – مصر



الجغرافيا تعانق التاريخ

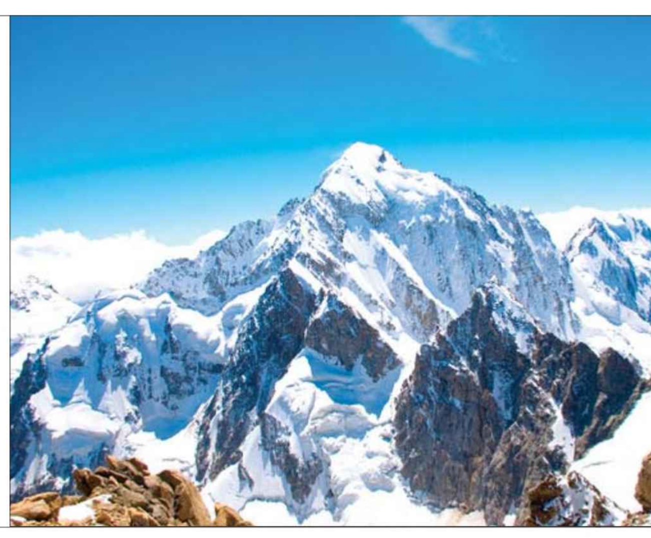
قبل ثلاثين مليون سنة اصطدم لوحان من ألواح القشرة الأرضية من بحر تيثيس القديم، هما: اللوح الهندي الذي يحمل الهند وأستراليا، واللوح الأوراسي الذي يحمل أوربا ووسط آسيا والصين، وتسبّب ذلك التصادم بحدوث تقلّصات هائلة في القشرة الأرضية برزت من خلالها طبقة سميكة من الصخر المرسّب ترتكز على قاعدة ضخمة من الجرانيت الفائق الصلابة. وبفعل عوامل التعرية، المتمثّلة في قوة الرياح، وتغيرات المناخ، تشكّلت هضبة التبت وجبال الهيمالايا، وبدأت تعلو قممها الشاهقة التي نراها اليوم. ولنا أن نعلم أن عدة مئات من تلك القمم يزيد ارتفاعها على سبعة آلاف متر، وهناك أربع عشرة قمة منها ترتفع إلى أكثر من ثمانية آلاف متر. وتأتي قمة إيفرست لتعلوها جميعاً، بل هي أعلى قمم العالم على الإطلاق؛ إذ يصل ارتفاعها إلى ٨٨٤٨ متراً.

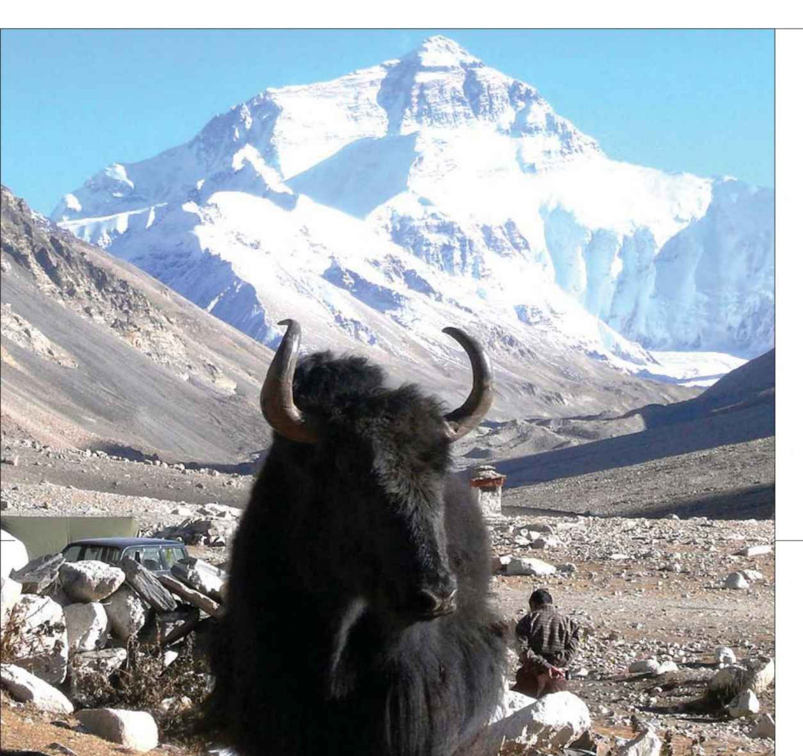
الكتلة الرئيسة من إيفرست تقع على الحدود بين النيبال والتبت، ويقع الجبل نفسه على خط عرض ٢٨ شمالاً، ويبعد من أقرب بحر له، وهو خليج البنغال في المحيط الهندي، ما يقرب من ثماني مئة كيلومتر، بينما يبعد مئة وستين كيلومتراً من كاتماندو عاصمة النيبال، أما أقرب قرية كبيرة إلى الجبل فهي قرية نامشي بازار على بعد اثنين وثلاثين كيلومتراً.

تبدو قمة الجبل للمحلّق فوقها جزءاً يتوسط تكويناً يشبه حدوة الحصان، يشمل إضافةً إليها قمتين أخريين سامقتين، هما: نوبتسي بوموري بارتفاعها الذي يصل إلى ٧١٦٥ متراً في أقصى الجنوب، ولهوتسي التي تعدّ رابع أعلى قمم العالم بارتفاعها الذي يصل إلى ٨٥٠١ متر في أقصى الشمال، ويحيط بها جميعاً نهر خومبو المتجمد.

وبالاقتراب من السفح تهول المرء تلك القمة الجليدية التي يزداد شكلها بروزاً بفضل الشكل الهرمي للجبل نفسه الذي نحتته العوامل الجوية، ولاسيما الرياح التي صقلت واجهاته الثلاث. ولا شك في أن تلك العوامل من شأنها أن تجعل المناخ السائد أعلى القمة من أكثر المناطق قسوةً وخطراً؛ ففي الشتاء تقدم الرياح العاتية من الشمال الغربي ببردها القارس، فتجعل القمة أكثر برودةً؛ إذ تصل الحرارة إلى ٣٦ درجة مئوية تحت الصفر، وقد تزداد قوة تلك الرياح فتصل إلى ٢٨٥ كيلومتراً في الساعة، فتتدنى درجة الحرارة لتصل إلى ستين درجة مئوية تحت الصفر. وخلال فصلي الخريف والربيع تحمل الرياح الغربية الحصى الناعمة والرمال؛ مما يزيد من المشكلات والصعوبات التي يواجهها المتسلقون. لذلك، فإن أفضل الأوقات صلاحيةً للتسلق هي أشهر مايو ويونيو وأكتوبر؛ أي: قبل قدوم رياح المونسون الهندية الموسمية التي تهبّ من خليج البنغال طوال الصيف وعقبها، التي تجعل القمة أكثر دفئاً؛ إذ يصل معدل الحرارة إلى ١٨ درجة مئوية تحت الصفر، علماً أن الحرارة لا تصل الصفر بأيّ حال من الأحوال.

ظلّ أمر هوية إيفرست بوصفها أعلى جبل في العالم مجهولاً حتى منتصف القرن التاسع عشر، وبالتحديد حتى السابع من أكتوبر عام ١٨٥٢م؛ ففي هذا اليوم كان بيدرار غمراد -الموظف في هيئة المساحة العامة في بلدة (ديهران دان) بالهند- عاكفاً على حساب ارتفاع أعلى قمم جبال الهيمالايا، معتمداً على أرقام نتجت من عملية مسح تريغونومتري كانت قد أجريت على ست مراحل منفصلة طوال ثلاثة أعوام مضت. وفجأة رفع غمراد رأسه، وقال لزملائه الجالسين إلى المكاتب حوله: «انظروا! طبقاً لهذه الأرقام فإن ارتفاع الذروة الخامسة


الشكل الهرمي يميز إيفرست



عشرة يتعدى تسعة وعشرين ألف قدم، وهي بذلك تخفي الأفق الذي يحيط بقمم الهيمالايا العملاقة الأخرى». وفي الوقت الذي استولت فيه الدهشة على الزملاء كان غمراد يسرع الخطى نحو مكتب رئيس الهيئة السيد رادانات سيخدار.

وهكذا تم اكتشاف أعلى جبل في العالم من خلف مكتب من خلال الحسابات النظرية؛ ففي ذلك الوقت لم يكن الجبل يُشاهد إلا من مسافة بعيدة، ولأنه كان مُحاطاً بقمم مرتفعة كثيرة لم يكن من اليسير التنبؤ بارتفاعه الشاهق على وجه اليقين، ولم يكن هذا ممكناً إلا عن طريق الافتراضات القائمة على الخرائط المساحية.

وعندما أعلن سيخدار الاكتشاف، وقام بإبلاغ النبأ إلى لندن، اقترح أن يطلق على هذه القمة اسم إيفرست؛ تيمناً ووفاءً للسير جورج إيفرست الذي عمل مديراً في قسم الجيولوجيا بالهند من عام ١٨٣٠ حتى عام ١٨٤٣م، وتمّت تحت إشرافه عملية مسح قمم جبال الهيمالايا عن طريق المراقبة العلمية من سفوح تلال الهند وأوديتها.

سنوات الإخفاق تكلل بالنجاح

منذ عام ١٩٠٠م وفدت الحملات الغربية إلى الهيمالايا، ومعها أفكار المستكشفين الراغبين في تعرّف طبيعة تلك الجبال من كثب. ففي عام ١٩١١م، أكد الكيميائي البريطاني ألكسندر كلاس أن السكان في جنوب إيفرست ليست لديهم أي متاعب صحية، بل هم معتادون على التأقلم والمعيشة بصورة طبيعية في كنف هذه المرتفعات. وبعد عامين تسلّل المستكشف البريطاني جون نويل إلى التبت، التي كانت مغلقةً أمام الدول الغربية قبيل الحرب العالمية الأولى، وقام بمسح مبدئي للجهة الشمالية من إيفرست حيث الطبيعة الطبوغرافية أقلّ تنوعاً من الجهات الأخرى. وطوال السنوات التسع التالية تعاقب البريطانيون من كبار متسلّقي الجبال في محاولات للوصول إلى سقف العالم، وإن لم تتجاوز محاولاتهم سبعة آلاف متر؛ فقد عاد كين إنجلتون بعد ثمانية أيام في يونيو عام ١٩١٨م مكسور القدم من مغامرته التي توقفت عند ٦٧٠٠ متر، كما سقط بليك سايمون مدرجاً في دمه عام ١٩١٩م بعد أن تعرّض لنوبة صرع على ارتفاع ٦٨٢٩ متراً، ودفن مقابل قمة شوميومو.

ومن خلال حملة بريطانية موسّعة أخرى في عام ١٩٢١م، بقيادة تشارلز هوارد باري، شقّ المتسلق جورج لي مالوري طريقه إلى القمة من جهة الشمال حيث أقام مع أفراد بعثته مخيمهم في قمة لهابكا على ارتفاع ٦٨٦٠ متراً. وقد عبّر مالوري عن كامل سعادته بهذا النجاح الكبير قائلاً: «إننا نستعد للانطلاق، لقد وجدنا الطريق». ولم يكن الطريق الذي يتحدث عنه سوى العودة إلى السفح. وفي أثناء بعثة العام التالي تحت قيادة الكولونيل بروس تمكنت البعثة من تجاوز الارتفاع المصيري، والوصول إلى علو ٨٣٢٠ متراً، بفضل قارورات الأكسجين التي حملها أعضاؤها الخمسة، وهم: مالوري، ونورتون، وسومرفيل، وآرثر واكفيلد، وأندرو إرفين؛ فقد قال مالوري: «لقد بدت القمة أمامنا مثل جبل أبيض عملاق يتعلق به العالم»، كما وصف نهر خومبو المتجمد والأجراف المحيطة به قائلاً: «إنه أحد أبشع المناظر التي شاهدها الإنسان، وأكثرها نفوراً».

وفي المحاولة الثالثة عام ١٩٢٤م كانت الشواهد تنذر بكارثة؛ فقد أودت العواصف الثلجية بحياة سبعة من حمالي الشيربا كانوا طلائع سبّاقين للبعثة، ثم اكتمل المشهد باختفاء مالوري ورفيقه إرفين من جرّاء حادث مأسوي مماثل قبل ٢٤٠ متراً من

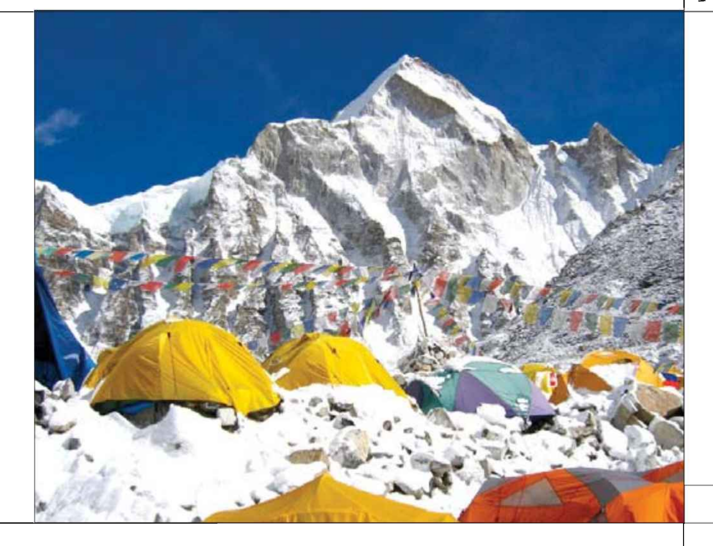
العواصف الثلجية في إيفرست أودت بحياة سبعة من حمالي الشيربا كانوا طلائع للبعثة البريطانية عام ١٩٢٤م

بعثة إنجليزية بقيادة الكولونيل جون هانت عام ١٩٥٣م هي أول من نجح في الوصول إلى قمة إيفرست

بلوغهما القمة، وقد عُثر على جثة مالوري في عام ١٩٩٩م مع نظارته وبوصلة قياس المرتفعات وسكين.

وطوال حقبة الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين ظلّت محاولات تسلّق القمة مستمرة، وإن لم تتمكن إحداها من تجاوز الارتفاع القياسي الذي وصله مالوري ورفيقه، إلى أن أعيد إغلاق المنطقة أمام الغرب باحتلال الصين التبت في بداية الخمسينيات؛ لذا لم يبقَ سوى طريق واحد، هو الجنوب، عن طريق النيبال التي فتحت أبوابها لمثل هذه المحاولات، وبالفعل استطلع شيبتون عام ١٩٥١م شطراً من جبال الهيمالايا، تمّ خلاله استكشاف قمة شواويو غرب إيفرست. لكن عاقه شلله الذي أعجز رجليه بعد شهور من هذا الإنجاز عن أن يكمل مخططه بالوصول إلى إيفرست. وفي العام التالي كاد السويسريون ينجحون في اعتلاء سطح الدنيا، لكن نقص الرجال والأغذية ونفاد الأكسجين من الأنابيب المشدودة إلى ظهورهم لم يكلّل مغامرتهم بالنجاح؛ فلم تتمكن البعثة من تجاوز ٨١٠٠ متر في محاولتها الأولى بقيادة ديترت، بينما وصلت إلى ارتفاع ٨٦٠٠ متر في محاولتها الثانية بقيادة لامبرت.

ويبدو أن النجاح كان مرتبطاً بقدوم عام ١٩٥٣م؛ ففي هذا العام قامت بعثة إنجليزية بقيادة الكولونيل جون هانت، الذي كان إدارياً بارعاً ورجل حرب محنكاً؛ فجهز عملية التسلق بكل دقائقها. كانت البعثة تتكون من اثني عشر متسلقاً، وثلاثين حمالاً من الشيربا، ومزودة بقدر وافر من المؤن والمعدات، كما كانت أجهزة الأكسجين التي صُنعت بعناية فائقة دافعاً قوياً إلى الاستمرار. وعندما وصلت البعثة إلى ثيانجبوش قضى أفرادها قرابة شهر في تدريب منظّم على قهر الارتفاع، ثم بدأت وجهتهم إلى سقف العالم. وصلت مجموعة أولى بالحبال إلى ارتفاع ٨٧٠٠ متر، وأحضرت معلومات ثمينة إلى المغامر النيوزيلندي أدموند هيلاري، ومساعده النيبالي تنزينغ نورغاي، ساعدتهما على تحقيق الإنجاز المنتظر. ففي الحادية عشرة والنصف صباح التاسع والعشرين من مايو وصلا إلى القمة، مؤكدين خضوع جبروت الحجر أمام عنفوان البشر، وفي سبق فريد راح هيلاري يصوّر المشهد تلو الآخر، فتارةً يسحره بكر الطبيعة، وشموخها، ومناظرها الخلابة، والقمم المترامية في الأفق البعيد، وتارةً يلتقط صوراً لزميله نورغاي الذي يمسك بمعول ذي مقبض طويل مزخرف بأعلام صغيرة يحفر به ثقباً صغيراً في أعلى القمة ليضع فيه بعض الطعام قرباناً متواضعاً لربه، وإن كان حافلاً بالمعاني، وبعد ربع ساعة من التأمل والعمل شدّ كلاهما على يدي الآخر بادئين رحلة الهبوط.



فاروق الزمان أول سعودي يعتلي إيفرست.. والكويتي زيد بن عبدالوهاب الرفاعي أول عربي يصل إليها

الأرميني لير ساركي زور أكبر من وصل إلى القمة سناً؛ فقد كان عمره آنذاك ستين عاماً وخمسة أشهر

هالة المجد لها رجالها

بدايةً من هذا الحدث أحيطت إيفرست بهالة من الشهرة، واستحوذت على تفكير المغامرين من هواة تسلق القمم العالية، فقصدها الآلاف لتكرار الإنجاز. ففي عام ١٩٦٠م وصلت أول بعثة صينية إلى القمة بعد أن حقّق عضواها مينغ شيناو ويات شوصون نجاحاً كانا جديرين به؛ لاختيارهما الممر الشمالي حيث أكثر الطرق وعورةً، وأسوأ الظروف صعوبةً. وما كادت تمر ثلاث سنوات حتى وصلت أول بعثة أمريكية بقيادة نورمان ديهر نفورس، وقد تمكّن اثنان من أعضائها، هما: توماس هورنباين، ووليم إنسولد، من تسلّق القمة من الجانب الغربي الذي لم يرتده أحد قبلهما، وكان أحد أعضاء البعثة هو باري بيشوب المصوّر في مجلة ناشيونال جيوغرافيك، الذي صوّر لحظة وقوفه على القمة بقوله: «راح الهواء العاصف والبرد القارس يلسعانا من كلّ اتجاه، وصفير الرياح يصمّ آذاننا ونحن معلّقون بين السماء والأرض». ونتيجة لذلك أصيب بيشوب بتجمد في أصابع رجيله؛ مما أجبر الفريق الطبي المرافق على بترها. كذلك توفي جون برايتنباخ -استشاري البعثة- عندما سقطت عليه كتلة جليد ضخمة أودت بحياته.

وبعد أحد عشر عاماً توجّهت بعثة إنجليزية بهدف دراسة قدرة الإنسان على تحمل الارتفاعات الشاهقة، واعتمد الاختصاصيون على تجربة حية بمتابعة الأعراض المرضية والتغيرات الجسدية والنفسية التي طرأت على أعضاء البعثة منذ بدء تسلقهم حتى وصولهم القمة. وفي العام التالي، وبينما هي محمولة على كتفي صديقتها النيبالية أونغ تشرينغ، رفعت اليابانية يانكو تابي يديها معلنةً انتصارها على الجبل، فكانت أول امرأة في العالم تتحدى إيفرست وتقهرها؛ لتكون السادس والثلاثين في ترتيب بني البشر آنذاك التي تستطيع الوصول إلى القمة. وكانت يانكو حين اعتلت القمة في شدة الإعياء من جرّاء تعرّضها لحادث كاد يفقدها حياتها حين انهارت عليها الثلوج وطمرتها، لكن البعثة النيبالية المرافقة كانت مستعدة لكل الاحتمالات، فسارعت إلى إنقاذها.

وفي عام ١٩٧٨م لفت النمساوي بيتر هايبلر، وصديقه الإيطالي رينهولد ميسنر، أنظار العالم إليهما من خلال ما وضعاه من أسس جديدة وفعالة لتسلّق القمة من دون الحاجة إلى الاستعانة بكميات إضافية من الأكسجين، ووصف ميسنر ما أصابه من إعياء وهو على آخر رمق فور اعتلائه القمة بقوله: «كان من الضروري أخذ المزيد من الصور، لكن ذلك كان مستحيلاً، ولابد من الإسراع في النزول. إن قضاء نصف ساعة إضافية على هذا الارتفاع كفيل بأن يفقدني حياتي».

وعلى مدى السنوات التالية أخذت البعثات الدولية تتوافد سنوياً لاستطلاع القمة، فتسلقتها بعثة يوغوسلافية عام ١٩٧٩م، ثم بعثة يابانية، فبعثة بولونية في العام التالي، ثم بعثة سوفييتية عام ١٩٨٢م، وتلتها بعثة أمريكية في العام الذي يليه، ثم بعثة أسترالية، وأخرى أمريكية، في عام ١٩٨٤م. وبعد أربع سنوات وصلت بعثتا تسلّق إلى القمة من جانبين للمرة الأولى؛ فقد بدأ ثلاثة من المتسلقين الذين كانوا ينتمون إلى الصين واليابان والنيبال مهمتهم من الجانب الجنوبي في النيبال، كما شرع ثمانية آخرون في تحقيق المهمة نفسها من الجانب الشمالي في التبت.

وهكذا، ظلّت البعثات تتوالى حتى إنه ما كاد القرن العشرون يلملم سنواته تاركاً المسرح للقرن الحادي والعشرين حتى كان ٢٤٣٦ شخصاً من ٥٧ دولة قد نجحوا في إخضاع تلك القمة الشاهقة، والتغلب على المصاعب التي تطرحها عقبةً في طريقهم، علماً أن ٢١١ شخصاً لقوا حتفهم في أثناء تسلقهم.

إيفرست مقصد مغامري العالم





طموح لا يعوقه الخطر

ذكرت منظمة الصحة العالمية في تقريرها الذي أصدرته في أواخر عام ١٩٩٦م، تنعى فيه الفاجعة التي راح ضحيتها خمسة عشر متسلقاً من متسلقي إيفرست كانوا قد توفّوا في مايو من العام نفسه، أن ما تتسم به هذه القمة الجبلية الضخمة من جاذبية تفوق المعايير الطبيعية للقوى البشرية. وعليه، فإن هواة التسلق لا بد أن يتمتعوا بتوازن جسماني وعقلي كاملين، والواقع أن انخفاض الضغط الجوي إلى ما نسبته ٣٠٪ فوق إيفرست مما هو عليه في السواحل يجعل المتسلق لا يتمكن من استنشاق سوى ٣٠٪ من الأكسجين، وهذا هو السبب الرئيس للخلل الكبير الذي يصيب أعضاء الجسم، ويؤدي في أحيان كثيرة إلى الموت؛ فالقلب يتسارع نبضه حتى في أثناء الراحة؛ مما يشعر المتسلق بهلوسات ورؤى غريبة، وبعضهم يسمع أصداء موسيقا تضجّ في الآذان، كما يشعره بالضعف سريعاً، وبمتاعب في الدورة الدموية، وسرعان ما يفقد الرغبة في الطعام.

وكشفت الفحوصات الطبية التي أجريت في يونيو عام ٢٠٠١م على سبعة وعشرين متسلقاً من متسلقي إيفرست عن إصابة تسعة منهم بانتفاخ بسيط في الدماغ؛ مما يؤدي إلى آلام في الرأس. كما أثبتت التحاليل إصابة ستة منهم باختلال في وظائف الكلى؛ نتيجة استهلاك أكبر كمية من الماء. ومن خلال الصور الإشعاعية التي التقطت لرئتي كلّ منهم ثبت أن أحد عشر منهم بدأت رئاتهم تفرز كميات غير طبيعية من ثاني أكسيد الكربون؛ مما يؤثر في توازن أسيدية الدم، بينما بدت رئات أربعة منهم مثل كتلتين حمراوين نتيجة زيادة كمية السوائل التي تفرزها الأوعية الشعرية لتملأ الصبابات الرئوية. ولأن استنشاق الأكسجين لم يكن بكميات كافية؛ إذ تخلّى هؤلاء الأربعة عن أنابيب الأكسجين المنظمة لتنفسهم، فإن أوعيتهم الدموية الرئوية بدأت تتمدد لاستيعاب أكسيد النيتريك، وهي مادة كيميائية قاتلة يفرزها الجسم.

وأوضح روبرت رويتس -أحد الأطباء الاختصاصين في دراسة آثار الارتفاع في جسم الإنسان- أن «صعود إيفرست مغامرة ممكنة إذا وفّرنا الوقت الكافي وشروط نجاحها، ومع ذلك فإن الاحتياط الكامل لا يلغي الصعوبات والآلام التي تعترض المتسلقين»؛ فالتجمد تهديد مباشر ودائم نتيجة لتدنّي الحرارة التي قد تهبط إلى درجة قاتلة، ولأن سرعة الهواء لا تقلّ عن مئة كيلومتر في الساعة فإن المتسلق يكون عرضةً للجفاف؛ لأنه في كل يوم يستنشق قرابة أربعة آلاف لتر من بخار الماء. وبينما يصاب بعض المتسلقين من جراء ذلك بتخثرات رئوية ودماغية مفاجئة فإن بعضهم يتعرض إضافةً إلى ذلك للأشعة البنفسجية التي تتضاعف بنسبة ٤٪ كلما ارتفع المتسلق ٣٠٠ متر، وهذا بدوره يؤدي إلى إصابة قرنية العين بأضرار بالغة. واختتم رويتس دراسته بقوله: «إن كلّ هذه الإصابات تؤدي إلى السقوط من الشواهق العالية التي تعدّ المسبب الرئيس لموت أولئك الأبطال الذين سقطوا أمواتاً على منحدرات إيفرست».

رحلة المجد

إزاء ما يواجهه المتسلقون من عقبات طبوغرافية، وما يتعرضون له من متاعب صحية، فإن أمر التغلب على إيفرست ليس بالأمر الهين، بل هو مغامرة تحتاج إلى نوع من الطموح والتصميم وتحدي المجهول؛ فبمجرد الوصول إلى العاصمة كاتماندو تعدّ البعثة عدّتها، وتحزم أمتعتها، وتبدأ وجهتها إلى لوبوش حيث يجتاز المتسلقون مراحل متعددة للتدريب على قهر التلال، وعبور التدرجات الصخرية، والصعود العمودي أو شبه العمودي على منحدرات غالباً ما تحتوي على كثير من النتوءات

قمة إيفرست هي أعلى قمم العالم على الإطلاق، ويصل ارتفاعها إلى ٨٨٤٨ متراً

سميت إيفرست بهذا الاسم تيمناً ووفاءً للسير جورج إيفرست الذي عمل مديراً في قسم الجيولوجيا بالهند

ومواطئ الأقدام التي تساعد على حفظ التوازن. ثم عليهم اجتياز المرحلة التي هي أصعب من غيرها من خلال التدريب الشاق على تسلق الجبال الملساء التي يقلّ فيها وجود مثل هذه النتوءات والمواطئ قبل أن يتقنوا عبور المنحدرات الجبلية الوعرة التي لا يمكن قهرها إلا باستخدام أدوات التسلق كالحبال والمسامير المثبتة. وفي الأغلب يكاد يكون كثير من المتسلقين قد تعودوا ممارسة تلك التمرينات سلفاً في أجواء جبلية حقيقية قبل مجيئهم إلى النيبال. يُذكر أن فاروق الزمان، وهو أول سعودي يعتلي إيفرست، كان قد تسلّق عدداً من قمم الجبال المتدرجة الارتفاع قبل أن يحقق إنجازه في يونيو عام ٢٠٠٨م؛ فقد تسلق جبل هالي لالا (٣٠٥٥ متراً) في ماوي بولاية هاواي، ثم جبل الأخوات الثلاث (٣٠٧٤ متراً) في أريغون، ثم جبل شاسا (٤٢٢٢ متراً) في كاليفورنيا، ثم جبل رينيه (٤٣٤٤ متراً) في واشنطن.

والحقيقة أن بعثةً إلى قمة إيفرست قد تستغرق قرابة الشهرين؛ إذ تتطلب إعداداً دقيقاً من غذاء مدروس جيداً، وملابس مناسبة للظروف المناخية، فضلاً عن التزود الكافي بأنابيب الأكسجين. ولأن معظم المتسلقين ينصبّ جلّ اهتمامهم على إتقان التسلق فهم ليسوا أكفاء لحمل الأثقال في الارتفاعات، وحتى اليوم لم يتسنّ إجراء أيّ صعود إلا بمعاونة السكان



لحظة انتصار

إيفرست: أوائل وغرائب

امتازت بعض محاولات صعود قمة إيفرست بالغرابة والتفرد، أو رأى فيها أصحابها تحقيق أمر خارق للمألوف، أو إحراز مجد قياسي يخلّد ذكراهم على الدوام؛ ففي عام ١٩٩٩م تسلق النيبالي بمبادور جي القمة في اثنتي عشرة ساعة وخمس وأربعين دقيقة، محققاً بذلك أسرع محاولة لقهر القمة. وفي العام نفسه أصبح الأرميني لير ساركي زور أكبر من وصل إلى القمة سناً؛ فقد كان عمره آنذاك ستين عاماً وخمسة أشهر. وفي العام التالي كان دافو كارينكار من سلوفينيا أول متسلّق يمكنه الهبوط من القمة متزلجاً، واستغرقت رحلته خمس ساعات ودقيقتين، وكان كارينكار قد سبق له أن فقد إصبعين من رجليه خلال مغامرته السابقة التي لم يُكتب لها النجاح قبل أربعة أعوام. وفي عام ٢٠٠١م تمكّن البريطاني إيريك واينهانمير، وهو أعمى، من صعود القمة؛ ليكون أول ضرير في العالم يصعد القمة. وكان مواطنه توم هويتكر قد سبقه قبل ثلاث سنوات من تحقيق إنجاز شبيه؛ إذ كان أول شخص مبتور الساق يقهر إعاقته ويعتلي القمة وهو يضع طرفاً صناعياً تحت ركبته، وقد جاءت محاولتاهما لتثبت أن الإنسان قادر على تحقيق الإنجازات الكبرى مهما بلغت إعاقته. وفي عام ٢٠٠٢م صعد النيبالي مينغ كيبا إلى القمة ليكون أصغر من جلس فوقها؛ فقد كان يبلغ من العمر خمسة عشر عاماً. وبعده بشهر واحد لامس الكويتي زيد بن عبدالوهاب الرفاعي القمة ليكون أول عربي يصل إلى أعلى نقاط الأرض. وقد تمكّن الرفاعي من تحقيق هذا الإنجاز التاريخي بعد عدة محاولات لم يحالفها التوفيق.


المغامرون من كل الأجناس

المحليين من أفراد الشيربا؛ فهم من الحمالين المهرة. ولعل أفضل وسيلة للتكيف مع أجواء إيفرست، وقهر منحدراتها، هو المصاطب المتدرجة من خلال إقامة مخيمات متعاقبة كعتبات للاستراحة؛ فمنذ بدء المغامرة يستمر المتسلق في الصعود حتى يصل إلى المخيم الأساسي أسفل نهر خومبو على ارتفاع ٥٤٠٠ متر، وهو توقف لا غنى عنه للتقليل ما أمكن من الجهد الجسماني. وبمواصلة الرحلة يخلد المتسلق إلى الراحة في مخيمات أربعة تالية على ارتفاعات ٥٩٠٠ متر، و٦٥٠٠ متر، و٧٣٠٠ متر، و٧٩٠٠ متر، قبل أن يجتاز شلال الثلج الرهيب المتمثّل في تسلق حائط لهوستي في الشمال، الذي يؤدي إلى النقطة المعروفة باسم كول الجنوبي، وهي أصعب المنحدرات في عملية الصعود؛ فهي تشكّل منخفضاً وعراً في الجسر الذي يصل بين لهوستي وإيفرست على ارتفاع يبلغ ٨٠٤٨ متراً. وفي هذه النقطة يُقام آخر المخيمات، وهنا يجب أن يكون المخيم كامل الإعداد؛ ففيه تنتظر البعثة حتى تسمح الأحوال الجوية بتتويج رحلة المجد؛ إذ على المغامر أن يتسلّق آخر ثمانيمئة متر خلال يوم واحد حتى يصل إلى الذروة.

> ٦٣٤٢ شخصاً من ٧٥ دولة نجحوا في صعود إيفرست خلال القرن العشرين.. و١١٢ شخصاً لقوا حتفهم خلال تسلّقها

> أفضل الأوقات صلاحيةً لتسلق قمة إيفرست هي أشهر مايو ويونيو وأكتوبر

التلوث يناطح السحاب

لا شك أن الجمال الآسر الذي تتمتع به قمة إيفرست، وما يجاورها من طبيعة خلابة وجلاميد صخرية، تجعل السائح يقف مبهوراً مفتوناً متأملاً روعتها وجمالها. وبينما يحاول في حلمه مدّ يديه ليلامس نقاوة جليدها، ويعانق شموخها، يستفيق فجأةً من حلمه، ويزعجه ما اقترفه بنو جنسه في مغامرة صعودهم إلى الأعالي؛ إذ الأضرار البيئية أكثر من أن تُحصى؛ فكلّ متسلّق يستهلك عشرات من زجاجات المياه، ويخلف وراءه عشرات الكيلوجرامات من النفايات وفق ما أعلنه جامانج جيهنيدرا -مدير مشروع حماية منطقة إيفرست- الذي أشار إلى أن حجم النفايات المتراكمة في الجبل بين الخمسينيات والثمانينيات من القرن الماضي وصل إلى أكثر من خمسين طناً من البلاستيك والزجاج والمعادن، ثم تضاعف هذا الرقم ليصل إلى أكثر من مئة طن تقريباً قبل حلول القرن الحادي والعشرين. وأشار جيهنيدرا إلى أن معدل أفراد كل مجموعة متسلقة لا يقلّ عن ستة متسلقين، يرافقهم عشرون نيبالياً، بينهم المرشد والطباخ والحمالون، ولو احتسبنا مجموع ما تخلّفه كل مجموعة من نفايات لعرفنا هول الفاجعة. ولتأكيد هذا الأمر ذكر جيهنيدرا أنه في عام ٢٠٠١م وصل القمة في يوم واحد ٨٩ متسلقاً، خلفوا وراءهم كميات هائلة من البطاريات، وقوارير المشروبات والغاز، وأنابيب الأكسجين، والحبال، والخيام البالية، حتى الملابس. وعلى الرغم من جمع السكان المحليين جانباً من أدوات التسلق المهملة لإعادة

تصنيعها أو إصلاحها بغرض بيعها إلا أن عملية التخلص من أكوام المخلفات في كل منطقة تخييم ليست سهلة؛ فعملية حرقها في أماكنها في الأعالي تعدّ بمنزلة حظ سيئ سيؤدي إلى جلب أسوأ المناخات على البعثات التالية، وسيصيب المتسلقين بأبشع اللعنات حسب اعتقاد أبناء الشيربا الذين يرى بعضهم أيضاً أن النار المقدسة لا يجب أن تحترق في الأعالي، حتى إذا حدث فلا ينبغي أن يكون وقودها تلك النفايات؛ لأن ذلك يعني نشر الروائح الكريهة باتجاه الآلهة التي يجب أن تكون في مأمن في أماكنها أعلى القمة، وهذا ثابت من اسم (تشومولونغما)، الذي يتحفون القمة به، والذي يعني الإلهة الأم والدة العالم.

وتجاه استغاثة إيفرست تداعت مؤسسات علمية وجغرافية كثيرة من أنحاء العالم، ولاسيما النيبال وبريطانيا؛ لتنظيم عدد من الأنشطة التي من شأنها أن تجمع التبرعات لتحسين وضع القمة، والعناية بطبيعتها، وتنظيفها بتدوير نفاياتها، وتوعية زائريها، فضلاً عن تقديم عدد من الأنشطة التي يهواها الرواد؛ مثل: سباقات الزلاجات التي تجرّها الكلاب القطبية، والتدريب على قيادة السيارات ذات الدفع الرباعي في الطبيعة الثلجية التي يمارسها الأوربيون والأمريكيون الذين يمثّلون أكثر من ثلثي زوار الجبل ومتسلقي قمته.

قوافل المغامرين لا تنتهي



المراجع

1. The Earth and earth sciences– linke stanly– peter Davies press– London 2003.
2. The high mountains– Joseph Ruis– British international publishing company Longman– London 2001.
3. Exploring cradle earth– Rossiter Platt– Hamlyn publishing– London 1998.
4. Edmund Hillary The hero– Oliver Carl– International press– New York 1990.
5. The earth geography– Alfreed Vernon– athenaeum publishers– new York 1993.
6. Nepal and Tibet– Hardy Trewartha– The capital press London 1999.
7. The Earths Building Blocks– Diniker Frederick– Harper and Row new york 1993.
8. The high mountains– Oliver john son– new York Academy of scinces– new York 2007.
9. The miracle of nature is mountains– Alan Chabot– The capital press London 2004.
10. Mount Everest– Robinson Oscar– oxford university press London 2002.
11. The heritage of the mighty Himalaya– Raisz john– Futurre publishing new York 2006.
12. Mapping Everest– Hope Allen– Macmillan press London 2000.
13. The road To Himalaya– Jonnley Catnar– Adams press new york 1983.
14. Everest is The roof of the world– waterman Sorenson– Atlas publishing new York 2000.
15. The spirit of Tibet– Parrington Brandon Atlas publishing– new York 2001.

١٦. قشرة الأرض، محمد صفي الدين أبو العز، القاهرة: مكتبة مصر، ١٩٥٧م.

١٧. جغرافية الجبال، حسن أبو العينين، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٦م.

١٨. الجغرافية الطبيعية، يسري الجوهري، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٤م.

١٩. جغرافية آسيا الإقليمية، جودة حسنين جودة، الإسكندرية: منشأة المعارف، ١٩٨٩م.



محمود محمد أسد
حلب – سورية

سأحرقكَ اشتياقاً للبلادِ ... لتُطْفئَ ما تراه في الفؤادِ
سأبعثُ فيكَ أنهاراً تساقيـ ... ـك عذْبَ الحبّ نهراً للودادِ
أبادلُكَ السّحابَ، أمدُّ فيْئي ... عساكَ معي، نساقي كلَّ صادِ
إلى النور المُصانِ نطيرُ فجراً ... لنغسلَ غلَّ أحقادِ العبادِ
معاً نمضي، معاً نهوى، ونُكْوى ... ولا نخشى ثعابينَ الوهادِ
أدلُّكَ للبياضِ، نُضيء بيتاً ... يُقاسي سُرْقةَ العذْلِ المنادي
كلانا نبضُ أوتارٍ تغنّتْ ... وأعطتْ للورى سحرَ البوادي
ألسنا من نمير الحرفِ جئْنا؟! ... ألسنا كالندى فوق الرمادِ؟!
نلاطفهم ونغزلهم صباحاً ... رجالاً فيهمُ شُمُّ النجادِ
أليس الشعرُ آفاقاً ونجوى؟! ... وبالشعراءِ يُغْنى كلُّ نادِ؟!
سنبقى منهلاً للحبّ نعطي ... أليس الشعرُ سُماً للفسادِ؟!
يعيش الشعرُ في صدرِ المُعنّى ... ويكتبُ بالمُدى وهَجَ الزنادِ
فجمرُ الظلمِ بالأشعارِ فانٍ ... وشهدُ الحبّ في الأشعارِ بادِ
إذا طلّ القصيدُ بغير بوحٍ ... فإنّ الشعرَ مشلولُ القيادِ
وجدْتُكَ يا سفيرَ الحرفِ تهمي ... كأنك في صقيعٍ كالجمادِ
أتنسى روضةً بالشعر تحيا ... وتذهب للضلالةِ دون هادِ؟!
أساقيكَ المنى صِرفاً لأني ... جوادٌ رامَ ترويضَ الجيادِ
على وتري تُجيدُ العزفَ تشدو ... وتغرسُ حبّنا بين الأعادي
لنا لحنُ البلادِ وفيضُ خيرٍ ... يغرّدُ باحثاً عن كلِّ شادِ



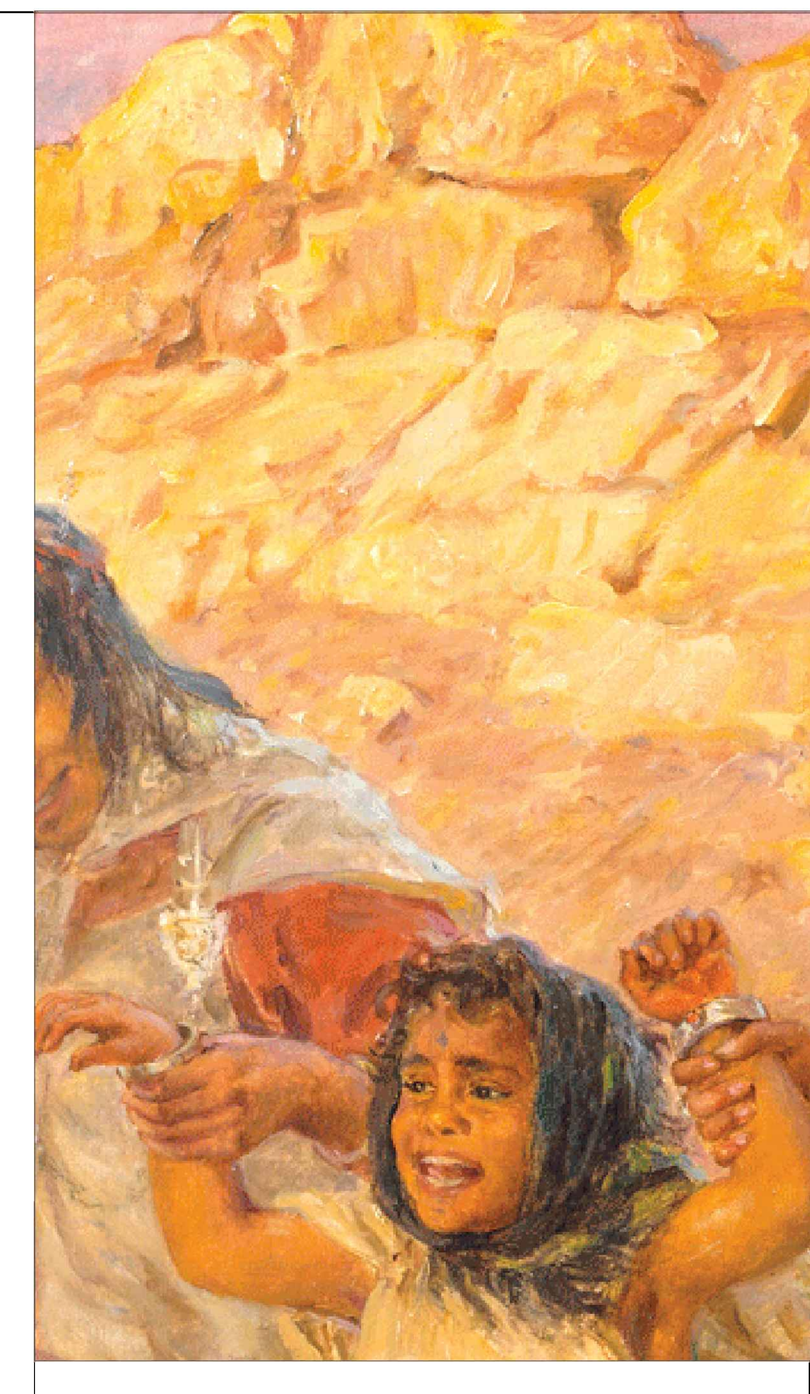


الحاج ناصر الدين دينيه..

حضور عالمي وإنساني

علي عبدالله مرزوق
الرياض - السعودية

كان كاتباً ينفذ قلمه إلى أعماق النفس الإنسانية، وكان تشكيلياً يلتمس حياة الناس البسطاء، ويصور همومهم، فتجرد قلمه كما تجردت ريشته من ملونات الاستشراق السياحي التي كانت واضحةً في أعمال غيره من المستشرقين. إنه الفنان التشكيلي إتيان دينيه، الذي أصبح اسمه بعد إسلامه ناصر الدين دينيه، والذي عاش وأسلم ودفن في بوسعادة إلى جوار رفيق دربه إبراهيم باعامر، الذي أسلم على يديه، وكان قريباً منه ومشاركاً له في مجالات حياته الفنية والفكرية. كما يعد دينيه من الفنانين التشكيليين والكتاب الذين لهم حضور عالمي وإنساني من خلال لوحاته التي تصور الإنسان والمكان، وكتاباته التي تدافع عن الإسلام.



جاء إتيان دينيه إلى الجزائر من فرنسا، وتحديداً من أرض الحضارة المادية باريس، المولود فيها عام ١٨٦١م من أب مسيحي كان يعمل رئيساً لإحدى المحاكم بمنطقة السين بفرنسا. درس المرحلة الثانوية بثانوية هنري الرابع في باريس عام ١٨٧١م، نال بعدها شهادة البكالوريا، وكان خلالها يمتلك موهبة الرسم حتى نال أول جائزة في مسابقة الرسم عام ١٨٧٩م. وخلال عام ١٨٨٠م عمل في الخدمة الوطنية في فرنسا، وبعد أن أنهى الخدمة العسكرية التحق بمدرسة الفنون الجميلة في باريس عام ١٨٨١م، وفي عام ١٨٨٢م سجل في أكاديمية جوليان، وفي العام نفسه عرض أعماله في صالون الفنانين الفرنسيين، أما عام ١٨٨٣م فكان بداية المجد والشهرة له؛ إذ نال ميدالية الرتبة الثالثة عن إحدى لوحاته التي تمثّل منطقة سموا في فرنسا.

من إتيان دينيه إلى ناصر الدين

لم يكن يعلم دينيه أن عام ١٨٨٤م هو بداية طريق الهداية





لم يكن دينيه رساماً مشهوراً فقط، بل كان مفكراً وكاتباً، سخر قلمه لنصرة الإسلام والمسلمين

والنور بعد الظلام؛ ففي هذا العام سافر إلى الجزائر أول مرة مع فرقة من علماء من منطقة بوسعادة، ولما أحسّ بالراحة النفسية والطمأنينة كرّر الزيارة عام ١٨٨٥م، لكن هذه المرة كانت لمنطقتي الأغواط والجنوب الجزائري، تكرّرت بعدها سفراته إلى الجزائر لدرجة أنه كان يقضي ستة أشهر كل عام في الجزائر. عاد بعدها إلى فرنسا يمارس هواية الرسم والتلوين باحترافية عالية، وهذا الأمر جعل فرنسا أول مرة تقتني إحدى لوحاته، وكان ذلك عام ١٨٨٦م، وأسّس بعد هذا النجاح والتميز رابطة الرسامين المستشرقين الفرنسيين عام ١٨٨٧م، ثم سافر إلى الجزائر ليزور منطقتي الأغواط والبسكرة، ثم يستقر في بوسعادة التي وجد فيها راحته وطمأنينته، فصوّر طبيعتها التي سحرته، وبيوتاتها، وأزقتها، وناسها ببساطة عيشهم، وحبهم الآخرين، لدرجة أنه ألفهم، واقتفى أثرهم، وتعلّم لغتهم حتى أصبح بوسعادياً لا تفرق بينه وبين سكان أهلها الأصليين، يلبس لباسهم، ويأكل طعامهم، ويتطبع بطباعهم وعاداتهم وأخلاقهم التي وجد فيها ضالته، فأسلم بعد أن كان في صراع داخلي مع نفسه ومع ألوهية المسيح، وكان ذلك عام ١٩١٣م؛ إذ نطق دينيه الشهادتين بحضور مفتي الجزائر. وهكذا أصبح دينيه الفرنسي ناصر الدين دينيه –وهو الاسم الذي فضّله بعد دخوله الإسلام– مسلماً يقرأ القرآن ويصلي، بل يحجّ إلى بيت الله الحرام، ولم يكن اعتناقه الإسلام نتيجة تجربة أو تأثر بسيط، بل كان –كما يذكر– نتيجة بحث ودراسة تاريخية معمقة لجميع الديانات. ويصف دينيه كيف تعرّف الإسلام قائلاً: «عرفت الإسلام فأحسستُ بانجذاب نحوه، وميل إليه، فدرسته في كتاب الله، فوجدته هدايةً لعموم البشر، ووجدت فيه ما يكفل خير الإنسان روحياً ومادياً، فاعتقدت أنه أقوم الأديان لعبادة الله،



واتخذته ديناً، وأعلنت ذلك رسمياً على رؤوس الملأ». وهذا الأمر جعل الغرب يصفونه بالخيانة، حتى إن كاتبهم ج. دينيه. رولانس بعد أن اعترف بفنه قال: «إن مواهبه كفنان نادرة، وأما بخصوص اعتناقه الدين الإسلامي فهذا أمر لا يمكن لعقليتنا الغربية العريقة والدينية أن تقبله».

مدينة السعادة سر إبداعه

خلال القرن التاسع عشر عاش في الجزائر كثير من الفنانين المستشرقين، الذين أعجبوا بها وبثرائها البيئي والثقافي والتراثي، أمثال: زعيم الحركة الرومانتيكية دولاكرو، الذي بهرته الجزائر بناسها وطبيعتها، وتعدّ لوحته (نساء من الجزائر) من أشهر أعماله، وأوجيه فرومنتان الذي زار الجزائر بصحبة بعثة للتنقيب الأثري عام ١٨٥٢م، إضافةً إلى ناصر الدين دينيه الذي

عشق بوسعادة أو (مدينة السعادة) كما يدلّ عليها اسمها؛ فهي محطة سياحية أسطورية، وأقرب واحة إلى الساحل الجزائري؛ لذا تُسمى أيضاً (بوابة الصحراء). هذه المدينة الحالمة تبعد من العاصمة الجزائر مسافة ٢٦٠كم تقريباً، وتشتهر بأسواقها الشعبية التي تملؤها الحرف التقليدية المتميزة؛ مثل: صناعة الحُليّ الفضية، والزرابي ذات الخطوط الهندسية والنباتية، والملابس المطرزة بالزخارف الشعبية. أما متحف ناصر الدين دينيه، والممرات، والقلاع، ومسجد زاوية الهامل، إضافةً إلى طاحونة (فيريرو) الشهيرة، فكلها معالم يحرص على زيارتها السائح الآتي من كل مكان ليستمتع بمناظر النخيل والجبال ودعة الشمس، كما أن التجوال في واحاتها، وحدائقها، وتحت أقواسها التقليدية متعة حقيقية.

ويعدّ دينيه واحداً من الذين وقعوا في حب هذه المدينة السعيدة الساحرة؛ إذ عاش فيها أكثر سنوات عمره، واهتدى فيها قلبه إلى الإسلام، وبنى فيها بيته الذي أصبح متحفاً لأعماله بعد وفاته؛ لتكون موطنه الأبديّ بعد أن خصّها بأكثر من ١٣٩ لوحة تشكيلية تصوّر جمالها وبيوتاتها وناسها، حتى أصبحت بوسعادة ملهمة الفنان دينيه، فأثّرت في تشكّل فنه وتقنياته وأدواته، فأبدع، وفي ذلك ذكرت موسوعة ويكيبيديا: «دينيه مثل البوسعاديين ينتظر قمر رمضان مشدوداً إلى السماء بعد أن كان مشدوداً إلى الأرض، في بوسعادة أسلم، وفي بوسعادة قضى حياةً فنيةً عامرةً بالعطاء، وفي بوسعادة اليوم ضريحه، وبقية من روحه العطرة، وتراث ثرّ من الإبداع الذي استلهمه ناصر الدين دينيه من بوسعادة، وحياة ناسها البسطاء الطيبين، ومن نسائها الجميلات، وطبيعتها الساحرة، ومن نخيلها الباسق، ومن تمرها الحلو، وهي التي سكنت قلبه، فسكن أرضها إلى الأبد».

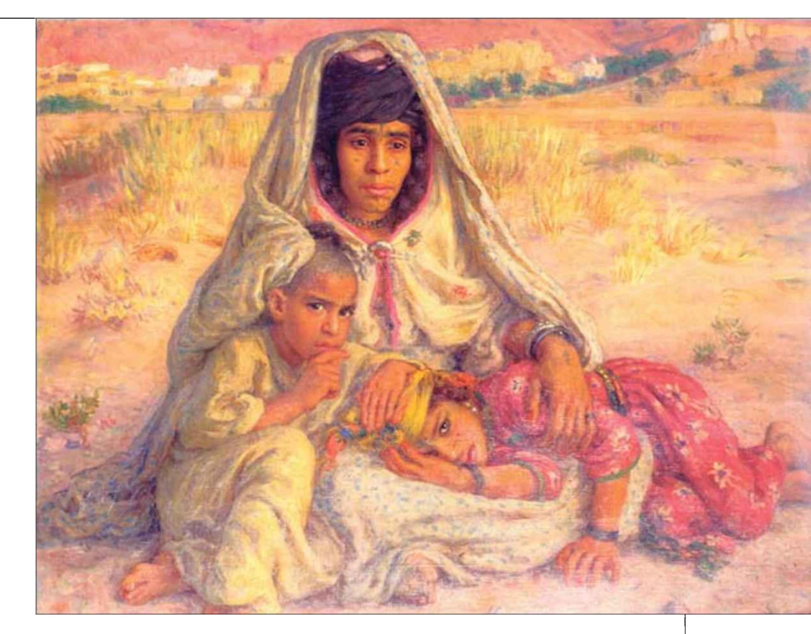
منزله متحف لأعماله

بعد أن قرّر دينيه الاستقرار في بوسعادة سكن بيتاً متواضعاً في حيّ الموامين، قريباً من منزل صديقه إبراهيم باعامر، حيطانه من الطين، وسقفه من خشب العرعر، قضى فيه أجمل حياة عمره، وبعد موته كان متحفاً لأعماله يزوره النقاد والذواقون والمحبون للفن التشكيلي من كل مكان. وفي الأربعينيات اشترت إحدى العوائل منزل باعامر الملاصق لمنزل دينيه، وقامت بهدمه، وكانت مديرة المتحف ترغب في شرائه وجعله توسعةً في المتحف، لكن أصحابها طلبوا مبلغاً خيالياً، ومازالت المفاوضات جارية من قبل الدولة لشراء أراضٍ مجاورة للمتحف لتوسعته.

التقيت السيدة عائشة حيون -مديرة متحف ناصر الدين دينيه- فذكرت بدايةً أن المتحف يضم بين جنباته ١٢

جمال الشرق يعبث بالخيال

تعدّ لوحة موت ساردانابال من أهم لوحات الاستشراق المبكر؛ ففيها كلّ العناصر الشرقية الفاتنة، وقد أجّج دي لاكروا المشاعر البصرية من خلال التفصيلات التي وضعها في اللوحة، والأجساد المترعة بالعافية الجنسية، والملك المستلقي تلتفّ حوله مجموعة من الجواري، وعند قدميه أمته، وهم بانتظار النار التي ستأتي عليهم كأنهم قرابين. وحرص الفنانون على الإثارة لدعم موضوعاتهم، وغدت سوق النخاسة موضوعاً شائعاً يتيح لهم عرض أجساد النساء عاريةً أو تحت لباس يشفّ عن جمال يعبث بخيال المشتري والرائي. وصار الحرملك مصدر إلهام للفنانين، فراحوا يغرفون منه تاركين لخيالاتهم ابتداع أجساد تفيض بالرغبة والجمال، ومع أن عدداً منهم صوّر الحياة اليومية بأشكالها، سواء الأسواق بما تحتويه من عرض للسلع، أو معاينتها من الزبائن، أو الحارات بناسها، أو المساجد بهيبتها الروحية، أو الحياة اليومية في البيوت، وطرز عمارتها، وزخارفها، والعبيد والإماء الذين يشغلون حيزاً من المشهد، فقد أولى بعض الفنانين الدقة لنقل المشاهد بألوانهم الساحرة، والأزياء الملونة بشفافيتها الكاشفة لما يمكن أن يكون مستوراً. ولم يقتصر الأمر على المصورين، فقد بدأ الأدب يغرف من هذا المنهل، كالموسيقا التي أغنت الأوبرا بموضوعات شتى، ولو أردنا تعداد الأعمال الأدبية أو الأوبرا لضاق بنا المجال مادام موضوعنا في الأساس هو فن التصوير والاستشراق.



لوحة أصلية من أعمال ناصر الدين، إلى جانب ملصقات (بوسترات) منسوخة على القماش، والمتحف لا يحوي كلّ أعماله؛ فأعماله تزيد على ٥٠٠ عمل موزّعة بين المتاحف والمجموعات الخاصة في الجزائر وفي المتاحف العالمية. وتضيف السيدة حيون: يعدّ متحف ناصر الدين حديث التأسيس؛ فقد تم تدشينه عام ١٩٩٣م، وبسبب الأوضاع الأمنية غير المستقرة كانت الانطلاقة الحقيقية للمتحف عام ٢٠٠٤م.

يتكوّن المتحف من جزأين: الجزء الأول خُصّص لأعماله، وكلّ ما يخصّه من مخطوطات وغيرها، والجزء الثاني فيه منزله الذي كان يسكنه بطرازه التقليدي بعد أن تم عمل بعض الترميمات البسيطة حفاظاً عليه. وعن أوقات الزيارة ذكرت السيدة حيون: يستقبل المتحف زوّاره طوال أيام الأسبوع من التاسعة صباحاً حتى منتصف النهار، ومن الواحدة والنصف ظهراً حتى الساعة الخامسة مساءً، بينما يغلق المتحف أبوابه يومي الجمعة والسبت. أما عن مصير أعمال ديني الموزعة في متاحف الجزائر والعالم، فذكرت أنهم يعملون الآن على استرجاع أعماله الموجودة في المتاحف الجزائرية، ثم تضيف: استرجعنا بالفعل بعض أعماله من المتحف الوطني للفنون الجميلة.

الحقبة السوداء

خلال عام ١٩٩٥م حدث اعتداء على متحف دينيه احترق على أثره بعض الأشياء البسيطة؛ مثل: سريره الذي كان ينام عليه، وأدواته الخشبية التي كان يستعملها، إلى جانب أشياء أخرى، أما الأعمال الفنية فلم تصل إليها ألسنة اللهب. ولسلامة الممتلكات أخذت الدولة أعمال إتيان ووضعتها بصفة مؤقتة في متاحف أخرى أكثر أمناً؛ كمتحف الفنون الجميلة بالعاصمة الجزائر، ومتحف أحمد زبانة في وهران، ومتحف سيرته. وبعد أن عاد الأمن تم استرجاع هذه الأعمال، ولا تزال المفاوضات مستمرة مع متحف وهران ومتحف قسنطينة لاسترجاع البقية. أما الأعمال التي في فرنسا، فهي ملك للحكومة الفرنسية، بينما بقيت بعض أعماله -حسب وصيته- عند أحفاد ابنه بالتبني سليمان بن إبراهيم الذي وافاه الأجل قبل أن تلتقيه السيدة حيون في فرنسا بأيام قليلة بعد أن ترك لها ثلاثة أعمال فقط، إضافةً إلى وصيته وبعض الوثائق المهمة.

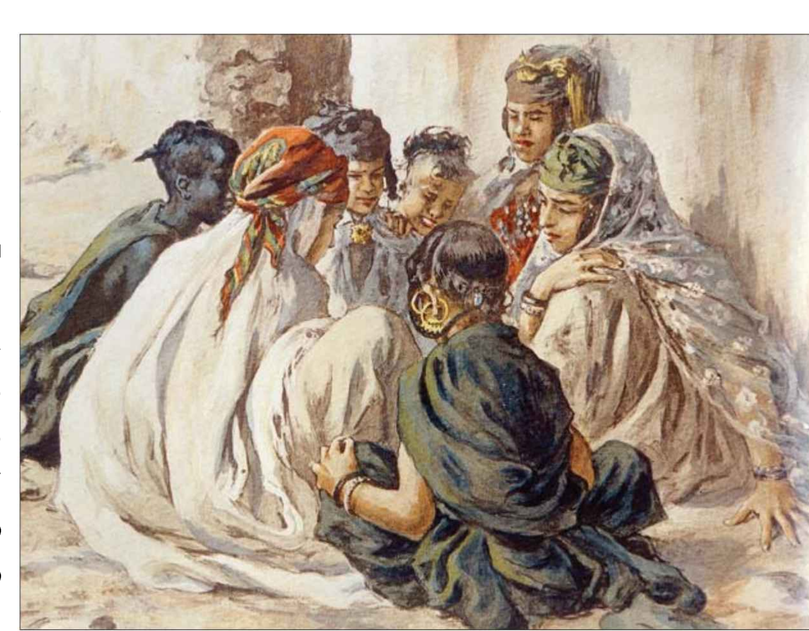
الحاج دينيه في مكة

عند بلوغ دينيه الـ٦٨ من عمره حجّ إلى بيت الله الحرام برفقة صديقه باعامر عام ١٩٢٩م، وبعد أن أنهى مناسك الحج كتب رسالته الشهيرة من المملكة العربية السعودية، وتحديداً من محافظة جدة، يقول فيها: «هذه الرحلة تركت في نفسي انطباعات لم أشعر بما هو أسمى منها في كل حياتي؛ فلا أحد في العالم يمكنه أن يعطي فكرة عما شاهدته من جوانب هذه العقيدة الوحدانية، من حيث المساواة والإخوة بين نحو ٢٥٠ ألفاً من الناس من مختلف الأجناس كانوا مزدحمين الواحد بجانب الآخر في صحراء موحشة». وبعد رجوعه من الحج سُمِّي بـ(الحاج ناصر الدين)، وعاد بعدها إلى باريس، ولم يتمكن من العودة إلى الجزائر؛ لأن المرض لازمه، فعاد إليها ميتاً بعد أن صلّى عليه كثير من الشخصيات الإسلامية، وممثّلون عن الحكومة الفرنسية في مسجد باريس الكبير، ثم نقل جثمانه -حسب وصيته- إلى الجزائر، ودفن في مقبرة (الدشرة القبلية) في بوسعادة في ضريحه الذي بناه لنفسه بجوار قبر رفيق دربه باعامر.

وصيته بالعربية كتبها بخط يده

استعنت بمديرة متحفه السيدة عائشة حيون لقراءة نصّ الوصية التي جلبتها مؤخراً من فرنسا؛ فمع أنه كتبها بالعربية إلا أنها لم تكن واضحةً بالشكل المطلوب، كما أنها كانت تحمل في طياتها أخطاءً إملائية، وألفاظاً تخصّ اللهجة الجزائرية التي تعلّمها؛ مثل: لفظة (فريستي) التي تعني (جثتي)، ولفظة (فرانصه) وتعني (فرنسا)، ولفظة (كيفاش) التي تعني (كيف)، وغيرها من الألفاظ. ولأن ناصر الدين لم يتزوج فقد كتب وصيته إلى ابنه بالتبني سليمان بن إبراهيم، وهو ابن أخت رفيق دربه إبراهيم، وكتبها في فندق الواحد في بوسعادة في الأول من مارس عام ١٩١٥م؛ أي: قبل نحو ٩٧ سنة.

لوحة «الراقصة ذات الوشاح» تقدر قيمتها بأكثر من 700 ألف يورو، وفي كل عام ترتفع أسعار لوحات دينيه بسبب تمجيد الصحافة الخليجية لها



نص الوصية

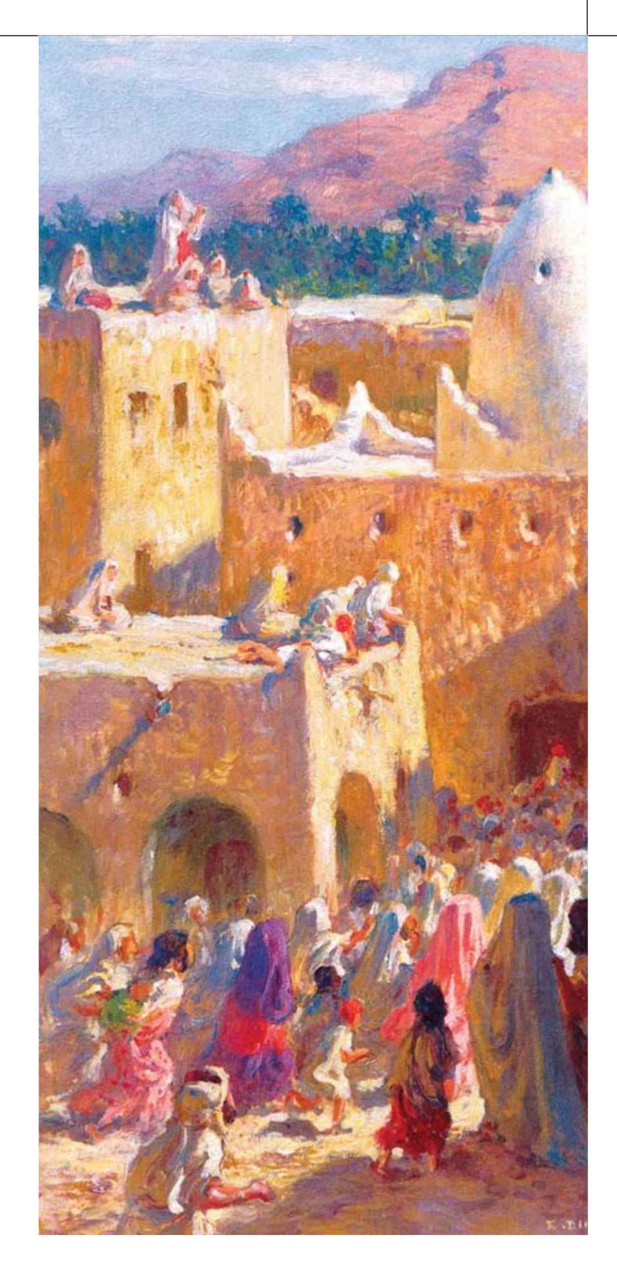
«الحمد لله وحده، وبه نستعين.. إلى محبّنا وأعز الناس عندنا، وليدنا (ابننا) سليمان بن إبراهيم. لو كان ما جتني (جاءني) الموت كتبت في كتيبة وراثتي (في مدونة وصيتي) باش (من أجل) يدفنوني دفينة مسلم موحيد (موحد)، ويردوا فريستي (جثتي) إلى بوسعادة لو كان مت في فرانصه (فرنسا). لاكن (لكن) لو كان ماسيبتواشي (تركتوها) كيفاش (كيف) تردوا فريستي (جثتي) إلى بوسعادة». إلى أن يقول: «نطلب منك تبني لي قبر، خرج (خارج) جبانة (مقبرة) المؤمنين (المؤمنين)، تكتب فيها الشهدة (الشهادة) أني مسلم مادين (بدين) خالص. وأنا شهدت (أشهد) أن لا اله إلا الله، وسيدنا محمد رسول الله، وتدفن فيها حاجة متاع لبستي (ملابسي) في مضرب فريستي (في مكان جثتي).. وعليك السلام ورحمة الله وبركته (وبركاته).. من أبيك دينيه، آمين».

وبالفعل، بعد وفاته أعادت السلطات الفرنسية جثته إلى الجزائر، وتمّ دفنه في قبره بمدينة بوسعادة، وكُتب على شاهده بالخط الثلث: «هذا قبر المرحوم بمنة الحيّ القيوم الحاج ناصر الدين، وُلد بتاريخ مارس سنة ١٨٦١م، واعتنق دين الإسلام سنة ١٩١٣م، ولبّى دعوة ربّه بتاريخ ديسمبر سنة ١٩٢٩م». ثم تلا هذه الأسطر ترجمة لها باللغة الفرنسية.

قراءة في أعماله

المتابع أعمال دينيه يلحظ أنها تنتمي إلى مرحلتين من حياته: مرحلة ما قبل الإسلام، ومرحلة ما بعد الإسلام؛ إذ تصور أعماله التي رسمها قبل الإسلام نساءً عاريات، بينما تصوّر أعماله التي أبدعها بعد دخوله الإسلام نساءً محجبات، كأن الإسلام قد غسل ريشته فأصبحت لا ترسم إلا الجمال والطهر والعفاف. كما صوّرت ريشته مدينة بوسعادة التي أحبها وفق أسلوب فني يقول عنه المؤرخ الدكتور عفيف البهنسي: «امتاز أسلوب الحاج ناصر الدين بالواقعية التقريرية التي فرضتها قوة

ملاحظته، وبذلك كان قريب الصلة بالناس، ومع أنه رسام دقيق إلا أن مقدرته التلوينية الخارقة قد أعطت واقعيته معنى خاصاً». بينما يرى سيد أحمد باغي أن أعماله أقرب إلى الانطباعية بما فيها من إثارة خفية على الرغم من قربها من الجمهور وتصويرها معاني الحياة الإنسانية. أما الناقد جان لونوا فيعدّ فنّ دينيه مرحلةً من مراحل الاستشراق الإفريقي المهمة؛ لما له من مكانة كبيرة في الفن التشكيلي.



متاحف العالم تقتني إبداعاته

ترك دينيه لوحات خالدة، وتعدّ لوحات: الصلاة، والعودة، وغداة رمضان، من أشهر أعماله، إلا أن عمله (الأم كلوتيد) حظي بقبول واسع عند النقاد والمثقفين مع أنه أول عمل قام برسمه بعد تخرّجه في مدرسة الفنون الجميلة. وأهّله عمله (صخرة صاموا) للحصول على لوحة الشرف عام ١٨٨٢م، وبعدها بعامين؛ أي: عام ١٨٨٤م، حصل على وسام صالون قصر الثقافة، بينما مُنح الوسام الفضي في المعرض العالمي الذي أقيم بباريس عام ١٨٨٩م. وتزيّن أعماله معجم لاروس، ويقتني أعماله كثير من متاحف العالم؛ مثل: متحف برلين، ومتحف باريس، ومتحف سيدني، ومتحف طوكيو، إضافةً إلى متحف الفنون الجميلة في الجزائر. وقد اطّلعت على بعض لوحاته خلال زيارتي الجزائر؛ مثل: لوحة (امرأة مطلقة طردها زوجها مع أطفالها)، ولوحة (سطوح الأغوار)، ولوحة (الخروج من المدرسة القرآنية)، التي يصوّر فيها أطفالاً يلعبون مع أحد أقرانهم بعد خروجهم من مدرسة تحفيظ القرآن، ولوحة (الراقصة ذات الوشاح) التي تقدّر قيمتها بأكثر من ٧٠٠ ألف يورو. وفي كل عام ترتفع أسعار لوحات دينيه؛ بسبب تمجيد الصحافة الخليجية لها، والآن تباع بعض أعماله في جاليري دغو بباريس. أما أعماله التي تزيّن بعض الكتب؛ مثل: عنتر، وربيع القلوب، وسراب، ولوحة الحياة العربية، والفيافي، والقفار، فقد جسدت صحراء الجزائر البلد الذي أحبه.

- أحب دينيه بوسعادة التي عاش فيها أكثر سنوات عمره، واهتدى قلبه فيها إلى الإسلام، فخصها بأكثر من ١٣٩ لوحة تشكيلية

ناصر الدين ينصر الدين

لم يكن دينيه رساماً مشهوراً فقط، بل كان مفكراً وكاتباً،

سخر قلمه لنصرة الإسلام والمسلمين؛ إذ نشر آراءه في كثير من الكتب التي يتحدث فيها عن الإسلام، وعظمته، وسعة أفق علمائه، وأنه لا يقيّد التفكير بقدر ما هو يوسع المدارك، يرد فيها على كثير من كُتّاب الغرب المرجفين المشككين في حقيقة الإسلام وأهله، منها: أشعة خاصة بنور الإسلام، والشرق كما يراه الغرب، الذي تُرجم إلى العربية تحت عنوان: آراء غربية في مسائل شرقية، وكذا كتاب (إنك في وادٍ ونحن في وادٍ) يردّ على المستشرق لامانس؛ القسّ اليسوعي الحاقد على الإسلام وعلى نبيّ الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم. وبعد عودته من الحج ألّف كتاب (الحج إلى بيت الله الحرام)، أما كتابه (محمد رسول الله)، الذي يصوّر فيه سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، والذي شاركه في تأليفه سليمان بن إبراهيم، فيعدّ من أهم مؤلفاته، وكان قد وضع مقدمة هذا الكتاب الشهير شيخ الأزهر الدكتور عبدالحليم محمود في مارس عام ١٩٥٦م.



المراجع

- http://ar.wikipedia.org
- http://majdah.maktoob.com/vb/majdah67938/
- عفيف بهنسي، روّاد الفن الحديث في البلاد العربية، بيروت: دار الرائد العربي، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص٢١٤.

حي جرو بالاس

نديم جورسيل
ترجمة: أحمد عثمان
الإسكندرية - مصر



قصة

أقطن أنا وأمي وأخي الكبير في حي جرو بالاس، لكنني لم أرَ أخي قط. قالت أمي: إنه يأتي إلى المسكن مرةً أو مرتين خلال العام بعد منتصف الليل، ويرحل قبل الفجر. كل ليلة أراه في الحلم ماشياً في أزقة جرو بالاس المتوحلة بقبعته الحمراء المتلألئة في الضوء الكئيب، ولفافته الخضراء الملفوفة حول عنقه. كل ليلة يمضي أخي بقبعته الحمراء على رأسه أمام النافذة، ويكشف لي عن وجهه الشاحب عبر الزجاج الكامد قبل أن يذوي في العتمة. حتى الصباح لا يكفّ شعر أمي عن التحول إلى اللون الأبيض. لا أرى شيئاً آخر، يتتابع الحلم نفسه على مدار الليالي. نأكل أفراخ الكركي في كل وجبة، ربما لأننا نستلذّ لحمها، وليس لفقرنا سبب. في يوم، بينما ألعب في الشارع، وفطيرة في يدي، عرف بعض الأطفال مسكننا الخشبي الذي نقطنه في حي جرو بالاس. نحن بعيدون من الباصات، من الشوارع المسفلتة المضاءة بالنيون، من الفتيات ذوات الأعين الجميلة اللائي يمشطن شعورهن أمام مرايا المقاهي الكبيرة. حينما نصنع رجلاً من الثلج لا تبلغ مناماتنا سراويلنا. مثل جميع أطفال العالم نلاقي المساء بفرح، نتخيل أنه في الليل يصعد موتانا إلى السماء المرصعة بالنجوم. كنا أطفالاً، والسماء تتبدى لنا زرقاء طوال النهار، وقريبة منا جداً. لكن في كل الأمسيات الكركي والغباشة على طاولتنا، تأكل أمي قليلاً وعيناها مثبتتان بنظرات غائبة على منتصف الطبق.

في بعض الليالي أسمع أخي يمضي أمام النافذة لحيته باردة، فأستيقظ. أرى أبي، الذي لم تصفه أمي لي قط، يهبط الدرج الخشبي بخطوات فاترة في سرواله الأبيض، نقول شبحاً. لم يكن ميتاً، يعيش معنا، والليل يحمي مسكننا من اللعنة. حريته في غمدها مخبأة في قاع الصندوق المغلق بالمفتاح، الموضوع في ركن الغرفة، الذي تمنعني أمي من لمسه. إلا أنني لم أرَ أبي البتة في وضح النهار، في وضح الألوان والأشكال. حينما أسأل أمي: أين هو؟ تمسح الدموع التي تفرّ من عينيها بطرف حجابها، وتجيبني: إنه في السماء يا صغيري. أرى من فوري ليلة صيفية حارة في كل ومضة من ومضات نظرتها، ثم أنشأ أتخيل أبي نجمة من هذه النجوم المعلقة في السماء. هذا الخوف الغامض الذي أكابده في العتمة يلاحق نظرتي المحمومة، أجذب الغطاء وأبحث عن دفء أمي التي تنام إلى جانبي، أرتجف تحت الغطاء المرقع، يهبّ البرد من النافذة، أرى شواهد القبور غير الواضحة في العتمة. منذ أمد بعيد، ممتزجاً بالليل، يقبع المسجد الصغير المقام إلى جانب المقابر بمئذنته المحطمة، يقبع بلا شكل مميز. الأشباح ترقص في السماء، في كل مكان وجوه الموتى حاضرة. خائفاً من العتمة أشعل المصباح، أرى أمي جالسةً على الفوتيل، مرتديةً ثوباً مزركشاً بالورود الأرجوانية اللون، في الضوء الشاحب تحيك الصبر، وجهها كأنه مخفيّ خلف الستائر، أبيض، وضوء القمر يغمر يديها. كانت متعبةً، تتخيّل أنها ستترك رقصة الأشباح في السماء. التصق لساني في فمي، وفيما تعمل كي تشتري فرخ الكركي اليومي بعينيها المنهكتين من الحياكة والأرق أحببتها، بيديّ الصغيرتين وعقلي الناضج لم أكفّ عن حبها.

في مسكننا المكوّن من غرفتين أتحرك بين الأركان المعتمة. انتهت حياة جدي لما تُوفِّيَ في غرفتنا الصغيرة. تمر السنوات في العتمة من دون هدنة، تتراكم دائماً، أرهق جدي نفسه دائماً في قراءة كتبه، كل شعرة في لحيته وحدة عتيقة، وقربه القط البرتقالي يتأمل يديه وعروقها الزرقاء. بالنسبة إلى جدتي، كانت واقفة بعيداً في الخلف، وجسدها مفكّك من الضوضاء الآتية من الشارع. تدريجياً، ازداد من يرحلون، وخالاتي يضحكن خلف نظاراتهن السوداء.

تمضي السنوات مثل طيور السنونو المتجهة إلى الجبال ذات مساء صيفي، تمضي السنوات على بشرة أمي البيضاء، وعلى شعري الأشقر. كل شيء في ألبوم ذي جلدة خضراء، والموت لا يكشف أبداً عن وجهه المعتم، عن جميع أفراد العائلة. بقيت أمي التي أراها كل يوم بأصابع يديها الناعمتين تلتقط فتات الخبز على الأقمشة، في كل مساء جالسة على الفوتيل، ترقع ثياب حدادنا. فجأةً، أصبح حيّ جرو بالاس مهجوراً: غرفتان، امرأة ذات وجه دائري وشعر أبيض، تنتظر بلا ملل أمام النافذة، ورجل شاحب الوجه يرتدي قبعة حمراء على رأسه، أخي الذي أحلم به طوال الليالي. هذه الوحدة تخيفني في المساء، حينما أعود متعباً

من المدرسة أتصفح الألبوم ذا الجلدة الخضراء الموضوع على الصندوق قبل أن أنام، هذا الصندوق الضخم الذي توجد فيه أشياء لأمي سليمة لم تمسّ، وليس فقط حربة أبي كما اعتقدت. في زي الجندية، وقف والدي منتصب القامة في طرف الصورة المبقعة، هناك كلمات مكتوبة أسفلها: أحمد، وُلد عام ١٨٨٥م، وتُوفِّي عام ١٩١٥م. كنت أتخيّله دوماً عجوزاً ملتحياً، إلا أنه تُوفِّي في الثلاثين من عمره.

سيفي، ناجٍ من حروب الدردنيل: عند متابعة العدو في تقهقره وجدته في خندق، رأسه تطفو على مياه المطر، زرقة عينيه الواسعتين تتكدر كالعتمة. وجدت في جيبه سيجارة ملفوفة ومنديلاً متسخاً منقوشاً عليه حرف (أ) بخيط أحمر.

على ورقة من ورقات الألبوم صورة طفولية لأمي وخالتين من خالاتي تكدرني دوماً. رسمت أمي بسمة أعلى كتفيها حيث تسقط جدائلها، كانت البسمة خطأ أسود لحياة يتيمة حطّت على شفتين رفيعتين. خالتاي واقفتان على جانبيها، متقدمتان عنها، نقرأ أسماءهن تحت الصورة: ربيعة، صايمة، عائشة.

مصطفة الغواص: لماذا ننذر أنفسنا للموت؟، هذا السؤال لاحقني بعد أن رفعت الجسد. كانت الجثة مغطاةً بالطحالب، إلا أنني عندما أخذتها بين ذراعي كي أضعها على الرمال رأيت الضوء المتكسر بفعل المياه يعطي وجهها صفرةً جذابةً، الجثة لامرأة نحيفة ذات أصابع هشة كالأصداف.

تحت عنوان: حوادث متفرقة، لإحدى الصحف اليومية (٢٣ نوفمبر ١٩٤٦م): «بعد بحث طويل تم انتشال جثة (ر. ك.)... التي وضعت حداً لحياتها بأن ألقت نفسها من الباخرة (قادش) في عرض البحر. بما أننا نجهل سبب انتحارها نفترض إصابتها باكتئاب عصبي».

خالتي صايمة هي الكبرى، خلفها تمتد سماء مبقعة بنقاط صفراء نقلها الزمن على الصورة.

مختصر من صحيفة (سلام): اليوم ٣ مارس ١٩٥٣م ربما كان اليوم الأكثر حزناً في حياتي. لن نرى بعد الآن وجه معلّمتنا في مادة الطبيعة المبتسم في كلّ درس، بكى كل من في مدرسة الفتيات بأدانا. لن أنسى أبداً صايمة تجاني التي تركتنا من دون أن ترى ثانية الأشجار المورقة. على قدر ما أحيا سوف أحفظ في ذاكرتي عينيها المتلألئتين بالذكاء خلف نظارتها السوداء، ووجهها الذابل الذي يسعى إلى الابتسام حينما زرناها بالضبط قبل وفاتها.

الموتى كثيرون في عائلتنا، حتى إنه يعتريني الخوف من النظر طويلاً في الألبوم، خصوصاً أنه تضطرب يداي في فكرة أن أبي ذا الشارب الكثيف كما أعتقد سيبرز أمامي وملامحه متغيّبة بالكامل. تحيك أمي عذابنا، منذ سنوات طويلة لم تخرج أمي من حيّ جرو بالاس. أذكر في طفولتي أنني كنت ألاحظها في غرفتنا نفسها مكان أقربائي الذين يعيشون في الصور الباهتة، لكن من يتنفس منهم أنا وأمي وأخي الذي لم أَرَهُ قطّ. تقول أمي: إنه يأتي مرةً أو مرتين خلال العام، يأتي بعد منتصف الليل، ويرحل قبل الفجر. أصابني الضجر في هذه البلدة، أريد أن أتعرف إلى الناس، أمسح للأبد الوجه الأبيض لأمي، الصور الباهتة في الألبوم الأخضر.

في ليلة حلمت أنني أضرمت النار في جرو بالاس، كانت ليلة ربيعية باردة، جذبت الغطاء عن جسدي ببطء. ثقب معتم ينحفر في رأسي، يتدلى الليل ثقيلاً أعلاي، ليل المحطة الصغيرة، ليل الشارع الوحيد بالبلدة والأزقة المتوحلة والبلديين الذين لا أودّ حتى رؤية وجوههم. تحيك أمي قلنسوة لي على ضوء المصباح، على وجهها صفرة الأرق الكئيبة. أقترب منها ببطء، يتطلع أحدنا إلى الآخر من دون أن ننبس ببنت شفة. فهمت ما أعنيه، وهمست في أذني أنها لن تهجر جرو بالاس أبداً. أمسكها بيدي، ونمشي معاً، بينما نهبط لم يصرّ الدرج. أنزع فتيل المصباح الذي أحمله بيدي، وأقذفه على غطاء الفوتيل، تعانقنا. «انتهى الأمر! أصرخ، البكاء كل ليلة، العذابات، نهارات البلدة المعتمة والمقلقة، المدرسة، الشارع الكبير، جرو بالاس، انتهى كل شيء!. أخيراً تخلصنا من العتمة، لا يوجد جرو بالاس! الموتى يحترقون على صفحات الألبوم المتربة، سيختفون نهائياً عن حياتنا». ارتعبت أمي من النيران التي راحت تقترب من حوائط المسجد، أسندت رأسها إليّ، أشعر بقلبها يخفق في قفصي الصدري. الأشباح

ترقص في السماء، المقبرة مضاءة كما في وضح النهار. بعد أن تركنا خلفنا النيران تكتسح الليل، المقبرة، جرو بالاس التي تحترق مطقطقةً، اتجهنا أنا وأمي نحو الضوء في الأفق.

في المساء، بينما أرى نفسي تمضي حياتها قبالة عجوز تحيك الأقمشة؛ مثل البحر الذي لم أرَهُ قبلاً خطاً غامقاً على الحوائط المتسخة المهدمة لغرفتنا، لم أحبّ سوى هذا الأزرق الغامق، وأنشأت أنظر بضيق إلى وجه أمي. كان أخي جندياً بحرياً على باخرة عتيقة تضئ نيرانها الخضراء والحمراء الليل، تاركاً إياي وحيداً في هذا المسكن الملعون، رأسي قبالة رأس أمي مع موتانا، مبحراً نحو البعيد.

في ليلة بجرو بالاس، ليلة من هذه الليالي الشبيهة لديّ بليالٍ أخرى، رأيت أخي أخيراً، لم يكن حلماً، منذ فترة طويلة لم يعُدْ يمضي أمام نافذتي بقبعته الحمراء ولحيته غير المحلوقة جيداً. عرفت أنه هرم، صدغاه متهدلان، ربما لأنه عاش زمن أبي، أراد أن يعرف أمي قبل أن يبيض شعره الطويل. لا أنام، أتابع أمي بطرف عيني وأنا غاطس تحت غطائي، تحيك على الفوتيل، ضوء القمر كأنه يحجب ببياض شاحب النافذة التي لا تزينها الستائر. بالتأكيد تبكي، أتخيل شفتيها تختلجان، قلق أحمق يثيرني.

من الآن فصاعداً عدة أشياء يجب أن تتغيّر، وينمحي وجه أمي الأبيض من حياتي إلى الأبد. تتطلع أمي إليّ لحظةً في قلق معتقدةً أنني نائم. رسمت شفتاي بسمة تافهة، يهبط الليل بغزارة على قلبي، كوّنت بمشقة وجه طفل باسم في يقظته، سوف تبقى هذه اللعبة طويلاً. أطفأت أمي المصباح، إلا أنها ظلّت ساكنةً في مكانها. فجأة، سمعتُ أحداً يدقّ على الباب، المصباح أبيض ثانيةً، بخفة عصفور صغير تتجه أمي نحو الباب، يتبدّى ظلّ عملاق على العتبة، ثم اختلط الظلان على الحائط نصف المضاء. شاب ذقنه غير محلوق يدخل ورائحة تبغ، كان أخي.

- هل هو نائم؟ يقول مشيراً إليّ، صوته حاد منكسر.
- رجع أخوك متعباً من المدرسة، إنه نائم.

تساعده أمي في خلع معطفه.

- لا توقظيه -يقول أخي- انظري كم ينام جيداً، طفل حالم. يرتسم بحر أزرق على الحائط ببطء، تأتي رائحة لم أشمّها قطّ من قبل. نزعت أمي المعطف من العلاقة، ووضعته في ركن الغرفة.
- يشم رائحة الطحالب، يعطيني الإحساس بالحنين إليك.

غرقت في رغبة النهوض، في شمّ رائحة المعطف حتى شعرت بالنشوة. تمالكت نفسي بصعوبة، ثم تدريجياً انخفضت الأصوات، وخمدت الهمسات. أذكر كلمات أخي الأخيرة التي قالها، وفي عينيه تعب الليل:

- ينتظرني الأصدقاء، يجب أن أصل في الوقت المناسب إلى الباخرة.

حينما فتحت عينيّ ألفيت أمي راقدةً إلى جانبي، نهضت من دون أن أثير أيّ ضجة، وارتديت ملابسي.

الأمواج ترقص على الحائط في ضوء النهار. أنظر إلى أمي مديراً ظهري إليها، كانت نائمة. «انتهى الأمر!»، أفكّر. ما وراء شعرها الأبيض يرتسم -من الآن فصاعداً- وجه ميت خالياً من الذكريات. أغلقت خلفي باب جرو بالاس.

في الخارج الطقس بارد. هنا صمت الثلج، تخيّلته في السحب الرمادية المائلة إلى السواد. مررتُ أمام شحّاذ مبكر في صحوه، عصفوران يراقبانني من حائط المسجد. على حين غرّة أنشأ الثلج يتساقط، ثلج هشّ، بطيء. أدسّ يدي في جيب بنطالي، لم يعُدْ قلب أمي يدقّ في صدري، أمشي إلى أن أشم مرةً أخرى رائحة الطحالب.

(*) نديم جورسيل: روائي وقاصّ تركي شهير، من مواليد إسطنبول عام ١٩٥١م. يقيم بباريس، ويعمل مديراً للمعهد التركي بالمعهد الوطني للأبحاث العلمية، وكذا محاضراً في السوربون.



ازدانت المكتبة الجغرافية العربية بمصنف تراثي قيم عقب صدور كتاب (أنس المهج وروض الفرج- قسم شمال إفريقيا وبلاد السودان) للعالم الجغرافي الذائع الصيت الشريف الإدريسي، السبتي المولد والنشأة، القرطبي الدراسة، والصقلي الاستقرار (٤٩٣-٥٦٠هـ/ ١١٠٠-١١٦٥م)، ونشر الكتاب بتحقيق الباحث المغربي الدكتور الوافي نوحي، ويمثّل في الأصل أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ من جامعة محمد الخامس بالرباط.

أنس المهج وروض الفرج للشريف الإدريسي

عبدالسلام الجعماطي
تطوان – المغرب

يتكوّن الكتاب من شقين: أحدهما يشكّل دراسة مستفيضة لهذا الأثر الجغرافي، في حين يمثّل الشق الثاني متن الكتاب المحقّق. والواقع أن قسمين فقط هما ما حُقِّق من كتاب (أنس المهج)، الذي يظلّ معظمه مخطوطاً؛ إذ لم ينشر منه حتى الآن غير القطعة الخاصة بالأندلس التي حقّقها وترجمها إلى الإسبانية الباحث العربي جاسم عبيد مزال، ونشرها المجلس الأعلى للأبحاث العلمية في مدريد عام ١٩٨٩م تحت عنوان: الطرق بالأندلس خلال القرن الثاني عشر للميلاد حسب كتاب أنس المهج، وبالإسبانية: Los caminos de Al-Andalus en el Siglo XII según Uns Al-Muhay.

صدر الكتاب –موضوع هذه القراءة– ضمن منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب سنة ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م في ٤٩٤ صفحة من القطع المتوسط تقديماً ودراسةً ومتناً وخرائط ملحقةً وفهارس متنوعةً بلغت في مجموعها ١٥ فهرساً، مع تنبيه الباحث على كونها تقتصر على المتن فقط.

ويلمس القارئ المتفحص للكتاب المستوى الرفيع الذي بلغته الجغرافيا العربية حتى منتصف القرن ٦هـ/ ١٢م، وهو القرن الذي شكّل –في اعتقادنا– ذروة العصر الذهبي للجغرافيا العربية، غير أن ما يثير سؤالاً ملحاً حول الظروف المحيطة بتأليف كتاب (أنس المهج) هو كون صاحبه عالماً مسلماً من نسل آل البيت، ومع ذلك فإنه قدّم –من دون تردّد– خدماته العلمية الجليلة إلى أحد أنشط ملوك أوربا المسيحيين توسعاً في أراضي دار الإسلام، وهو روجار الثاني Roger II –ملك صقلية وجنوب إيطاليا– الذي وضع له الشريف الإدريسي كتابه (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)، في حين كان تأليف كتاب (أنس المهج) –تبعاً لما يرجّحه الباحث– تحت رعاية ملك مسلم، وذلك بناءً على استنتاجاته وتأويلاته لما جاء في ديباجة المخطوط المحقّق[1]، وهو الأمر الذي يدفعنا إلى طرح بعض الأسئلة في هذا الصدد، هي: ما سرّ تقلّب ولاء الشريف الإدريسي بين ملوك صقلية ودار الإسلام؟ وهل كان الإدريسي عالماً في ضيافة النورمان أم لاجئاً لديهم؟ وكيف يمكننا فهم موقف الإدريسي من سقوط دولة المرابطين الذين يكنّ لهم وافر المودة والتعاطف[2]، وصعود دولة الموحّدين، ذلك الصعود الذي قد يفسّر سبب عزوف الإدريسي عن الإقامة بالمغرب أو الأندلس الخاضعين لسلطانهم، وتفضيله الترحال إلى أحضان النورمان أعدائهم الألداء؟!.

كشف الباحث نوحي عن أهمية هذا الأثر التراثي الفريد في بابه، بوصفه «فتحاً كبيراً وإنجازاً عظيماً في عصره»[٣] في مضمار الأدب الجغرافي العربي خلال العصور الوسطى من عدة نواح، أبرزها -تبعاً لما جاء في دراسة الكتاب- هي:

- إضافة الجغرافي السبتي إلى خريطة العالم إقليماً ثامناً أول مرة في تاريخ الجغرافيا الكونية منذ أن وُضعت أولى مصوّراتها أو خرائطها في القرن الثاني للميلاد، التي تُنسب إلى العالم الفلكي والجغرافي اليوناني بطليموس الأقلودي Claudius Ptolemaeus (٩٠- ١٧٨م)[٤].
- إدخال الإدريسي تجديداً في رسم الخرائط، يتمثّل في تقسيم كل إقليم من أقاليم العالم عشرة أجزاء رأسية[٥].
- احتواء الكتاب على مقدمة فلكية شاملة، ذكر فيها الأقاليم الثمانية[٦].
- أسبقية الإدريسي إلى وضع مصنّف ينحصر موضوعه في تحديد المسافات بين الأمصار والبلدان براً وبحراً؛ فهو يعدّ دليلاً لشبكة الطرق العالمية[٧].
- جمع الإدريسي بين مدرستي الجغرافيا الفلكية ذات الأصل اليوناني وجغرافية المسالك والممالك العربية[٨].
- أسبقية الإدريسي إلى استخدام الألوان في خرائطه؛ لذلك فهو أول من رمز إلى البحار والمحيطات باللون الأزرق، وإلى الأنهار باللون الأخضر، وإلى المرتفعات بالألوان الغامقة تدريجياً[٩].

وإذ لا ننكر ما كان للشريف الإدريسي في هذا الكتاب من سبق في علم الجغرافيا، بوصفه رائداً في تحديد المسافات بين المدن والبلدان، وإدخاله وحدات قياسية ومفاهيم جديدة في مجال الملاحة البحرية، من قبيل: التخلية، وقطع روسية، والتقوير، وتجوين البحر، وغير ذلك، إلا أن ادّعاء سبق الإدريسي في كثير من الجوانب التي جاءت في دراسة الواقي نوحي لا يصمد أمام النقد العلمي المتعمق إذا أخذنا في الحسبان مضامين كتب المتقدمين عليه، ومناهجهم في الجغرافيا، وآراءهم في أبعاد الأرض وأقاليمها، ويمكن تفصيل الحديث في هذا الشأن وفق النقاط الآتية:

كيف لعالم من آل البيت أن يقدم خدماته العلمية إلى أحد أنشط ملوك أوربا المسيحيين توسعاً في أراضي دار الإسلام؟!

إضافة إقليم ثامن إلى أقاليم الأرض وأجزائها

لم يكن الإدريسي سبّاقاً إلى فكرة تقسيم الأرض ثمانية أقاليم بإضافة إقليم ثامن؛ إذ يذهب بعض روّاد تاريخ العلوم العربية؛ مثل: خوان فرنيط Juan Vernet، إلى القول بأسبقية البيروني في هذا المجال، بل إن هذا العالم الفلكي أضاف إقليمين إلى التقسيم البطليموسي[١٠]. كما يجدر التنبيه على أن قول الإدريسي بوجود امتداد للمعمور جنوب خط الاستواء لا يمكن عدّه -بحال من الأحوال- من اكتشافاته الشخصية؛ إذ نعتقد أن هذه النظرية سابقة بعهد مديد عن زمن الجغرافي السبتي، وفي هذا الصدد أضع بين يدي القارئ الكريم مقارنة بسيطة ومباشرة بين ما جاء به الإدريسي من جهة وما ذكره مؤلف مجهول صنّف كتاب (حدود العالم من المشرق إلى المغرب) بالفارسية سنة ٣٧٢هـ[١١] من جهة أخرى، ويعتقد مؤرّخو الجغرافية العربية أن أصل الكتاب عربي[١٢]، ويتبيّن بجلاء أن كلا الجغرافيين يضع حداً لعمارة المعمور جنوب خط الاستواء، مع فارق في الدرجات يحدده الإدريسي في ١١ درجة، بينما يصل لدى الآخر إلى ١٧ درجة؛ فنص (أنس المهج) يقول: «ثم لتعلم -رعاك الله- أن النهاية المعمورة التي خلف خط الاستواء مبلغها إحدى عشرة درجة، وهي من جهة الجنوب كلها صحارى متصلة، ومفاوز مقفرة، لا ماء فيها ولا عامر بها؛ لشدة الحر وتوالي الشمس» (ص١٢٢)، في حين نص (حدود العالم) يقول: «ولما كانت أكبر دائرة تحيط بالأرض هي ٣٦٠ درجة، ومساحة العمارة في الناحية الجنوبية تزيد بقليل عن ١٧ درجة في ١٨٠ درجة (...). أما الناحية الجنوبية من خط الاستواء، ففي بعضها بحر، وفي الآخر حرّ شديد، وأهلها بعيدون عن طباع الناس، وهم زنوج وأحباش وأمثال ذلك. أما ما يلي تلك الناحية، وحتى القطب، فلا يمكن أن يعيش فيه أحد لشدة حره» (ص١٠، ١١).

التجديد المتمثّل في تقسيم الأقاليم إلى أجزاء

أما الفكرة المتمثّلة في تقسيم كلّ إقليم عشرة أجزاء، فقد سبقه إليها أبو زيد البلخي؛ إذ قسم الأرض عشرين جزءاً[١٣]، وإن كانت الأجزاء في هذه الحالة ذات مدلول مخالف للمدرسة الفلكية اليونانية، كما أن الزهري –وهو جغرافي أندلسي معاصر للإدريسي، وربما كان سابق الوفاة عليه (توفي حسب بعض الدارسين بين سنتي ٥٤١ و٥٥٦هـ)– يخلط بين مفهومي الإقليم والجزء في قوله: «اختلف أهل النظر والمعرفة بمساحة الأرض في الأقاليم السبعة المحدودة؛ فمنهم من قال: إن الأقاليم هي أجزاء الأرض»[١٤]. ويخلص هذا الجغرافي إلى نتيجة أخرى، فحواها أن الفلكيين «اتفقوا أن السبعة الأقاليم من المشرق إلى المغرب يأخذ كلّ جزء ما أمكنه من كل إقليم»[١٥]. ويمكن الاعتراف عامةً بأسبقية الإدريسي إلى تعميم استخدام وحدة (الجزء) في وضع خريطة العالم، بعد أن اقتصر استعمالها على رسم خرائط دار الإسلام لدى جغرافيي المسالك والممالك، وفي مقدمتهم: البلخي، والمقدسي، وابن حوقل.

اشتمال الكتاب على مقدمة فلكية

أما أسبقية الإدريسي إلى وضع مقدمة فلكية في كتاب جغرافي إلى حدود عصره فغير واردة؛ إذ يتضمن كتاب (صفة جزيرة العرب) للهمداني (توفي بعد سنة ٣٤٤هـ) –السابق على وفاة الإدريسي بأكثر من قرنين من الزمان– مقدمةً فلكيةً مطوّلةً وحافلةً بالمعطيات العامة عن أبعاد الأرض، وأقاليمها، وبحارها، ومحيطاتها، قبل أن يفرغ للحديث عن الموضوع الرئيس لكتابه الجغرافي، وهو وصف بلاد العرب.

وضع كتاب مقصور على شبكة للطرق والمسالك

إن أسبقية الإدريسي إلى الكتابة في شبكة الطرق العالمية أمر لا يمكن القطع بصحته على وجه الإطلاق؛ لأن الكتابة في الطرق لم تكن جديدةً كل الجدة على الجغرافيين وأصحاب خطة البريد العرب؛ فقد سبق أن وُضعت مصنفات في شبكة الطرق بدار الإسلام على غرار ما ذكره المقدسي عن الجيهاني من كونه «ذكر الطرق شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، مع شرح ما فيها من السهول والجبال والأودية والتلال والمشاجر والأنهار»[١٦]، كما أننا نرجّح أن تكون مؤلفات أخرى قد صيغت في موضوعات مشابهة لما أتى به الإدريسي، من قبيل كتابي (الطريق، والمسافر) لحيان بن صدقة (توفي سنة ٣٣٠هـ)[١٧]. كما أن كتاب (أنس المهج) نفسه ليس مقصوراً على موضوع الطرق فحسب؛ إذ لا يمكن إغفال مقدمته الفلكية المطولة التي تُعيّن أبعاد الأرض من حيث الطول والعرض، وأقاليمها، وأجزاءها، وهو ما يضيف إلى الكتاب موضوعاً فرعياً غير شبكة الطرق التي خصّص لوصفها.

الجمع بين مدرستي الجغرافيا الإغريقية والعربية

ينسب المحقق إلى الإدريسي السبق في محاولة التقريب بين المنهج الفلكي البطليموسي والمنهج الوصفي المعروف بجغرافية المسالك والممالك، وهذه المحاولة تعود فكرة إنجازها عملياً إلى العالم الفلكي والجغرافي أبي الريحان البيروني السالف الذكر؛ فقد بيّن بوضوح في كتابه (تحديد نهايات الأماكن) أنه عمل مدةً طويلةً على الجمع بين المنهجين، غير أن أيدي السلب والتلف أحاطت بمشروعه، ووضعت نهاية لطموح مؤلفه، يقول البيروني في هذا الصدد: «لقد كنت عازماً فيما مضى على الجمع بين طريقتي بطليموس في كتاب (جغرافيا) والجيهاني وغيره في كتب المسالك؛ جمعاً للمفترق، وتسهيلاً للمنغلق، وإكمالاً للفن، فقدمت تصحيح المسافات وأسامي المواضع والبلدان سماعاً ممن سلكها، والتقاطاً من في مَن شاهدها، بعد الاستيثاق والاحتياط باستشهاد بعض على بعض. ولم أضنّ على مرغوب فيه من مال وجاه بجنب حصول هذا المقصود، وعملت لها نصف كرة قطرها عشرة أذرع؛ لاستخراج الأطوال والعروض من المسافات بها؛ إذ الزمان يضيق عن استعمال الحساب فيها على كثرتها وطوله. لكني كنت أعتمد

> ادعاء سبق الإدريسي في كثير من الجوانب التي جاءت في دراسة الوافي نوحي لا يصمد أمام النقد العلمي المتعمق

فيما كنت أحصل على الضبط بالكتابة دون الحفظ اغتراراً بالسلامة، وأمناً من الحوادث؛ فحين غافصتني النكبة أتت على ما ذكرت في جملة ما أتت عليه من اجتهاداتي»[١٨].

استعمال الألوان في الخرائط

على الرغم من انفراد الإدريسي باستعمال بعض الألوان في خرائطه فإن القول بأسبقيته إلى ذلك غير صائب؛ إذ استخدم المقدسي منذ القرن الرابع للهجرة ألواناً مخصوصةً بكلّ نوع من التضاريس والمسطحات المائية، يقول في هذا الصدد في ديباجة كتابه: «بعدما مثّلناها، ورسمنا حدودها وخططها، وحرّرنا طرقنا المعروفة بالحمرة، وجعلنا رمالها الذهبية بالصفرة، وبحارها المالحة بالخضرة، وأنهارها المعروفة بالزرقة، وجبالها المشهورة بالغبرة؛ ليقرب الوصف إلى الأفهام، ويقف عليه الخاصّ والعام»[١٩]. وللإشارة، فقد نبّه أحد مؤرخي الجغرافيا العربية على أن معرفة العرب استخدام الألوان في الخرائط تعود إلى عهود سابقة على زمن الإدريسي، والمرجع المشار إليه يوجد في ببليوجرافيا الكتاب موضوع المراجعة[٢٠].

تخريج النص المخطوط

يمكننا إبداء عدة ملاحظات بشأن تحقيق الكتاب من حيث تخريج النصّ المخطوط؛ فعلى الرغم من المجهود البيّن الذي بذله المحقق إلا أن هنّات كثيرة اعترت النص المنشور، إما بسبب القراءة المجانبة للصواب -في نظرنا- لبعض المفردات والأعلام الجغرافية التي تتطلب استبحاراً في المتون الجغرافية العربية، وإما لعدم انتباه المحقق لعدد من المصطلحات الجغرافية والفلكية التي ظلّت من دون تعريف. ويمكن إجمال معظم هذه المؤاخذات في النقاط الآتية:

لم يكن الإدريسي سباقاً إلى فكرة تقسيم الأرض ثمانية أقاليم بإضافة إقليم ثامن؛ فهناك قول بأسبقية البيروني في هذا المجال

- تخريج الأعلام الجغرافية:

جاءت بعض أسماء المدن والحصون مصحّفةً في متن الكتاب المحقق، مع أن نصوصاً جغرافية سابقة للإدريسي، إلى جانب كتابه الآخر (نزهة المشتاق)، تقدم -إذا استعين بها- قراءةً صائبةً لمجمل تلك الأعلام، ونسوق هنا أبرز ما وقع فيه الباحث من هفوات التصحيف والتحريف:

* البحر المغربي الأعظم[٢١]: المقصود به البحر المحيط، أو بحر الظلمات في العصور الوسطى الإسلامية، أو المحيط الأطلنطي حسب الجغرافيا الحديثة. ولعل الصواب هو (البحر الغربي)، الذي جاء في غير هذا الكتاب من المصادر العربية؛ مثل كتابي (المسالك، والممالك) لكلّ من ابن خرداذبه[٢٢] والبكري[٢٣]. كما أن الاصطلاح ذاته موجود في متن (أنس المهج) موضوع هذه القراءة في موضعين؛ أحدهما قوله: «وطوله من البحر الغربي إلى أقصى المشرق حيث البحر الزفتي»[٢٤]، والآخر هو قوله: «وطوله من البحر الغربي من بلاد قشتالة وبلاد برطقال»[٢٥].

* بحر القلزم[٢٦]: جاء في تعليق المحقق تأصيل لتسمية هذا البحر، هو: «بحر القلزم: وهو الاسم القديم للبحر الأحمر، وسمي القلزم -حسب ياقوت الحموي- لالتهامه مَن ركبه، وهو المكان الذي غرق فيه فرعون وآله. ولعل أصل الاسم أمازيغي، من: أكَلزيم (بكاف معقودة (كذا))، وهو الفأس، وذلك للشبه الذي بينهما في الشكل». ومن الجليّ أن الباحث يميل من خلال هذا التخريج إلى ترجيح الأصل الأمازيغي لهذا الاسم، مع العلم أن كلمة القلزم عربية فصيحة، ذكرت في الشعر القديم، ويعرّفها ابن منظور فيقول: «قلزم: القَلْزَمَةُ: ابْتِلاع الشيء، وفي المحكم: الابتلاع؛ أنشد ابن الأعرابي:

ولا ذي قَلازِمَ عِندَ الحِياض إذا ما الشَّريبُ أَرادَ الشَّريبا

فأما اشتقاقه من القَلْز، الذي هو الشرب الشديد، فبعيد. يُقال: تَقَلْزَمَه؛ إذا ابتلعه والْتَهَمَه، وبحر القُلْزُم مشتقّ منه، وبه سُمّي القلزم؛ لالتهامه من ركبه، وهو المكان الذي غرق فيه فرعون وآله، قال ابن خالويه: القُلْزُم مقلوب من الزُّلقُم، وهو البحر.

والزُّلْقمةُ: الاتساع، وقوله: قد صَبَّحَتْ قُلَيْزماً قذوما، إنما أخذه من بحر القلزم، شبّه البئر في غُزرها به، وصغّرها على جهة المدح»[٢٧].

* مدينة باب أقلام[٢٨] أو بابا قلام[٢٩]: علّق عليها المحقق (الهامش رقم ٦٣٢) بقوله: «في (غ) و(ح): باباقلام، وفي صورة الأرض، ص٨٠، وفي معجم البلدان، ج١، ص٢٣٧: الأقلام، وفي نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٣١: باب أقلام، وإليها استندنا في التصحيح». ومما يثير التساؤل حول منهج التحقيق المعتمد من المحقق نوحي كونه اعتمد في واقع الأمر قراءتين للعلم الجغرافي نفسه، ومن الواضح أنه رجّح ما جاء في كتابي الإدريسي مع اختلاف طفيف في رسم الكلمة، في حين استبعد ما تقدمه المصادر التاريخية والجغرافية المشرقية والأندلسية التي تكاد تجمع على تسمية (مدينة الأقلام)، التي تبدو أكثر مصداقيةً في القراءة بالنظر إلى ورودها في مصدر جغرافي قريب من تاريخ اختطاطها، وهو كتاب (صورة الأرض) لابن حوقل النصيبي، بوصفه الرحالة الذي جاب بلاد الغرب الإسلامي منذ القرن الرابع للهجرة، وزار المدينة المذكورة في جولاته ببلاد المغرب الأقصى، ويمثّل إلى جانب ذلك المصدر الأساسي الذي اعتمد عليه معظم جغرافيي دار الإسلام بمن فيهم الإدريسي نفسه[٣٠]. كما أن اسم (مدينة الأقلام) ورد بهذا الرسم لدى ابن حيان (توفي سنة ٤٦٩هـ) -شيخ المؤرخين بالأندلس- في موضعين من كتابه (المقتبس في أخبار بلد الأندلس)، وهما قوله في أولهما: «وفي هذا الوقت (سنة ٣٦٢هـ) قدم إلى قرطبة رسول حنون بن إدريس صاحب مدينة الأقلام بالعدوة»[٣١]، وفي رواية ثانية يقول ابن حيان: «ففي يوم الأربعاء لثلاث خلون من المحرم (٣٦٤هـ) احتل الوزير القائد الأعلى غالب بن عبدالرحمن في المحلة على وادي سوس قافلاً من العدوة ومعه بنو إدريس الحسنيون القرشيون ملوك المغرب المستنزلون من معاقلهم إلى الأندلس حافين بشيخهم وكبيرهم المشتهر معرفته بحنون... صاحب الأقلام وما والاها من بلد العدوة»[٣٢]. ومن المعلوم أن مدينة الأقلام كانت من تأسيس عبدالله بن إدريس -أحد أمراء الأدارسة- وهو ما يذكره الإدريسي نفسه[٣٣]، وقد شكّلت هذه المدينة إلى جانب مدينة البصرة أو (بصرة الكتان) وقلعة (حجر النسر) أهم المعاقل التي لجأ إليها أمراء الأدارسة بعد انفصام عروة دولتهم تحت ضربات الغزو الخارجي للمروانيين والفاطميين، إلى جانب التفكك الداخلي الناتج من ظهور زعامات قبلية، أبرزها: زناتة بقيادة موسى بن أبي العافية.

* حصن تيفاش[٣٤]: جاء في سياق وصف الطريق بين سبتة وهنين: «من سبتة إلى وازلان ثلاثون ميلاً، ومنه إلى حصن تيفاش ثلاثون ميلاً». وقد فضّل المحقّق القراءة المذكورة في المتن

مهمة شاقة

يعدّ كتاب (أنس المهج) في طبعته موضوع هذه المراجعة مساهمةً طيبةً على وجه العموم في تحقيق التراث الجغرافي العربي الإسلامي، ومع ما لاحظناه على الدارس من هفوات فلا ننكر ما بذله من مجهودات جسيمة في تخريج نصّ الكتاب، وشرح كثير من أعلامه الجغرافية والبشرية، وهي مهمة شاقة ومحفوفة بالهنات، لا يعرف حجمها إلا من تجشّم سبيلها بإرادة متينة وجرأة علمية فذة، ولا نرى في هذه المراجعة غير إسهام متواضع في تنقيح أحد الأعمال التراثية المحققة، وإثارة انتباه الباحث لما يقع فيه جمهور الدارسين من منزلقات التعميم، ومجازفات الاجتهاد في تخريج النص أو شرح مغلقاته، وهي أمور قلما تغيب عن عمل من هذا الحجم الجسيم.

على الرغم من انفراد الإدريسي باستعمال بعض الألوان في خرائطه فإن القول بأسبقيته إلى ذلك غير صائب؛ فقد سبقه المقدسي

اعتماداً على نسخة (غ)، بينما أشار إلى (تيقاش) الواردة في نسخة (ح) بالهامش، معلّقاً عليها بقوله: «وهو تصحيف»، والواقع أنه أصاب في اعتقاده أن الكلمتين سالفتي الذكر هما محض تصحيف، غير أنه لم يلتفت إلى أن الأمر يتعلق بعلم جغرافي مغربي شهير يسمى (تيقساس) أو (تيـكَساس) (بالجيم المعقوفة)، وهو أحد أقدم المراسي المغربية على الساحل المتوسطي، وقد أقيم على أنقاضه مركز سطيحات في القرن الماضي[٣٥]، ولحسن الحظ أننا نتوفّر على نصّين محقّقين، كلاهما للإدريسي، يرد فيهما اسم (تيقساس) أو (تيـكَساس): أولهما مثبت في (نزهة المشتاق)[٣٦]، الذي شكّل أبرز مصدر استعان به الباحث في المقارنة بينه وبين نسخ (أنس المهج) المعتمدة في التحقيق، أما الاسم الثاني فقد جاء في القسم الخاصّ بالأندلس من (أنس المهج)[٣٧] نفسه. ويجدر التنبيه على أن (تيفاش) مدينة أخرى غيرتيكَساس، وكانت توجد بإفريقية، وهي مذكورة بدورها لدى الإدريسي في الكتاب موضوع هذه المراجعة[٣٨].

* القيروان[٣٩]: عرّف الباحث في تعليقاته المذيّلة للكتاب هذا العلم الجغرافي الشهير بإفريقية، غير أنه حاول أن يعزو أصل القيروان إلى اللغة الأمازيغية قائلاً: «ولعلّ أصل تسميتها هو: إكَروان (بكاف معقوفة)، مفرده: أكَراو، ومعناه التجمع أو اللقاء». ولعمري إنها محاولة غير موفقة لتمزيغ الأعلام الجغرافية العربية أو المعربة من دون الاستناد إلى أيّ مصدر موثوق يؤكد هذا التأصيل العجيب، مع العلم أن المصادر الجغرافية العربية تذكر أصل القيروان، ونسوق في هذا الصدد ما ذكره ابن الشباط التوزري الإفريقي (توفّي سنة ٦٨١هـ) في شرحه القيروان؛ استناداً إلى زمرة من أبرز لغويي دار الإسلام، ونصّ شرحه هو: «والقيروان: بفتح القاف، وفتح الراء، وأجاز صاحب (تثقيف اللسان) ضم الراء. قال الأستاذ أبو محمد بن السيد البطليوسي -رحمه الله- عن أبي العلاء صاعد بن الحسين الربعي قال: حدثني علي بن مهدي الفارسي قال: سمعت ابن دريد يقول: القيروان بفتح الراء: الجيش، والقيروان بضم الراء: القافلة. قلت: القيروان في اللغة معظم العسكر، وهو بفتح الراء. قال ابن قتيبة: والقيروان أصله بالفارسية كاروان فعرّب. قال امرؤ القيس:

وغارة ذات قيروان   كأن أسرابها الرعال

قال: والقيروان: معظم الشيء، والكاروان بالفارسية: جماعة الناس والقافلة»[٤٠].

- تعريف المصطلحات البحرية والفلكية:

ينبغي هنا التنويه بالمجهودات القيمة التي تجشّم عناءها الباحث للتعريف بمعظم المصطلحات والمفاهيم المرتبطة بعلم الفلك والجغرافيا وعلوم البحار والملاحة البحرية، خصوصاً ما يتعلق بوحدات قياس المسافات في البر والبحر؛ مثل: المرحلة، والفرسخ، والميل، والمجرى البحري، غير أننا نعتقد أن باع المحقق قصر عن وضع تعريفات دقيقة لبعض الاصطلاحات المتداولة بين جغرافيي دار الإسلام من جهة، كما أحجم الباحث -من جهة أخرى- عن تعريف بعض المفردات ذات الدلالات الخاصة، واكتفى بترجيح قراءتها في إحدى نسختي التحقيق واستبعاد الأخرى، ومن بين تلك المصطلحات ما نرى أنه ليست للباحث مندوحة عن الوقوف عليها وتعريفها بدقة علمية، يضاف إلى هذا الإحجام أنه قدم تعريفاً لأحد المصطلحات المتصلة بالنقل، في حين أن السياق يبيّن عكس مضمون التعريف، ونكتفي في هذه القراءة بذكر الأمثلة الآتية:

* المرحلة[٤١]: أتى المحقق ببعض التعريفات للمرحلة انطلاقاً من كتب تراثية ودراسات حديثة، وكان عمدته في ضبط هذا الاصطلاح (نزهة المشتاق)، وخلص إلى قوله: «ويتراوح تقدير الجغرافيين للمرحلة بين ستة عشر وثلاثة وثلاثين ميلاً، ومعدلها خمسة وعشرون ميلاً». والواقع أن الإدريسي يذكر بعض المراحل الكبيرة التي بلغت أربعين ميلاً؛ مثل: المرحلة الموجودة بين قالري والمنصورة[٤٢].

مجهودات قيمة تجشم عناءها الباحث للتعريف بمعظم مصطلحات علم الفلك والجغرافيا وعلوم البحار والملاحة البحرية

إدراج نص دخيل على المتن الأصلي

على الرغم من الجهد الذي بذله المحقق في تخريج نصّ قريب الشبه لكتاب (أنس المهج) فإننا نؤاخذه على إدراج أحد النصوص الدخيلة ضمن نسق المتن الأصلي من دون التزامه مبدأ الأمانة العلمية وأصول التحقيق المتعارف عليها؛ فمن المعلوم أن إقحام نصوص غريبة عن المتن الأصلي يعدّ من العيوب في مجال تحقيق المخطوطات؛ فالتدخل في متنها غير محبّذ عامةً، ما عدا في حالات الاختلاط بين أوراق النسخة نفسها، أو تقديم فقرة على أخرى، أو سقوط أو حذف أو اختصار مقصودين من الناسخين، أو إعادة ترميم الكلمات والعبارات المطموسة وتتميمها، وغير ذلك من أوجه التدخل المحدود التي تدعو الضرورة إليها، بل على العكس من ذلك يتوجب تنقيح المتن الأصلي من الدواخل الغريبة عليه في حالة اختلاط نصوص لاحقة أو سابقة بالكتاب المحقق وإدراجها ضمن سياقه من قبل الناسخين والمتكسبين بالوراقة ممن قصروا عن إدراك معاني الملكية الأدبية للنص، ووجوب الإبقاء عليه وفق ما ارتضاه له صاحبه. وهذه الملحوظة تنطبق على الكتاب موضوع المراجعة؛ فقد أقحم أحد نسّاخه اقتباساً من كتاب (الجغرافيا) المعروف كذلك بعنوان (كتاب بسط الأرض في الطول والعرض)، المنسوب إلى ابن سعيد المغربي (٦٠٥- ٦٧٣هـ)، المتأخرة وفاته زمنياً بأكثر من قرن عن وفاة الإدريسي[١]. وكان الأجدر بالباحث أن يختار بين طريقتين معمول بهما في تحقيق النصوص التراثية: إما أن يضع النص المقحم في الهامش، وينبّه على أنه ليس من صميم المتن المحقق، بل هو من إضافة النسّاخ. وإما أن يحذفه من المتن والهامش، ويكتفي بوضعه ضمن ملاحق الكتاب المحقق، من دون إغفال الإشارة إلى ذلك، سواء في صلب الدراسة أم في هامش الملحق. ومما يجدر ذكره أن كراتشكوفسكي نبّه على نقل ابن سعيد في (بسط الأرض) نصوصاً عن الإدريسي في (أنس المهج)[٢]، ولعل هذا النقل هو الذي فسح المجال أمام تداخل نصوص الكتابين في نسخة إسطنبول، إلى حد أن المستشرق كرامرس نسب إلى الأول كتاب الثاني، مع أن ابن سعيد اعتمده من بين مصادره، وعلى غراره فقد اقتبس الجغرافي المشرقي أبو الفداء نصوصاً من الكتاب الثاني للإدريسي.

(١) أنس المهج، ص١١٨، ١١٩.

(٢) كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص٢٩١، ٢٩٢.

* المجرى[٤٣]: جاء في تعريف هذه الوحدة القياسية: «المجرى: وحدة لقياس المسافات البحرية، ويعادل المرحلة في قياس المسافات البرية». والواقع أن المجرى البحري يفوق المرحلة البرية بمرتين ونصف المرة على أقل تقدير؛ فهو يعادل المئة ميل أو يفوقها[٤٤]، بوصف المرحلة البرية -تبعاً لما سلف تبيانه - قد تبلغ أربعين ميلاً حسب أقصى التقديرات، والفارق واضح كما يبدو.

* الميل[٤٥]: يستعير الباحث تعريف البحرية البريطانية للميل، ويقدم ما يعادله من أقدام، والواقع أن التراث الجغرافي العربي الإسلامي لم يثبت في متونه -حسب اطلاعنا وتجربتنا في الاشتغال عليه- استخدام وحدة القدم في قياسات المسافة، بل نكاد نجزم بالقول: إن هناك إجماعاً بين جغرافيي الإسلام على تحديد مقدار الميل بما يعادله من وحدة الذراع[٤٦]. ولعلّ أقرب وحدة قياسية وقفنا عليها في هذا الباب تتمثّل في استخدام الرحالة ابن جبير وحدة الخطوة على سبيل المقارنة لتبيان مقدار الذراع الغربي (المتداول بالمغرب والأندلس) في وصفه المسجد النبوي[٤٧].

* الذراع[٤٨]: عدّد المحقق معظم أنواع الذراع المشهورة في الحضارة العربية، غير أنه أورد في تقديره الميل ذكر (الذراع المراسلة)[٤٩]، والصحيح هو (الذراع المرسلة)، وتعادل -حسب الأنصاري- ثلاثة أرباع الذراع الهاشمية[٥٠]. كما أن الدارس يخلص إلى القول: إن الذراع الشرعي يعادل ٤٦,٢سم، وفي تقديرنا أن الإدريسي يستخدم الذراع القرطبي، أو الذراع الرشاشي، بحكم دراسته العلوم الشرعية بقرطبة من جهة، ثم لنسبته إلى الغرب الإسلامي الذي هيمنت عليه المكاييل والمقاييس والأوزان المعتمدة من قبل فقهاء المذهب المالكي بالأندلس الذين يغلب عليهم استعمال هذا المقياس، وإذا ما تأكد هذا الأمر يكون

على الرغم من الهفوات فلا ننكر ما بذله الباحث من مجهودات جسيمة في تخريج نص الكتاب، وشرح أعلامه الجغرافية والبشرية

حينئذٍ مقدار الذراع مخالفاً لما جاء في الدراسة[٥١].

* التخلية والتقوير[٥٢]: جاءت العبارة على النحو الآتي: «فذلك من أطرابلس إلى طرف قانان -على التخلية- مئة ميل وثمانون ميلاً، وعلى التقوير مئتان وعشرة أميال». وهنا يبدو أن الأمر يتعلّق بأسلوبين مختلفين في الملاحة البحرية بين مرفأين متوسطين، ويترتب على ذلك تباين في المسافة بينهما؛ إذ تزيد في الأسلوب الثاني بنسبة السبع(١/٧) عن الأسلوب الأول، ويمكن القول: إن أسلوب التخلية هو ما نجده لدى الإدريسي نفسه باسم آخر، وهو (قطع روسية) الذي سنراه لاحقاً. أما التقوير الذي يعتمده الإدريسي في قياس المسافات البحرية، فهو مذكور بدوره في مواضع كثيرة في كتاب (نزهة المشتاق)، ويمكن تعريفه بالقول: إنه أسلوب يتمثّل في اتباع منعرجات السواحل والخلجان والرؤوس الشاخصة على سيف البحر؛ مما يزيد من طول المسافة البحرية في هذه الحالة، والأسباب الظاهرة لهذه الطريقة في الملاحة لدى بحارة الغرب الإسلامي تكمن أولاً في ضرورة توقف السفينة في جميع المراسي الرئيسة والثانوية في أثناء إبحارها في اتجاه معين، وهو ما يحتّم عليها عدم الابتعاد كثيراً من السواحل والخلجان، ثم من وجه آخر فإن السفن والمراكب الصغيرة لم يكن باستطاعتها الابتعاد من السواحل بسبب احتمائها من هول البحر بالتضاريس الساحلية، وبقائها في مرأى البر تفادياً لضلالها إذا ابتعدت من الساحل، خصوصاً في وقت الضباب والغيوم المنخفضة التي تحول دون رؤية السواحل[٥٣] أو في أثناء الليل، بسبب عدم توفر ربابنتها على أجهزة ومعدات فلكية على غرار السفن الضخمة والأساطيل الحربية، وأصل التسمية عربي فصيح، من فعل «قار الشيء قَوْرا وقَوّره: قطع من وسطه خرقاً مستديراً»[٥٤]. كما يستخدم الإدريسي مصطلح (تجوين البحر) المرادف للتقوير، وهو مشتق من الجون؛ أي: الخليج، ويقصد به اتباع منعرجات الخلجان والرؤوس، ويتضح هذا المدلول في قوله: «الطريق -بتجوين البحر- من الإسكندرية إلى طرف البندارية: من الإسكندرية إلى رأس الكنائس ثلاثة مجارٍ، ومن رأس الكنائس إلى الرأس الطرفاوي مجرى، ومن الرأس الطرفاوي إلى أول جون رمادة خمسون ميلاً»[٥٥].

* قطع روسية[٥٦]: ورد الاصطلاح في العبارة الآتية: «فذلك من هنين إلى وهران -قطع روسية- ثمانية وثلاثون ميلاً»، من دون تعريف لهذا الاصطلاح الملاحي الدقيق، وقطع روسية هو أسلوب ملاحي سبقت الإشارة إليه، ويقوم على اتباع خط سير شبه مستقيم لا يراعي تعرّجات السواحل المتقطعة، وهو ما يجعل المسافة أقلّ في هذا الأسلوب مقارنةً بالتقوير السالف ذكره. وبالعودة إلى كتاب (نزهة المشتاق) يتبيّن الفرق بين أسلوبي الإبحار لدى الإدريسي من خلال ما يقدمه من معطيات إحصائية دقيقة تقابل بين المسافات البحرية بشمال إفريقية عبر (قطع روسية) و(على التقوير)؛ فعلى سبيل المثال: كانت المسافة من وهران إلى طرف مشانة روسية خمسة وعشرين ميلاً، وعلى التقوير اثنين وثلاثين ميلاً، وكان تقوير الجون الموجود بين طرف مشانة ومرسى أرزاو أربعة وثلاثين ميلاً تقويراً، أما روسية فأربعة وعشرين ميلاً، كما كانت المسافة من مستغانم إلى حوض فروح تقويراً أربعة وعشرين ميلاً، وروسية خمسة عشر ميلاً[٥٧]. نخلص إلى الاستنتاج أن أسلوب الإبحار بقطع الروسية كان من شأنه تقليص المسافة البحرية أحياناً إلى أكثر من نسبة الثلث مقارنةً بطريقة التقوير. ولم نجد في المعاجم اللغوية التي رجعنا إليها ما يشفي غليل الباحث الحريص على ضبط المفهوم اللغوي لاصطلاح (قطع روسية)، غير أننا يمكن أن نتبيّن مدلول الاصطلاحين المذكورين أعلاه من خلال المقارنة بين المصطلحات والمفاهيم البحرية بين جناحي دار الإسلام مشرقاً ومغرباً، وهنا ينبغي التنبيه على ما ذكره الجاحظ من اصطلاحات مقابلة للأسلوبين الملاحيين في البحار الشرقية والجنوبية التي مخر ربابنة العرب عبابها؛ فهو يستخدم لفظتي (الوتر) و(القوس)، ويستنبط من سياق حديثه عن المسافة بين

مع جهد المحقق في تخريج نص قريب الشبه بكتاب (أنس المهج) فإننا نؤاخذه على إدراج نص دخيل ضمن المتن الأصلي

البصرة وبحر الزنج أنه يشبه أسلوب الملاحة في اتجاه شبه مستقيم بوتر السهم، في حين يرى اتباع المنعرجات الساحلية والإرساء بالموانئ الواقعة على خط سير السفن مشابهاً للقوس؛ لما فيه من انعطاف، فيقول في هذا الصدد: «وهم يزعمون أن الذي بين البصرة والزنج أبعد مما بين الصين وبينها، وإنما غلط ناس فزعموا أن الصين أبعد؛ لأن بحر الزنج حفرة واحدة عميقة واسعة، وأمواجها عظام (...)، فلما كان البحر عميقاً، والريح قوية، والأمواج عظيمة، وكان الشراع لا يحط، وكان سيرهم مع الوتر ولم يكن مع القوس، ولا يعرفون الخبّ والمكلأ، صارت الأيام التي تسير فيها السفن إلى الزنج أقل»[٥٨]. بقي أن نذكر على سبيل الاستنتاج والتخمين أن انفراد الإدريسي بين جغرافيي دار الإسلام باستخدام هذين المصطلحين البحريين الدقيقين ينم على قيامه بترجمة اصطلاحات لاتينية أو معارف ومهارات بحرية عملية كانت متداولة -وإن على المستوى الشفهي- بين بحارة صقلية خلال عصر النورمان، ولعل الجغرافي السبتي قد حرص من خلال ذلك على تقريب مضمون كتابه إلى إدراك ملك صقلية وعلمائها ورؤساء الأسطول البحري النورماني؛ لأن معظم هؤلاء كانوا من الممالك الأوربية[٥٩]. ولقد وفّق في مسعاه -حسب اعتقادنا- من دون التفريط في حق قرائه الناطقين بلغة الضاد، والعمل على تكييف المفردات الأعجمية أو العامية وقولبتها في صيغ عربية فصيحة، ومما لا ريب فيه أنه بذل من أجل ذلك أقصى مستطاعه عبر استحضار رصيده من القاموس العربي، ومحاولة إيجاد مقابل للمصطلحات البحرية الأجنبية. ومما يعزّز هذا الاستنتاج ملاحظة ثانية تتّصل باستخدام الإدريسي وحدةً قياسيةً غير عربية، وهي (الميل الإفرنجي)[٦٠]، وهو يعادل ثلاثة أميال عربية، ولا نجد من مسوّغ لهذا الاستخدام غير حرصه -في تقديرنا- على موافقة المقاييس العربية واللاتينية؛ تفادياً للوقوع في أخطاء الاستعمال الناتج من الخلط بينها.

الهوامش والمراجع

(١) الشريف الإدريسي السبتي، أنس المهج وروض الفرج- قسم شمال إفريقيا وبلاد السودان، تحقيق: الوافي نوحي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط: دار أبي رقراق، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص٥٢.
(٢) حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ط٢، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، ١٩٨٦م، ص١٧٥.
(٣) أنس المهج، ص٥٨.
(٤) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
(٥) المصدر نفسه، ص٤٤.
(٦) المصدر نفسه، ص١١، ٥٨، ٥٩.
(٧) المصدر نفسه، ص١١، ٥٩.
(٨) المصدر نفسه، ص٤٤.
(٩) المصدر نفسه، ص٤٥.
(10) Juan Vernet. Ce que la culture doit aux Arabes d’Espagne. traduit par Gabriel Martinez-Gros. SINDBAD. 1985. p. 249-250.
(١١) مؤلف مجهول، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ترجمه عن الفارسية: يوسف الهادي، القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
(١٢) إغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، ومراجعة: إيغور بليايف، القاهرة: منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٣م، ج١، ص٢٢٣.
(١٣) شمس الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: دي خويه، ط٢، ليدن، ١٩٠٦م، (أعيد طبعه في بيروت عن دار صادر، د. ت)، ص٤.
(١٤) أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الزهري، كتاب الجغرافية وما ذكرته الحكماء فيها من العمارة وما في كلّ جزء من الغرائب والعجائب تحتوي على الأقاليم السبعة وما في الأرض من الأميال والفراسخ، تحقيق: محمد حاج صادق، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، د. ت، ص١٠.
(١٥) المصدر السابق نفسه، ص١١.
(١٦) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٤.
(١٧) كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة: عبدالحليم النجار، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦١- ١٩٦٢م، ج٣، ص٦٨.
(١٨) أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي البيروني، كتاب تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن، تحقيق: د. ب. بولجاكوف، ومراجعة: إمام إبراهيم أحمد، منشور في مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الثامن، ج١، ٢، ذو القعدة ١٣٨١هـ- جمادى الآخرة ١٣٨٢هـ/ مايو- نوفمبر ١٩٦٢م، ص٣٧، ٣٨.

* بينات المدن[٦١]: والصواب (بُنَيَّات المدن)؛ كناية عن المدن الصغرى التي لم تبلغ من التوسع والعمران ما يجعل الجغرافيين يصنّفونها ضمن (الحواضر) و(القواعد) و(أمهات الأمصار). واصطلاح البنيات كثير التداول في كتب المسالك والممالك، في حين أن اختيار الباحث عبارة (بينات المدن) لا يجد ما يعضّده في النصوص المصدرية العربية، وقد كانت للباحث في دواخل النص المحقق نفسه مندوحة عن الحيرة والتخبط بين القراءات التي تقدمها النسختان المعتمدتان في التحقيق؛ إذ أورد على التوالي في الهامش رقم ٣٤٨: «في (ح): بنيات»، وفي الهامش رقم ٨٨٦: «في (ح): من بنيات الدين مصغار، وفي (غ): بنيات الدين، ولعل الصواب ما أثبتناه». ومن المستغرب أنه لم ينتبه إلى ما ورد في (أنس المهج) نفسه، وهو قول المؤلف: «وألحقنا بكل قاعدة من البلاد المشهورة ما انضاف إليها، وانتظم في عمالتها، من بينات المدن، ومنيعات الحصون»[٦٢]؛ فالقاعدة في هذا السياق الجغرافي هي إحدى أمّات الأمصار، في حين أن البنيات هي المدن الصغار. ويؤكد هذا القول ما جاء في الكتاب ذاته عن مدن صعيد مصر، وهو: «وليس بها مدينة مشهورة كبيرة إلا قوص، وبعدها مدينة إخميم، وما خلا هذه فمدن صغار وحواضر قريات، بها أسواق وأجماع البيع والشراء»[٦٣]، والعبارة تحمل المدلول المنوّه به في التصنيف الجغرافي العربي للمدن.

* تحليق[٦٤]: جاء الاصطلاح في قول الإدريسي: «وفي هذه الطريق تحليق من مدينة غانة إلى مدينة تارنقا عشرة أيام»، وقد وضع الباحث تعريفاً مختصراً لاصطلاح (التحليق)، مستلهماً إياه من اللغة الفرنسية، وهو قوله: «التحليق: يبدو أن الإدريسي يقصد بهذا المصطلح تقدير المسافة بين موقعين بشكل مباشر، دون اعتبار لالتواءات الطرق البرية وتضاريسها؛ أي: ما يسمى في اللغة الفرنسية: «Le vol d'oiseau»[٦٥]. وعلى العكس مما خمّنه المحقق، فإن تقنية التحليق في السير

(١٩) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٩.
(٢٠) شاكر خصباك، الجغرافيا لدى العرب، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٦م، ص٧٠.
(٢١) أنس المهج، ص١٠٧.
(٢٢) أبو القاسم عبيدالله بن خرداذبه، المسالك والممالك (ويليه نبذ من كتاب الخراج لأبي الفرج قدامة بن جعفر البغدادي)، تحقيق: دي خويه، ليدن، ١٨٨٩م، (أعيد طبعه في بيروت عن دار صادر، د. ت)، ص١٥٣.
(٢٣) أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكري، المسالك والممالك، تحقيق: أدريان فان ليوفن، وأندري فيري، تونس- بيروت: الدار التونسية، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢م، ج٢، ص٧٨٧.
(٢٤) أنس المهج، ص١١٣.
(٢٥) المصدر نفسه، ص١١٥.
(٢٦) المصدر نفسه، ص٢٩٠، ٢٩١، التعليق رقم: ١٠٨.
(٢٧) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، مادة (قلزم).
(٢٨) أنس المهج، ص١٨٦.
(٢٩) المصدر نفسه، ص٢٣٥.
(٣٠) محمد حسن، «مساهمة كتب المسالك والرحلة في تأسيس معجم موحّد للبلدان المغاربية»، ضمن ندوة أدب الرحلة، مكناس، ١٩٩٣م، ص١٥١.
(٣١) أبو مروان حيان بن خلف بن حيان القرطبي، المقتبس من أخبار بلد الأندلس، تحقيق: عبدالرحمن علي الحجي، بيروت: دار الثقافة، ١٩٨٣م، ص١٠٣.
(٣٢) المصدر نفسه، ص١٩٤.
(٣٣) الشريف الإدريسي السبتي، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق: مجموعة من الباحثين، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، د. ت، مج٢، ص٥٣١.
(٣٤) أنس المهج، ص٢٣٦.
(٣٥) عبدالسلام الجعماطي، «تيكساس حاضرة بلاد غمارة»، بحث منشور في صحيفة الشمال، ع٤٤٦، من ٢١ إلى ٢٧ أكتوبر ٢٠٠٨م، ص١٢، ١٣.
(٣٦) الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق، مج٢، ص٥٣٢.
(37) Los caminos de Al-Andalus en el siglo XII. estudio edición. traducción y anotaciones JASSIM ABID MIZAL. CONSEJO SUPERIOR DE INVESTIGACIONES CIENTÍFICAS. INSTITUTO DE FILOLOGÍA. MADRID. 1989. pp. 43-44.
(٣٨) أنس المهج، ص٢٠٨.
(٣٩) المصدر نفسه، ص٣٣٢، التعليق رقم: ١٨٠.

تطيل المسافة بين نقطتي الانطلاق والوصول، ظهيرنا في هذا الاستنتاج أن فقرةً سالفةً في الصفحة التي ورد فيها هذا المصطلح بالمتن تبيّن أن المسافة بين المدينتين نفسيهما أقلّ في الحالة المعتادة منها في التحليق، وهو قول الإدريسي: «ومن غانة إلى تارنقا تسع مراحل»[٦٦]، وهي إشارة تؤكد ما نذهب إليه؛ لأن المرحلة هي يوم واحد من السير في البر[٦٧].

ومما يثير انتباه القارئ للدراسة التي وضعها المحقق عن مكانة الشريف الإدريسي في الفكر الجغرافي العربي الإسلامي أنه اكتفى بتبيان الجوانب الإيجابية والمستجدة في كتابيه، بينما أعرض عن ذكر المؤاخذات الكثيرة التي يمكن تسجيلها على هذا الجغرافي، مع العلم أن بعضها يعود إلى الجغرافيين المسلمين في العصور الوسطى، وفي مقدمتهم محمد بن عبدالمنعم الحميري (توفي سنة ٧٢٧هـ) الذي استفاد بصفة جمة من كتاب (نزهة المشتاق)، ومع ذلك فإنه قد انتقد الإدريسي من حيث منهجه الجغرافي الذي يشتغل بتحديد المسافات على حساب ذكر المعطيات الطبيعية والبشرية الأخرى والروايات التاريخية المرتبطة بالأعلام الجغرافية[٦٨]، وهو المنهج الذي تبنّاه الحميري في معجمه الجغرافي (الروض المعطار في خبر الأقطار). أما الطبيب المصري الأكفاني (توفي سنة ٧٤٩هـ)، فإنه يقول في حق الإدريسي: «ولبطليموس في أحوال المساكن والأقاليم كتاب يُعرف بـ(جغرافيا) تام في معناه، إلا أن أكثر مسمياته مجهولة عندنا؛ لأنها أسماء أعلام نقلت بجلّها من اللغة اليونانية. وكتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) فيه مخالفة لقسمة الأقاليم؛ فإن مؤلفه -وإن كان عارفاً بالمسالك والممالك؛ لجوبه الآفاق- فإنه عري من علم هيئة الأفلاك»[٦٩]. أما لدى المؤرخين المحدثين للأدب الجغرافي العربي، فقد أوضح كراتشكوفسكي أن «محاولة الإدريسي للتقريب بين الجغرافيا الوصفية والفلكية قد عُرفت في الشرق بوصفها محاولةً فاشلةً، تماماً كما عرفها العلم الحديث»، كما صادق على

(٤٠) محمد بن علي بن محمد بن الشباط المصري التوزري، وصف الأندلس، تحقيق: أحمد مختار العبادي، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، مج١٤، ١٩٦٧- ١٩٦٨م، ص١٥٢.

(٤١) أنس المهج، ص٨٦.

(٤٢) الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق، مج١، ص١٧١.

(٤٣) أنس المهج، ص٨٧.

(٤٤) عن تحديد المجرى البحري يُراجع: نزهة المشتاق، مج١، ص١٦٤، ٢٥٤، مج٢، ص٥٨١، ٦٤٠، ٦٤٧.

(٤٥) أنس المهج، ص٨٧، ٨٨.

(٤٦) عبدالرحمن بن خلدون، المقدمة، تحقيق: علي عبدالواحد وافي، ط٣، القاهرة: د. ت، ج١، ص٣٤١، والمقدسي، أحسن التقاسيم، ص٥٩، ٦٦.

(٤٧) أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، رحلة ابن جبير، أو تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، بيروت: دار التحرير للطبع والنشر، ١٩٦٨م، ص١٨٥.

(٤٨) أنس المهج، ص٨٨، ٨٩.

(٤٩) المصدر نفسه، ص٨٧.

(٥٠) أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن الرفعة الأنصاري، رسالة في بيان الذراع والكيل والوزن، مخطوط المكتبة العامة والمحفوظات بتطوان، رقم: ٣٦٠ (ضمن مجموع)، ص١٧٠.

(51) Jesus Zanon. Topografia de Cordoba Almohade a través de fuentes árabes. Madrid. 1989. p. 18.

(٥٢) أنس المهج، ص٢١٣.

(53) Ingrid Bejarano Escanilla. “Orientaciones por astros y vientos”. en Al-Andalus y el Mediterráneo. Madrid. 1995. p. 275.

(٥٤) لسان العرب، مادة (قور).

(٥٥) أنس المهج، ص٢٣٢.

(٥٦) المصدر نفسه، ص٢٣٦.

(٥٧) الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق، مج١، ص٢٧١.

(٥٨) الجاحظ، كتاب الحيوان، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، بيروت: دار الجيل، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ج٣، ص٢٦٢. راجع كذلك تعليق المحقق في الهامش رقم: ٤.

(٥٩) حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ص١٨١.

(٦٠) الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق، مج٢، ص٧٧٢.

(٦١) أنس المهج، ص١٢٢، ٢٢٠.

(٦٢) المصدر نفسه، ص١٢٢.

(٦٣) المصدر نفسه، ص١٧٠.

حكم المستعرب رينو الذي قال: «والإدريسي في بعض النقاط قد ساعد بالأحرى على تقهقر العلم بدلاً من تقدمه، غير أن مصنّفه على وجه العموم يمثّل صرحاً في ميدان الجغرافيا»[٧٠]، في حين أن يوسف كمال -وهو من أفضل الخبراء في الكارتوغرافيا العربية والأوربية- ينفي أيّ تأثير للإدريسي في أوربا[٧١]. وعلى الرغم من التقريظ البليغ الذي حبا به حسين مؤنس الشريف الإدريسي إلا أنه لم يجد بداً من توجيه بعض الانتقادات إلى هذا الجغرافي، من قبيل قوله: «وربما كان تقسيم الكتاب إلى أقاليم وأجزاء هو أكبر صعوبات قراءة هذا الكتاب؛ فإن البلد الواحد يقع وصفه في أجزاء من أقاليم شتى، فإن الذي يريد أن يقرأ وصف النيل عنده يجد منابعه في الجزأين الثالث والرابع من الإقليم الأول جنوب خط الاستواء، ثم يستتمّ الكلام عن هذه المنابع ويصل إلى النوبة في الجزء الثالث من الإقليم الأول شمال خط الاستواء»[٧٢].

ومما يؤخذ على الإدريسي أيضاً كونه لا يعير اهتماماً لأصول المفردات الجغرافية ومدلولاتها الاشتقاقية، على غرار ما فعل ياقوت الحموي في (معجم البلدان)، كما أنه لا يكلّف نفسه عناء ضبط الأعلام والألفاظ التي يشْكُل نطقُها مثلما فعله كلّ من: أبي عبيد البكري في (معجم ما استعجم)، وياقوت الحموي في (المشترك لفظاً والمختلف صقعاً). ومن المفارقات العجيبة التي نلحظها في هذا الباب أن الحميري الذي اعتمد على الإدريسي -كما مضى القول في ذلك- ألزم نفسه بضبط ألفاظه وأعلامه الجغرافية في كثير من مواد معجمه، ولعله كان واعياً بما ينطوي عليه إهمالها من وهم والتباس على القراء والمسترشدين بمصنفه، وبسبب هذه العلة نلحظ كثرة التصحيفات والتحريفات التي اعترت كلاً من: نزهة المشتاق، وأنس المهج، وأوقعت جلّ المشتغلين بتحقيقهما في أوهام وصعوبات لا مجال لحصرها في هذا المقال، ويكفي الإحالة على ما سلف ذكره منها في موضوع هذه المراجعة.

(٦٤) المصدر نفسه، ص١٤١.
(٦٥) المصدر نفسه، ص٩١.
(٦٦) المصدر نفسه، ص١٤١.
(٦٧) عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر أبو الفداء، تقويم البلدان، تحقيق: م. رينو، والبارون ماك كوكين دي سلان، بيروت: دار صادر، د. ت، (عن طبعة باريس، ١٨٤٠م)، ص٧٣، ٧٤.
(٦٨) أبو عبدالله محمد بن عبدالمنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط٢، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٤م، ص١. ويقول الحميري في سياق المفاضلة بين كتابه وكتاب (نزهة المشتاق): «ثم إني قسته بالكتاب الأخباريٍ المسمى بـ(نزهة المشتاق) فوجدته أعظم فائدةً، وأكثر أخباراً، وأوسع في فنون التاريخ وصنوف الأحداث مجالاً، حتى في وصف البلاد؛ فإنه دائماً يذكر نبذة منها، وشيئاً قليلاً في مواضع مخصوصة معدودة، بل إنما عظم حجمه بما اشتمل عليه من قوله: (من فلانة إلى فلانة خمسون ميلاً، أو عشرون فرسخاً، ومن فلانة إلى فلانة كذا وكذا). أما الخبر عن الأصقاع بما يحسن إيراده، ويلذّ سماعه من خبر ظريف، أو وصف يستغرب أو يستملح، فإنما يوجد فيه في مواضع قليلة معدودة، إلى غير ذلك من عسر وجدان الناظر فيه مطلوبه بأول وهلة، بل بعد البحث والتفتيش».
(٦٩) كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج١، ص٢٩٢. ويجدر التنويه بأن صاحب المرجع المعتمد في نقل هذا الرأي يعود لاحقاً إلى التحفظ على أحد جوانبه، انظر: المرجع نفسه، ص٢٩٤.
(٧٠) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
(٧١) المرجع نفسه، ص٢٩٢.
(٧٢) حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ص٢٣٧.

- ابن حوقل أبو القاسم محمد بن علي النصيبي، كتاب صورة الأرض، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د. ت.
- ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسى، بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق: خوان فيرنيط خينيث، منشورات معهد مولاي الحسن، تطوان، ١٩٥٨م.
- الشريف الإدريسي، أنس المهج وروض الفرج (الجزء الخاص بطرق الأندلس): Los caminos de Al-Andalus en el siglo XII. estudio edición. traducción y anotaciones JASSIM ABID MIZAL. CONSEJO SUPERIOR DE INVESTIGACIONES CIENTÍFICAS. INSTITUTO DE FILOLOGÍA. MADRID. 1989.
- ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبدالله، معجم البلدان، تحقيق: ويستنفلد، ط٢، بيروت: دار صادر، ١٩٩٥- ١٩٩٦م.



دولاب الجان

قصة

مصطفى أحمد القرنة
عمان – الأردن

طالبت قريتنا كلها بإلحاح أن يقوم الحاج سويلم بإحضار الدولاب الحجري من مغارته الكبيرة التي يرقد فيها منذ مئات السنين، لكنه رفض لأسباب نعرفها وأخرى لا نعرفها، من بينها أن هذا الدولاب هو ميراث الآباء والأجداد، ولا يفرّط به. والحقيقة أن ما حاول الحاج سويلم إخفاءه كان يبرز بين حين وآخر؛ فقد تمكن أبو العقارب ذات ليلة من سماع حديث دار بين سويلم وامرأته سرعان ما تحول إلى شجار، قالت المرأة:

– يا رجل، دعنا نستفيد من هذا الحجر، إن موسم الزيتون على الأبواب، وشجراتنا هذه السنة لم تحمل مثل باقي الناس.

– إنك لا تفهمين أيتها المرأة، قلت لك أكثر من مرة: إن روح جدي تحرس الحجر.

– جرّب، لماذا الخوف؟

– يا بنت الحلال، هذه الأمور تؤدي بنا إلى التهلكة.

– دَعْ غيرك يقوم بها.

صمت قليلاً، ووضع يده على رأسه، وقال:

– فكرة معقولة، إن أكثر المتحمسين أبو العقارب، سأدعه يقوم بالمهمة، لكنك ستكونين مفتاح الشر.

في هذه الأثناء امتلأت نفس أبي العقارب فخراً، وقرّر أن يُصعّد من طلبه لهذا الأمر، زِدْ على ذلك أن الرجل له مغامرات كثيرة مع الجان كما يدّعي.

اجتمع ثلة من الكبار تحت شجرة زيتون قديمة، فقال أبو العقارب:

- لا يجوز أن يظلّ الدولاب حبيس المغارة الكبيرة، إنه لنا جميعاً، لماذا نذهب إلى فهيم في بلاد الله الواسعة لنعصر الزيتون بشلن للكيس الواحد.

أضاف أبو مهاوش:

- وننام تحت مطر الشتاء من أجل عيون فهيم، وحجر سويلم يأكله الدود.

- سيأكل الدود رأسك أيها المجنون، إنه من الحجر الخالص.

- لنطلب إليه مطلبنا العادل عندما يأتي.

مسح أبو العقارب شاربيه، وقال:

- كيف نذهب إلى آخر الدنيا ولدينا هذا الحجر؟

- والسنة لا يوجد عندنا عدد كافٍ من الحمير، لقد قتلها برد الشتاء.

- اسمعوا، لا تدعوا هذا المجنون يتحكّم فينا.

فجأةً وبلا سابق إنذار ظهر سويلم تحت الشجرة التي يجلسون تحتها، وقال:

- سمعت كل شيء، اسمعوا أيها المجانين، هذا الحجر ليس ملكاً لكم، ولا لأولادكم، إنه لي، ورثته عن أبي، لا يمكن لأحد أن يمسّه.

توقف لحظةً، وضرب حجراً في يده، وتظاهر بالغضب.

عدل أبو العقارب جلسته، وقال:

- في أيّ شريعة نذهب إلى بلاد أخرى لنعصر الزيتون ولديك هذا الحجر الضخم الذي يعصر الزيتون في ساعات.

ضحك سويلم، وقال:

- مجنون أنت، هل تعرف عصر الزيتون؟

- نعم، كنت أجلس إلى جانب فهيم وهو يدرس الزيتون تحت الحجر، ثم يجمعه ويضعه في أكياس، ثم يقوم.

- قاطعه سويلم: لا، ما شاء الله فهمان!.

- قُلْ: إنك لا تريد فقط.

تلفّت سويلم إلى الحاضرين، وقال لأبي العقارب كمن اقتنع:

- ستحاول يا أبا العقارب، لكنك ستخسر من زيتونك نصفه إذا أخفقت.

أكد أبو العقارب رباطة جأشه، وقال:

- موافق.

وأضاف سويلم:

- ولن أتحمل أيّ مسؤولية عما سيحدث لك نتيجة هذا الأمر. قال هذا وأدار ظهره، ورفع يديه إلى السماء، وتمتم.

اندسّ أبو العقارب أمام الجمع في المغارة، وحمل معه نتشة مشتعلة؛ فقد كانت المغارة مظلمة، وصرخ في الداخل:

- إنه كبير جداً، أريد مساعدة الرجال.

دخل معه سبعة رجال أشداء، في حين هرب سويلم إلى صخرة بعيدة، ووضع يديه على عينيه حتى لا يرى ما سيحدث، وانتابه خوف شديد، ماذا سيحدث إذا قامت روح جده؟!.

قال أحد الرجال:

- كيف تمّ إدخاله إلى هنا؟

- كان لديهم كثير من الخيل القوية.

- هيا يا رجال.

صاح الرجال بصوت واحد وهم يدفعون الدولاب المستند إلى جانب المغارة:

- يا الله.

وتزحزح الدولاب، إنهم قربه مثل الأقزام.

قال أبو العقارب:

- انتبهوا يا رجال؛ فالمنطقة وعرة جداً، وستحدث كارثة إذا لم نسيطر على الدولاب.

تقدم الرجال، وسار الدولاب مسرعاً؛ فالمنطقة شديدة الوعورة، وتؤدي إلى وادٍ سحيق.

صرخ أبو العقارب:

- يا رجال، ألقوه أرضاً.

لم يتمكّن أحد من إيقافه، انطلق كالصاروخ باتجاه الوادي. تحرّك سويلم مسرعاً وهو يصيح:

- بالتأكيد لن يتوقف، راقبوه لن تجدوه أيضاً أيها الأغبياء.

كانت طيات الوادي كثيرة، ولم يعُد الدولاب يظهر للعيان، لكن الرجال نزلوا خلفه يركضون، وصراخ سويلم يتبعهم:

- أيها الأغبياء، إنهم حرّاسه الجن، عودوا.

وعلى بعد مئات الأمتار، وأمام صخرة بارزة، كان الدولاب جثة هامدة اختفت ملامحها.



الحرات في السعودية

عمرها ٣٥ مليون سنة

محمد بن أحمد الراشد
الرياض – السعودية

الحرات طفوح بازلتية تكونت من حمم الصخور البركانية المنصهرة، التي تدفقت من باطن الأرض نتيجة النشاط الحركي والزلزالي في عصور قديمة. تقع أهم الحرات في المملكة العربية السعودية في الجزء الغربي منها، بامتداد طولي من الجنوب إلى الشمال مع مرتفعات جبال الحجاز، ثم تمتد شمالاً عبر منطقة الجوف ومنطقة الحدود الشمالية حتى تتقاطع مع حدود المملكة مع الأردن. وتوجد في السهل الساحلي الغربي بعض الحرات الصغيرة.

وتعدّ حرات المملكة من كبرى مناطق البازلت القلوي في العالم، وتكوّنت خلال العصرين الثالث والرابع نتيجة التدفقات البركانية التي صاحبت انشقاق البحر الأحمر، وعمرها يراوح بين ٥ ملايين و٣٠ مليون سنة. وأحدث نشاط بركاني لهذه البراكين هو ما وقع قرب المدينة المنورة سنة ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م، وتبلغ مساحة حرات المملكة ٩٠ ألف كيلومتر مربع تقريباً، تمثّل قرابة ٤,٦٪ من مجمل مساحة المملكة، وتعدّ حرة رهاط كبرى الحرات مساحةً؛ إذ تبلغ مساحتها

نحو ٢٠ ألف كيلومتر مربع. وتقع معظم فوهات البراكين على خط بركاني مستقيم تقريباً، وهو خط طول ٤٠ درجة شرقاً، ما عدا حرة الهتيمة التي تكوّنت في وسط المملكة إلى الشرق من جبال سلمى. وأهم تلك الحرات هي:

حرة الحرة

تمتد من منطقة الجوف باتجاه الشمال لتدخل الحدود الأردنية، وتُعرف بالحرة، وتأخذ اتجاه الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي، وتقع إلى الشرق من وادي السرحان، ويبلغ طولها داخل المملكة نحو ٢٣٠كم، في حين يبلغ أقصى عرض لها نحو ٨٥كم، وتقدر مساحتها بنحو ١٤,٥٠٠ كيلومتر مربع، وأشهر جبالها: لس (١١٢١م)، ونعيج (١٠٢٣م)، وتقع مدينة طريف شرقاً منها، في حين تقع مدينة القريات غرباً منها.

حرة عويرض

تقع غرب مدينتي: العلا، ومدائن صالح (الحجر)، وتمتد من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي بطول ١٤٠كم تقريباً، وأقصى عرض لها يبلغ نحو ٤٠كم، ولها فوهات بركانية على خط مستقيم على طول الحرة، منها: فوهة الهوية التي يبلغ قطرها نحو ١٥٠٠م بعمق يصل إلى نحو ٥٥م، وفوهة المجينينة التي يبلغ قطرها نحو ١٥٠٠م بعمق يصل إلى نحو ٤٥م، ومن أهم جبالها جبل عناز (١٨٣٩م). وتوجد بعض الحرات التي تعدّ امتداداً لحرة عويرض، هي: حرة الرحا في الشمال، وحرة الزبن في الجنوب. وتقدر مساحة حرة عويرض وامتداداتها -حرة الرحا، وحرة الزبن- بنحو ٧٩٠٠ كيلومتر مربع.

الحرات طفوح بازلتية تكونت من حمم الصخور البركانية المنصهرة، التي تدفقت من باطن الأرض نتيجة النشاط الحركي والزلزالي في عصور قديمة

حرة الشاقة

تقع بين مدينتي العيص من الشرق وأملج، وتمتد من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي بطول ٦٣كم تقريباً، وعرض ٥٨كم تقريباً، وتقدّر مساحتها بنحو ١٧٠٠ كيلومتر مربع. وقد انساحت الحرة -بحكم الميل- باتجاه الغرب، خصوصاً من خلال الأودية، ووصلت إلى السهل الساحلي، وأشرفت على مدينة أملج.

حرة خيبر

حرة عظيمة تقع شمال شرق المدينة المنورة، وتعدّ ثاني كبرى الحرات في المملكة مساحةً بعد حرة رهاط؛ إذ تقدّر مساحتها بنحو ١٤,٦٠٠ كيلومتر مربع. وتمتد هذه الحرة طولياً باتجاه شمالي جنوبي تقريباً بطول يقدر بنحو ٢٨٠كم، من شمال بلدة الصويدرة جنوباً (شرق المدينة المنورة) حتى دائرة العرض ٢٧ درجة شمالاً، أما أقصى عرض لها فيبلغ ١٧٠كم تقريباً. وتتميّز هذه الحرة بارتفاع جبالها البركانية التي توجد على خط مستقيم تقريباً، ومن أهم جبالها: الأبيض (٢٠٩٣م)، والقدر (٢٠٢٢م)، والبيضاء (١٩٣٦م)، والإكليل (١٩٣٨م). وتنحدر منها أعالي روافد وادي الرمة (أكبر أودية المملكة)، وتنتشر بعض المراكز العمرانية على أطرافها الشرقية والغربية؛ ففي الجهة الشرقية تقع مدن وقرى: الحناكية، والنخيل، والشملي، والحائط، والشويمس، في حين تقع في الجهة الغربية مدن وقرى: خيبر، والعشاش، والصلصلة.

حرة الهتيمة

تقع بمحاذاة جبال سلمى من الشرق إلى الجنوب الشرقي من مدينة حائل، ويبلغ طولها ٥٥كم تقريباً، وأقصى عرض لها ٣٠كم تقريباً، وتقدّر مساحتها بنحو ٨٠٠ كيلومتر مربع، وهي الحرة الوحيدة البعيدة من خط النشاط البركاني. ويوجد في هذه الحرة منخفض طابة، وهو فوهة بركانية يبلغ قطرها نحو ١٥٠٠م بعمق يصل إلى نحو ٣٥م، وتقع فيه قرية طابة القديمة. ومن أهم جبالها وداراتها: جبال الحليان (١١٢٢م)، وجبل القفيل (١٠٣٣م)، ودارة حميمان، ودارة الحمراء، ودارة دخنا، ودارة صعينين.

حرة رهاط

كبرى الحرات في المملكة؛ إذ تقدّر مساحتها بنحو ٢٠ ألف كيلومتر مربع، وتسمى في بعض المواقع حرة القرى أو الكرى، وحرة الحجاز، وهي حرة طويلة تقع إلى الجنوب من حرة خيبر، وتمتد طولياً باتجاه شمالي جنوبي، ومعظم براكينها تقع على خط طول ٤٠ درجة شرقاً أو قريباً منه، وتنحرف البراكين قليلاً جنوبي هذه الحرة باتجاه الشرق، حتى تصل إلى خط طول ١٥َ ٤٠ً شرقاً، أما شمال الحرة فإن البراكين تنحرف قليلاً باتجاه الغرب، وتصل إلى خط طول ٤٥َ ٣٩ً شرقاً، ويبلغ طولها ٣١٠كم تقريباً، وأقصى عرض لها ٦٥كم تقريباً، وتصل أطراف الحرة الشمالية إلى قرب المدينة المنورة. ومن أشهر جبالها: منور (١٧٨٣م)، والشعثاء (١٣٦١م)، ومن أشهر فوهاتها البركانية فوهة المكسر. ويتفرّع من هذه الحرة بعض الحرات الصغيرة على شكل ألسن وأذرع انسابت من الطفح البركاني باتجاه الجنوب الغربي بفعل الميل، منها: حرات شمال مكة المكرمة، وحرات شمال شرق جدة، وحرة العطاوية، وحرة الحزيم. وتنتشر على أطرافها بعض المراكز السكنية؛ فعلى الأطراف الشرقية توجد بلدات: المحاني، والصلحانية، وصفينة، والسويرقية، والضميرية، وغيرها، وعلى الأطراف الغربية توجد بلدات: آبار الماشي، واليتمة، والأكحل، وغيرها، ومن الناحية الجنوبية توجد بلدة القعضبة، وبقربها ميقات ذات عرق (ميقات أهل العراق)، وتصل أطراف الحرة الشمالية إلى قرب المدينة المنورة.

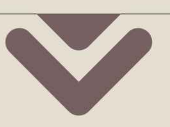
وشهدت الحرة أحدث نشاط بركاني سنة ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م عندما ثار بركان جبل الملساء، الواقع في الأطراف الشمالية الشرقية للحرة إلى الجنوب الشرقي من المدينة المنورة، وتدفقت اللافا حتى وصلت إلى أطراف المدينة المنورة.

حرة كشب

منطقة بركانية واسعة شديدة التضاريس، تقع في النهاية الشمالية لمنطقة ركبة شمال بلدة رضوان، وإلى الشمال الغربي من بلدة المويه الجديد، وإلى الجنوب الشرقي من مدينة مهد الذهب، ويصل إليها طريق أم الدوم- دغيبجة- حفر كشب المعبّد المتفرع من طريق الرياض- الطائف السريع، ويبلغ طولها من الجنوب إلى الشمال ١١٠كم تقريباً، وعرضها من الغرب إلى الشرق ٧٠كم، وتقدّر مساحتها بنحو ٦٠٠٠ كيلومتر مربع، ومن أشهر جبالها: الهيل (١٤٧٥م)، وأبو حريص (١٤٣١م)، وشلمان (١٣٨٨م)، ويهيي (١٢٩٨م)، والوعبة (١١٠٥م). وفي هذه الحرة فوهة عميقة يُطلق عليها (مقلع طمية)، يبلغ قطرها نحو ٢٠٠٠م، وعمقها ٢٢٠م، وعلى حافة الفوهة مجموعة من الينابيع المائية تنمو حولها أشجار الدوم، يمرّ بها طريق معبّد، وتقع على أطرافها الجنوبية بلدات: المويه القديم، ودغيبجة، وأم الدوم، وتقع بلدة حفر كشب وسط الحرة.

حرة نواصف (البقوم)

حرة واسعة تقع بين وادي رنية من الجنوب والجنوب الشرقي، ووادي تربة من الشمال والشمال الغربي، ومن الجنوب مدينة العقيق (عقيق الباحة)، ومن الشمال الشرقي الطريق الواصل بين رنية والخرمة، ويبلغ طولها نحو ٢٠٥كم، وأقصى عرض لها ١٢٥كم، وتقدّر مساحتها بنحو ١٠٥٠٠ كيلومتر مربع، وتتميّز هذه الحرة بأن براكينها منتشرة في جميع أنحائها وليست في خط مستقيم كحرة رهاط، أو خيبر، ومن أشهر جبالها: حليان لهايل (١٦٣٣م)، وجبل إفرا (١٦١٦م)، وجبل سفيرة (١٣٩١م). ومن



أهم الفوهات البركانية

الوعبة (مقلع طمية) وجبل أم حثرور وجبل أم الرقيبة في حرة كشب، والهتيمة ودارة الحمراء والنعي وطابة وجبل أم هرّوج في حرة الهتيمة، والهوية والسطيحة وأبو خشارم والمجينينة في حرة عويرض، وجبال أم جنب وجبل المكسر في حرة رهاط، وجبل القدر وجبل البيضاء وجبل المنسف في حرة خيبر، وهرمة في حرة هرمة، وجبل شثران في حرة نواصف.

الغرب من حرة حضن حرة صغيرة ناتجة من بركان واحد تسمى (حرة البرث)، تقع عند نهاية وادي لية عندما يتلاشى في سهل الجرد، ويبلغ طولها ١٠كم، وعرضها ٥كم.

وهناك بعض الحرات الصغيرة المتفرقة، منها:

حرة السراة

تبدأ من ظهران الجنوب باتجاه الشمال، وتمتد مسافة ٨٠كم تقريباً، وتبدو واضحة فوق قمم الجبال؛ لأن أغلبيتها انجرفت بفعل التعرية، وهي تحيط بمدينة سراة عبيدة.

حرات سهل تهامة

توجد بعض الحرات الصغيرة المتناثرة في السهل الساحلي (سهل تهامة) من جنوب مكة حتى مدينة جازان مرتبةً من الشمال إلى الجنوب، وهي: حرة الدام شمال قرية السعدية، وحرة شامة جنوب شرق الشعيبة، وحرة الصواملة شمال مدينة الليث، وحرة خميس البحر إلى الغرب من بلدة خميس البحر، وحرة محايل عسير إلى الجنوب من مدينة محايل، وحرة عكوة إلى الشمال الشرقي من مدينة صبيا، وحرة (أبو عريش) إلى الشرق من مدينة (أبو عريش)، وحرة القمم إلى الجنوب الشرقي من مدينة (أبو عريش).



الحرات تختلف في أحجامها وأشكالها

أشهر فوهاتها البركانية: فوهة جبل صلب، وفوهة جبل شثران. ويوجد داخل هذه الحرة عدد من البلدات، منها: العويلة، وجراب، والقوامة، وتقع مدينة العقيق على أطرافها الجنوبية، في حين تقع مدينتا: الخرمة، ورنية في الشمال الغربي، وتقع بلدات: العفرية، والأملح، والقافة على الأطراف الشرقية.

حرة حضن

تقع غرب حرة نواصف، ويفصل بينهما وادي تربة، ويحدّها من الغرب منطقة الجرد، ومن الشمال سهل ركبة، ويبلغ طولها نحو ١٢٠كم، وعرضها ٤٥كم تقريباً، وتقدّر مساحتها بنحو ٢٣٠٠ كيلومتر مربع، ويطلق عليها جبال حضن. ويوجد إلى

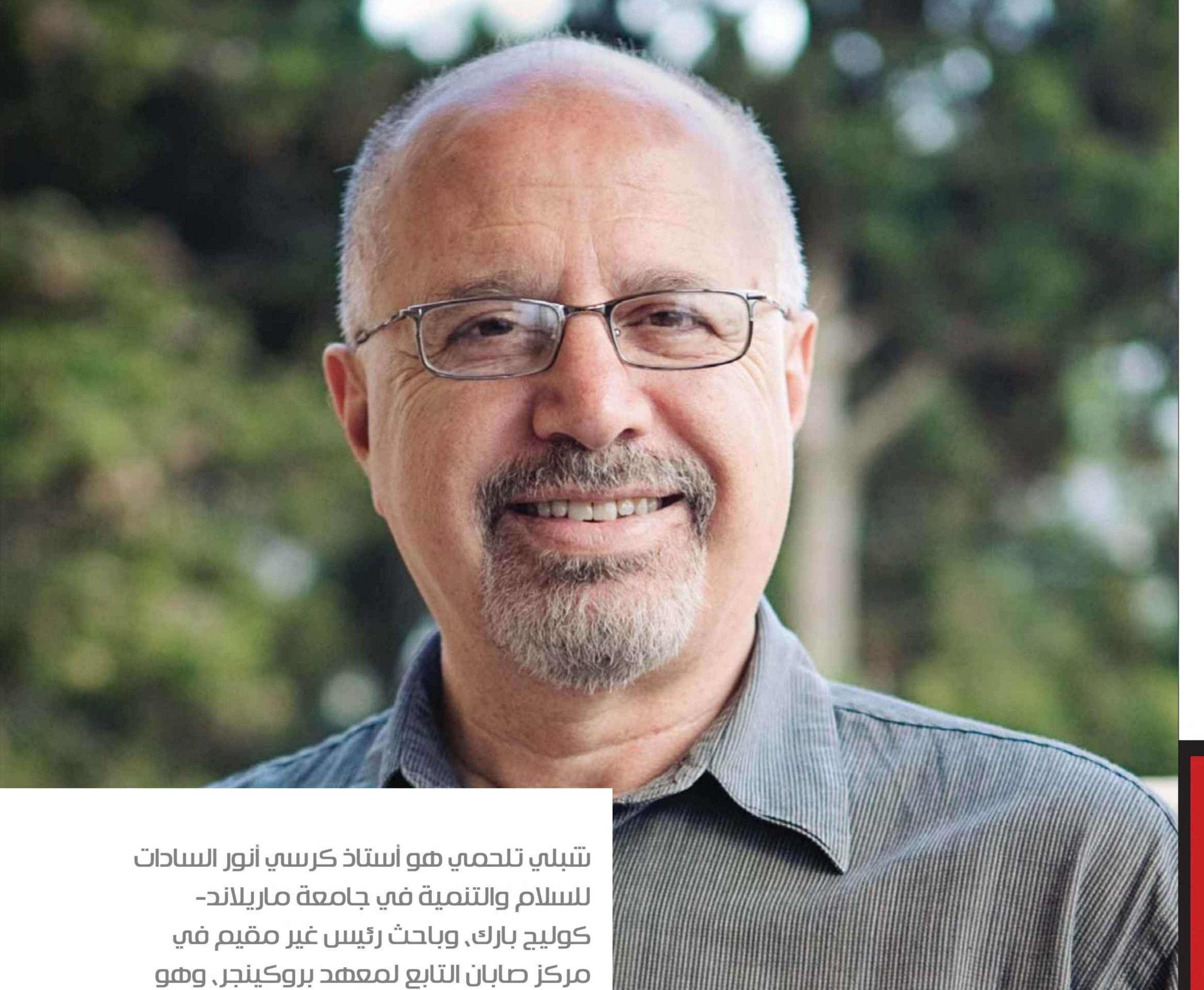
المراجع

(١) وزارة البترول والثروة المعدنية (تواريخ متعددة)، خرائط طبوغرافية متعددة.

(٢) هيئة المساحة الجيولوجية السعودية، دليل هواة الرحلات البرية في المملكة العربية السعودية، (١٤٢٤هـ).

(٣) هيئة المساحة الجيولوجية السعودية ودارة الملك عبدالعزيز، موسوعة أسماء الأماكن في المملكة العربية السعودية، (١٤٢٤هـ).

(٤) محمد الراشد وآخرون، المملكة العربية السعودية: حقائق وأرقام، هيئة المساحة الجيولوجية السعودية، (١٤٣٣هـ).



شبلي تلحمي:

الثورة الإعلامية أعلت من حقوق الفرد

شبلي تلحمي هو أستاذ كرسي أنور السادات للسلام والتنمية في جامعة ماريلاند- كوليج بارك، وباحث رئيس غير مقيم في مركز صابان التابع لمعهد بروكينجز، وهو ناشط في ميدان السياسة الخارجية؛ فقد شغل منصب مستشار في البعثة الأمريكية لدى الأمم المتحدة (١٩٩٠- ١٩٩١م)، وعمل مستشاراً سابقاً لعضو الكونجرس لي هاملتون، وكان عضواً في اللجنة الثلاثية الأمريكية- الإسرائيلية- الفلسطينية حول مناهضة التحريض، وعمل مستشاراً لدى وزارة الخارجية الأمريكية، وينشر عدداً من مقالات الرأي والتحليل في صحف واشنطن بوست، ونيويورك تايمز، ولوس أنجلوس تايمز، وبلتيمور صن، وغيرها.

حوار: عبدالله الكويليت

*** إذا بدأنا الحديث عن الربيع العربي، هل هناك دول أخرى تنتظر الدور في قائمة الربيع العربي في الشرق الأوسط حسب تصوّرك؟**

- سأقول لك تفسيري للربيع العربي؛ فقبل أن نتنبأ بحدوث أيّ تغيير علينا أولاً أن نفهم معنى الربيع العربي؛ ففي رأيي أن ثمة تغيّراً في طبيعة العلاقة بين الفرد والدولة، ليس فقط في العالم العربي، بل على مستوى العالم أجمع، والثورة الإعلامية هي من تقف وراء هذا التغير بغض النظر عن الاختلافات بين الدول؛ فكل دولة لها ظروفها الاقتصادية والسياسية والمحلية الخاصة، لكن في اعتقادي أن الثورة الإعلامية ركّزت الأنظار في حقوق الفرد في العالم بشكل عام، وحدّ انتشار المعلومة والمعرفة كثيراً من قدرات الدولة؛ فأصبحت الأخبار والمعلومات تتداول عالمياً وليس فقط محلياً، ومفهوم الحقوق الشخصية والفردية تغيّر؛ لذلك هناك مطالب ستثمر بشكل أو بآخر في شأن تقوية الفرد ودوره في المجتمع وفي السياسة.

وشكل هذا التغير يختلف من دولة إلى أخرى؛ فكلّ شخص لديه مطالب اقتصادية وسياسية، ومطالب لحلّ مشكلات البطالة، وهذه القضايا لها أبعاد معينة تختلف من دولة إلى أخرى؛ ففي الدول الفقيرة تتركز المطالب حول قضايا معينة تختلف عنها في الدول الغنية، وحسب رأيي فإن ظاهرة ازدياد المطالب الشعبية والفردية ستستمر، وستضغط على الحكومات في جميع الدول، وستختلف من دولة إلى أخرى.

*** ما نظرة النخب السياسية إلى تلك التحولات، خصوصاً في ظلّ دخول الصين منافساً قوياً للولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة؟**

- سأقسم الإجابة عن هذا السؤال قسمين: نظرة الحكومة والنخب السياسية، ونظرة الرأي العام الأمريكي إلى هذه التحولات؛ فعقب بداية التظاهرات في تونس ومصر حظيت هذه التظاهرات بدعم أمريكي كبير على المستوى الشعبي، وقد قمتُ بعمل استطلاع بعد ثورة الخامس والعشرين من يناير في مصر استهدف شريحة من المواطنين الأمريكيين؛ لمعرفة حقيقة نظرتهم إلى الثورات العربية، وكان ضمن هذه الاستبانة سؤال: أكانت الثورتان اللتان شهدتهما مصر وتونس هما مطالبات مشروعة لأناس عاديين يطالبون بالحرية والكرامة والحقوق أم هي تحركات إسلامية معارضة تهدف إلى الاستيلاء على الحكم؟. وأجابت الأغلبية بأن هاتين الثورتين حراك شعبي يطالب بالحقوق والكرامة والحرية؛ لذلك جاء التأييد الشعبي لهذا الحراك، وقد تغيّرت أيضاً وجهة النظر الشعبية في أمريكا تجاه العرب فجاءت إيجابيةً بنسبة ٦٠٪ من خلال هذا الاستطلاع، خصوصاً تجاه مصر.

لكن هناك متغيرات في هذا الموضوع، خصوصاً بعد استخدام العنف في ليبيا، وما يحصل في سورية؛ ففي آخر استطلاع قمت به ازدادت نسبة من يعتقدون أن هذه الثورات تقوم بها حركات إسلامية تريد الاستيلاء على السلطة؛ فهناك تغيّر في وجهات النظر على المستوى الشعبي، وهذا يعبّر عنه الكونجرس كذلك؛ لأن الكونجرس عادةً تتطابق نظرته مع الرأي العام الأمريكي. أما الإدارة الأمريكية فهي تفكر بطريقة أخرى؛ إذ تعتقد أن ما يحدث في العالم العربي يعدّ تغييراً تاريخياً تقف وراءه عدة عوامل، منها عامل تقوية الفرد، وكذلك الثورة الإعلامية التي لن تتغير وستزداد ولن تتراجع، والمطالب الشعبية ستمتد ولن تتقلص؛ لذلك ستكون هنالك تغييرات تدعمها الولايات المتحدة الأمريكية من ناحية المبدأ، لكن هناك أيضاً عوامل أخرى مهمة؛ فهنالك افتراض مضمونه أن الولايات المتحدة الأمريكية لا يمكن أن تتحكم في إرادة الشعوب في تقرير مصيرها؛

د. شبلي تلحمي مع نائب رئيس التحرير





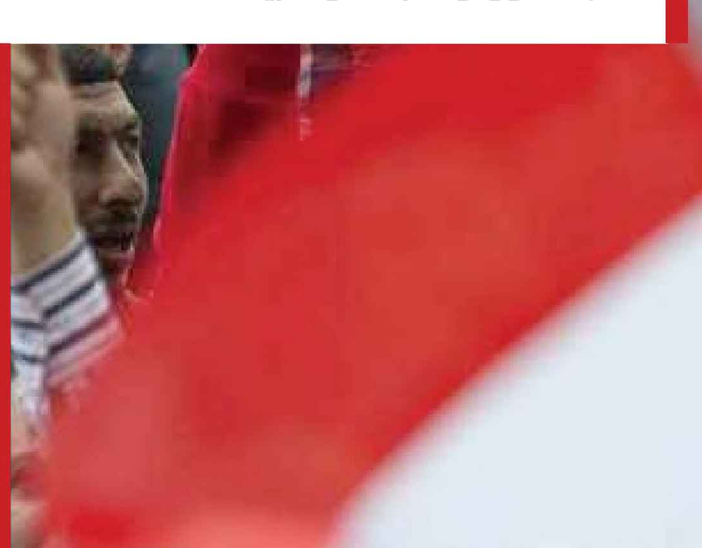
لذلك يجب ألا تتدخل بشكل مباشر بأيّ حال من الأحوال؛ لأن ما ستؤول إليه الأمور في النهاية لن يكون بيد الولايات المتحدة، وهو ما حصل مع مبارك حينما أدركت الولايات المتحدة التي تعدّ مبارك حليفاً أن القرار بيد المجتمع المصري، وكذلك في تونس؛ إذ قامت حكومة ساركوزي بدعم بن علي بدايةً، ثم قام ساركوزي بعد ذلك بإقالة وزيرة الخارجية، ولم يؤثر ذلك في القضية.

لكن في الوقت نفسه توجد هناك قضايا تعي الولايات المتحدة أهميتها، ومنها الدفاع عن الأمريكيين والمصالح الأمريكية، ويشمل ذلك القواعد الأمريكية والدبلوماسيين الأمريكيين، وعلى المستوى الإستراتيجي مصادر النفط، وهي مازالت تؤخذ في الحسبان على أنها مصالح إستراتيجية بالغة الأهمية، مع أن هناك فرضيات تقول: إن أهميتها انخفضت؛ فهناك من يقول: إن الولايات المتحدة تتجه نحو آسيا، ولم يعُدْ لديها اهتمام كبير بالشرق الأوسط، ولم تعُدْ تستورد كثيراً من النفط من الشرق الأوسط، وإن المعادلة

قمتُ بعمل استطلاع بعد ثورة الخامس والعشرين من يناير في مصر استهدف شريحة من المواطنين الأمريكيين؛ وأجابت الأغلبية بأن هاتين الثورتين حراك شعبي يطالب بالحقوق والكرامة والحرية

من أقوال شبلي تلحمي

كنت دائماً أعتقد أن الدراسات العلمية الجيدة يمكن أن تكون ذات صلة وثيقة بالسياسة العامة، وأن تؤثر فيها؛ فمن الممكن لها أن تؤثر في السياسة العامة من دون أن تكون مناصرةً لها، وأن تكون متّقدةً حماسةً للسلام من دون أن تتخلى عن الدقة التحليلية، وأن تتحرك طبقاً لما هو منصف وحق، وفي الوقت نفسه توافق على أن لا أحد يحتكر العدالة، وهذا ما سوف أسعى إلى تحقيقه بوصفه أفضل طريقة كي أبقى مخلصاً للمنصب الذي أشغله الآن.



تغيّرت، وربما ستتغير المعادلة خلال ٢٠ سنة، لكن على المدى القصير لن تتغير؛ لأن السعر في النهاية ليس مرتبطاً بالمنتج، بل مرتبط بالسوق؛ فإذا ارتفعت أسعار النفط بشكل كبير يؤثر ذلك في الاقتصاد الأمريكي والصناعات الأمريكية، وفي حركة المواصلات والطيران، وفي أسعار المحروقات؛ فليست القضية من أين تشتري النفط؛ فالسوق مفتوح اليوم، والعالم مازال معتمداً على النفط حتى الآن، وموقع المملكة العربية السعودية في معادلة النفط لم يتغير، وهي الدولة الوحيدة التي تنتج أكثر من المطلوب، ولا توجد أيّ دولة لديها القدرة نفسها؛ فهذه المعادلة لن تتغير في السنوات العشر المقبلة على أقلّ تقدير.

*** يقال: إن هناك انخفاضاً في مخزون النفط داخل السعودية، كيف يقرأ الأمريكيون ذلك؟**

- حسب وجهة نظري، فإن المخزون يغطي احتياطياً بعيد المدى.

*** يعني بعد كم: ٢٠ أو ٥٠ سنة تقريباً؟**

- لا أعلم بالضبط، ولا يمكن لأحد أن يتنبأ بذلك، لكن على مستوى التقدير السياسي والاقتصادي فإن هذا المخزون يفي بالغرض مدة عشر سنوات مقبلة على أقلّ تقدير.

*** حدثنا عن اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية بالصراع العربي الإسرائيلي عقب ثورات الربيع العربي؟**

- بشأن الصراع العربي الإسرائيلي فإن هناك اهتماماً أمريكياً كبيراً بهذا الملف بشكل عام، وبإسرائيل وأمنها بشكل خاص، وعندما بدأت الثورات في تونس ومصر دُعيت إلى الكونجرس عدة مرات للاجتماع مع الأعضاء لمعرفة رأيي في هذا الموضوع، والسؤال الأكثر تداولاً، خصوصاً فيما يخصّ الشأن المصري، كان حول أبعاد الثورة فيما يخصّ العلاقات مع إسرائيل، واتفاقية كامب ديفيد، وكذلك سئلت عن تمكّن المنظمات المتطرفة كالقاعدة من أن يكون لها دور في المرحلة المقبلة، هذه أبرز القضايا التي تؤرق الكونجرس في هذه المرحلة على الأقل.

بالنسبة إلى إسرائيل، فإن القضية الأهم للإسرائيليين هي العلاقات مع مصر، قضايا سورية والأردن مهمة، لكن ليست على قدر أهمية العلاقات الإسرائيلية المصرية؛ لأن مصر هي الدولة الوحيدة التي باستطاعتها محاربة إسرائيل، واتفاقية كامب ديفيد تمثّل الهاجس الأكبر بالنسبة إلى الإسرائيليين.

وبالنسبة إلى سورية، فأعتقد أن الإسرائيليين لا يعون أين تكمن مصالحهم بالضبط؛ فعلى الرغم من دعم الأسد حزب الله وحلفه الإستراتيجي مع إيران إلا أن نظام الأسد تصرف بمسؤولية تجاه الملف الإسرائيلي وقضية الجولان تحديداً؛ فثمة تفاهم بين الطرفين على الخطوط الحمراء، وكان الطرفان على وشك إبرام اتفاق عام ١٩٩٩م، فكان هناك ارتياح إسرائيلي تجاه هذه القضية، وفي الوقت نفسه فإن هناك تخوفاً من دعم سورية حزب الله؛ فقضية حزب الله تمثّل مشكلة إستراتيجية كبيرة بالنسبة إلى إسرائيل؛ فبعد حرب عام ٢٠٠٦م، وازدياد قوة حزب الله، أصبح الإسرائيليون يرون أن إضعاف الأسد من مصلحتهم؛ فإضعافه يؤثر في إيران ودورها، وهناك تخوفات إسرائيلية لدى بعض المحللين -كما هو الحال في الولايات المتحدة- حول دور محتمل للقاعدة في سورية ما بعد الأسد.

> ضعفت الولايات المتحدة كثيراً؛ فالفجوة بين الاقتصادين الصيني والأمريكي تقلصت بشكل كبير



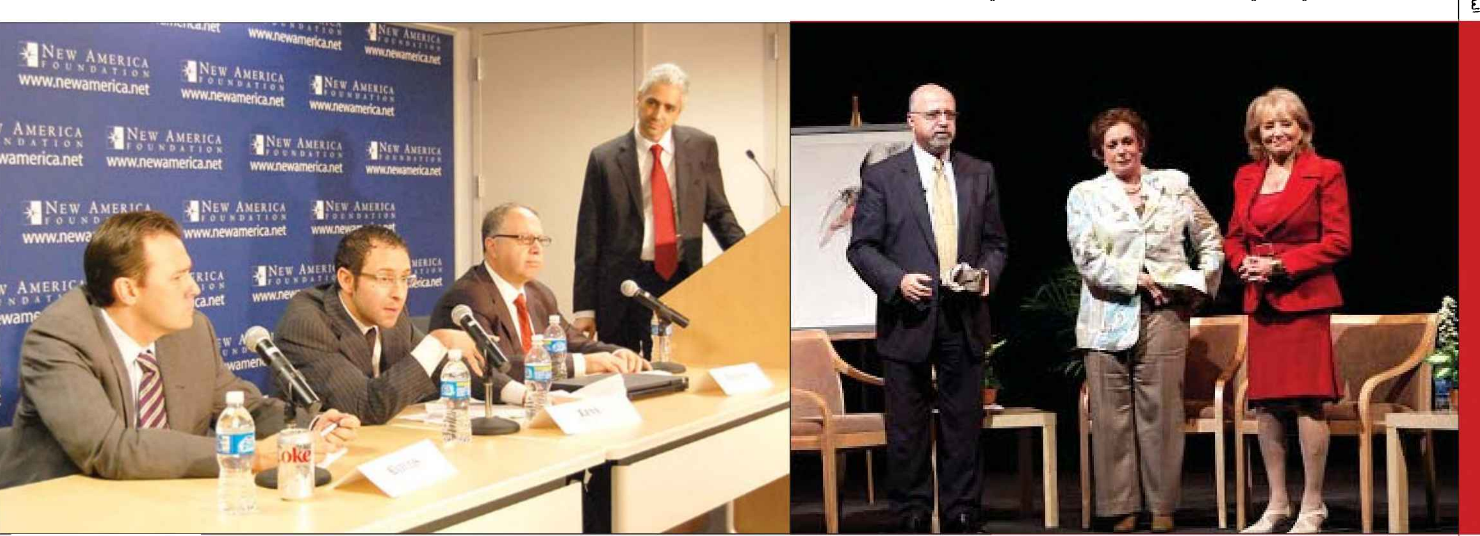
*** هناك نظرية تقول: إن الولايات المتحدة تحتاج إلى حرب كل ١٠ سنوات لتحريك القاطرة الاقتصادية الضخمة والمعقدة، هل نحن بصدد ضربة أمريكية لإيران؟**

-لا أعتقد ذلك، كان من الممكن أن تقوم إسرائيل بضرب إيران، وتجرّ أمريكا وراءها إلى هذه المواجهة في الأشهر الستة الفائتة، لكن المعادلة تغيّرت؛ فإسرائيل ليست متأكدة من نجاح عملية كهذه، والولايات المتحدة ليست مستعدة لخوض حرب جديدة، خصوصاً بعد حربي العراق وأفغانستان التي أنهكت الولايات المتحدة، إضافةً إلى الضغط الشعبي الذي لا يريد خوض حروب جديدة، وهناك رأي من المؤسسة العسكرية الأمريكية يقول: إن أيّ ضربة أمريكية للمفاعلات النووية الإيرانية لن تثني أو تقوّض إمكانيات إيران في إنتاج سلاح نووي، بل ستؤجل الأمر إلى ثلاث سنوات على أكثر تقدير، لكن أمريكا ملتزمة الدفاع عن أمن إسرائيل، وقد يكون هذا الخيار مطروحاً إذا استدعى الأمر.

*** هناك أزمة اقتصادية عالمية قائمة، والولايات المتحدة غير قادرة على تقديم مشروع مارشال جديد، وفي الوقت ذاته هناك بزوغ للصين بوصفها قوة اقتصادية مقبلة بقوة، كيف ترى الخريطة الاقتصادية العالمية في السنوات العشر المقبلة؟**

- يجب أن نعلم أن المعادلة تغيّرت؛ فأمريكا في التسعينيات تختلف عن أمريكا حالياً؛ فأمريكا في التسعينيات كانت الدولة العظمى الوحيدة على الساحة؛ فروسيا كانت في تراجع، ولم تكن الصين قد نهضت بعد، والاقتصاد الأمريكي كان الأقوى؛ أي أن أمريكا كانت الدولة الأقوى في العالم في تلك الحقبة، لكن بعد حرب العراق التي دمرت العراق، وأثّرت في المنطقة، تغيّرت المعادلة، وضعفت الولايات المتحدة بشكل كبير؛ فالفجوة بين الاقتصادين الصيني والأمريكي تقلصت بشكل كبير بعد حرب العراق؛ فروسيا لديها طموحات قوية مع محدودية قدراتها، والصين لديها الطموح والإمكانيات، وعلى الرغم من تراجع الولايات المتحدة إلا أنها مازالت من أقوى الدول من حيث النظام السياسي الداخلي، لا تنسَ أن الصين على الرغم من كلّ المقدرات فهي الآن تعاني تناقضات وتباينات داخلية هائلة لا يُعرف كيف ستكون نتائجها وأبعادها، لا أعتقد أن دور الولايات المتحدة سيتقلص كثيراً، خصوصاً إذا نجحت أمريكا في إنعاش الاقتصاد؛ فأنا أنظر إلى هذه المرحلة بوصفها مرحلة تراجع مؤقتة، ولا يمكننا القول: إن الولايات المتحدة ستظلّ في هذا التراجع مدى بعيداً.

د. شبلي تلحمي ومشاركة فاعلة في الحراك السياسي



شبلي تلحمي في سطور

شبلي تلحمي هو أستاذ كرسي أنور السادات للسلام والتنمية في جامعة ماريلاند- كوليج بارك، وباحث رئيس غير مقيم في مركز صابان التابع لمعهد بروكينجز. وقبل أن يلتحق بجامعة ماريلاند كان يدرّس في عدة جامعات أمريكية مرموقة، منها: جامعة كورنيل، وجامعة ولاية أوهايو، وجامعة ساذرن كاليفورنيا، وجامعة برينستون، وجامعة كولومبيا، وكلية سوارثمور، وجامعة كاليفورنيا في بيركلي حيث حاز على شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية.

كان البروفيسور تلحمي أيضاً ناشطاً في ميدان السياسة الخارجية؛ فقد شغل منصب مستشار في البعثة الأمريكية لدى الأمم المتحدة (١٩٩٠- ١٩٩١م)، ومستشاراً سابقاً لعضو الكونجرس لي هاملتون، وكان عضواً في اللجنة الثلاثية الأمريكية- الإسرائيلية- الفلسطينية حول مناهضة التحريض، التي نصّت على تشكيلها اتفاقات واي ريفر، وعمل مستشاراً لدى وزارة الخارجية الأمريكية. كما خدم أيضاً في المجموعة الدراسية حول العراق عضواً في مجموعة العمل حول البيئة الإستراتيجية.

ونشر البروفيسور تلحمي عدداً من مقالات الرأي والتحليل في صحف واشنطن بوست، ونيويورك تايمز، ولوس أنجلوس تايمز، وبلتيمور صن، وغيرها من صحف ومجلات أخرى، وهو يظهر بانتظام في برامج إذاعية وتلفازية قومية أمريكية. وشارك في الفريق الاستشاري الأمريكي حول الدبلوماسية العامة للعالم العربي والإسلامي، الذي شكّلته وزارة الخارجية بناءً على طلب من الكونجرس، وشارك في صياغة التقرير حول النتائج التي توصل إليها ذلك الفريق، والتي حملت العنوان: (تغيير العقول وكسب السلام). وكذلك شارك في صياغة كثير من تقارير مجلس العلاقات الخارجية حول الدبلوماسية العامة الأمريكية، وعملية السلام العربية- الإسرائيلية، وأمن الخليج العربي.

اختارت مجلة الشؤون الخارجية كتابه الذي حقق أفضل المبيعات، وعنوانه: (الرهان: أمريكا والشرق الأوسط)، ويست فيو برس، ٢٠٠٣م، نسخة محدثة ٢٠٠٤م، أحد أفضل خمسة كتب منشورة عن الشرق الأوسط في عام ٢٠٠٣م. وتشمل مؤلفاته الأخرى: السلطة والقيادة في المفاوضات الدولية: الطريق إلى اتفاقات كامب ديفيد (١٩٩٠م)، وتحرير كتاب: المنظمات الدولية والنزاعات العرقية، بمشاركة ميلتون إيسمان (١٩٥٥م)، وتحرير كتاب: الهوية والسياسة الخارجية في الشرق الأوسط، بمشاركة مايكل بارنيت (٢٠٠٢م)، وتحرير كتاب: محاضرات السادات: كلمات وصور حول السلام ١٩٩٧- ٢٠٠٨م (٢٠١٠م)، وتحرير كتاب: الدبلوماسية الأمريكية في الشرق الأوسط ١٩٨٩- ٢٠٠٩م، بمشاركة دان كيرتزر وآخرين (قيد النشر)، وعدداً من المقالات عن السياسة الدولية وشؤون الشرق الأوسط. كما كان محققاً رئيساً في الاستطلاع السنوي للرأي العام العربي الذي كان يتم إجراؤه منذ عام ٢٠٠٢م في ست دول عربية.

والبروفسور تلحمي عضو في مجلس العلاقات الخارجية، وعضو في مجلس إدارة مؤسسة التعليم من أجل التوظيف، وفي عدد من المجالس الاستشارية الأكاديمية، وعمل عضواً في مجلس إدارة حقوق الإنسان (هيومن رايتس ووتش)، ورئيساً للجنة الاستشارية لهيومن رايتس ووتش- الشرق الأوسط، وكذلك كان عضواً في مجلس إدارة المعهد الأمريكي للسلام. وقد منحته جامعة ماريلاند في عام ٢٠٠٢م جائزة التميز في الخدمة الدولية، وفي عام ٢٠٠٦م منحه مجلس حكام نظام جامعة ماريلاند جائزة الامتياز في الخدمة العامة.

مصادر النفط مازالت تؤخذ في الحسبان على أنها مصالح إستراتيجية بالغة الأهمية للولايات المتحدة

كان من الممكن أن تقوم إسرائيل بضرب إيران، وتجر امريكا وراءها إلى هذه المواجهة في الأشهر الستة الفائتة، لكن المعادلة تغيرت بعد حرب العراق



حجارة محمود درويش

«أيها الحاضر.. الحاضر رغم غيابه»

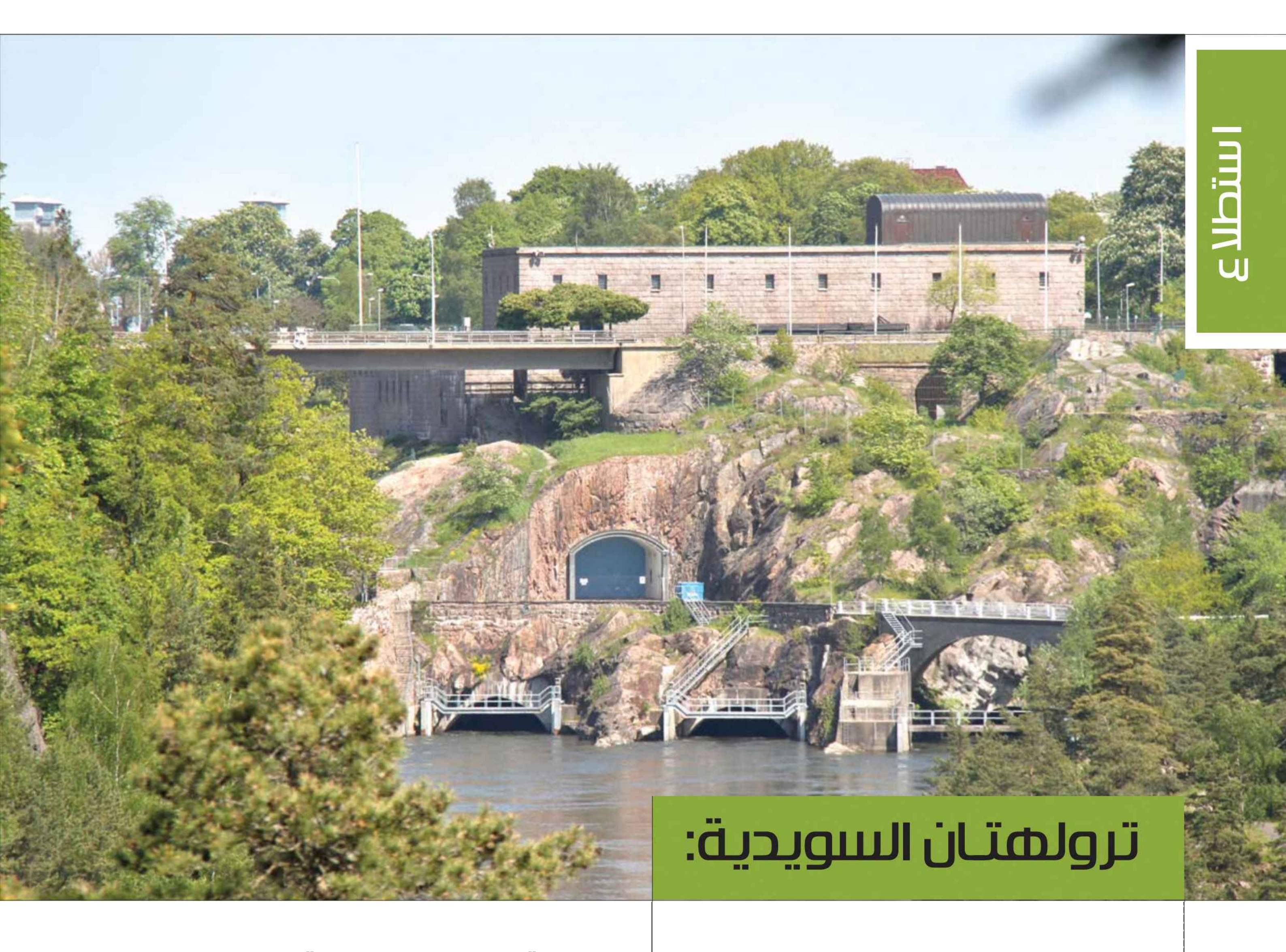
قصيدة

كمال عبدالرحمن النعيمي
الموصل – العراق

ما بينَ حربين وموتين
تشيخُ القُنبلهْ
الكوكب الدريُّ
ما غابَ على سُنَنِ الهشيمْ
محمودُ في جمر القصيدة
كان يمشي
وينامُ
ويُقيمْ
وخالد كان يصبّ الزيتَ
في شعلة هذا الكون
حيث الظلام ينتمي
وحيث ينتهي الظلامْ
ولا تُلامُ
بل تُلامُ
ها أقبلتْ خيلُ الملامات
فشاخَ الموتُ
شابَ الدهر مشنوقاً
على دمع المجرات
فجُنّت مئذنهْ
واستنْفَدتْكَ رُؤى المجانيق
بحرب (الصدّ ما ردَّ)
وفي دُوَلِ السُّعالْ
واستنْفد الشِّعر المعبّأ
في قناني الخوفِ
والجوعِ
وفي الحَجر المُزنّدِ بالبكاءْ
سقط اللواءْ
فبكى الردى سهواً
على جُثث الأهلَّة
في صهاريج الأسى
واستنْفد الرعد الموشّى
بالمواويل اليتيمة
والعقوقْ
واستنفد الماضون في حُلل التشتّت
ترجمانَ الحوقلهْ
سقط النّصيفْ
سقط الرصيف على ذقون
الهاربين من اللظى نحو اللظى
وسقطتَ يا عُرسَ الترمّل
ضاحكاً كالموتِ
فارتَجّتْ جبالُ الجُلْجُلَهْ

ضحك المُحال على التواريخ
التي ثقّبها (القُولنج)
والفرحُ العضالْ
حين ارتمى الموت على الموت
وبادتْ نزوةُ الماضين
في حُلل البكاءْ
ولا عزاءْ
بل عُواءْ
يا أمّة الثَّقلين
يقتلنا العُواءْ
سقط الرصيف على رؤوس
الأقنعهْ
فتزلزل الضحكُ المقدسُ
أيها الموت الذي لا موت فيك
«وكان صوت الكون يرتجف
انبهارا
كان (محمود) انتماء الأرض
للأرض
وعزفاً يتشظّى
في شواء الأزمنهْ
بين جرح الماء
والماء المحاصر بالعطش
كان محمود..
وكان..!»
قالت: أِنْخ
سقط الزمان على الزمان
«وكنت تبكي في رحابك
رافضاً بَنْدَ السماوات
إلى الجرح المجوشن بالصلاة الغائمهْ
خلف ذاك الجرح جرح
خلف تلك الروم روم
خلف ذاك الموت موت»
وسموتَ تمتهنُ الزنازنَ والدخان
والموتَ صبراً
والتكهربَ في طِحال القاذفاتْ
«والنائماتِ جُوعاً
فالفاشلات ظهرا
فالضاحكات عصرا
والباكيات قيحا»
فإنّ محموداً سَمَا من أولِ الزمان
لآخِرِ الزمان!

(*) استخدم الشاعر أكثر من بحر في هذه القصيدة في محاولة لخلق ثورة موسيقية داخل النص ترنو إلى ثورة محمود درويش في الشعر العربي، ومنها قصائد الحجارة.



ترولهتان السويدية:

قبعة المارد

عندما قررت السفر إلى مدينة فرانكفورت الألمانية لحضور معرضها الدولي للكتاب رأيت أن أحاول اكتشاف هذه المدينة التي لم تتح لي الظروف زيارتها عندما كنت في معرض دروبا بديسلدورف في عام ٢٠٠٨م، لكن غلبت عليّ العاطفة حين وجدت أحد إخواني ممن حطّ بهم الرحال في السويد يدعوني إلى زيارته في مدينتها الثانية جوتنبرج، فآثرت تلبية الدعوة بعد مراسم افتتاح المعرض.

حسين حسن حسين
هيئة التحرير

فوزي صالح وهبي
ترولهتان – السويد

رتّبت الأمر من الرياض بحجز التذاكر، وتحديد المواعيد بمعاونة خبير بالسفر، وسارت الأمور كما أردت، ولا جديد في الحديث عن النظام والانضباط؛ فلا تأخير في مواعيد الإقلاع والهبوط، ولا تلكؤ في الإجـراءات على الرغم من صرامة الإجراءات الأمنية، ولا تدافع من أيّ نوع؛ فالإجراءات دائماً تتم بسلاسة قد تبدو مملةً لمن اعتادوا أن يكون كل شيء (بعد جهد جهيد) كما يقولون.

مشاهدات وانطباعات عابرة

عندما وصلت إلى جوتنبرج لم تتأخر الطائرة، لكن تأخر الداعي بسبب إصلاحات الطريق، وتعجّلت أنا بالذهاب إلى وسط المدينة للانطلاق بالقطار أو الحافلة إلى العنوان المُعطى لي، فصادفت صوماليين ادّعوا مساعدتي، وكان غرضهم بعض المال؛ لأنهم (مساكين) حسب زعمهم، مع أنهم سويديون وفق ما أقروا؛ مما يعني أنهم (خواجات)، وأن المسكين أنا.

جاء أحد المهاجرين ممن يتسوّلون الناس على المكشوف، وخمّن أنني عربي، فادّعى ببراءة أنه يمني، ولا أدري هل تصوّر أن تعاطفي معه سيكون أكثر إذا كان يمنياً، مع أن شكله لا يوحي بذلك، وبعد أن نفيت أن يكون يمنياً اعترف بجنسيته، واعتذر بأنه كان يمزح، ومع هذا لم أتعاطف معه، وعرفت فيما بعد أنه من معالم هذا المكان.

لم تكن هذه المقدمة مبشّرةً؛ فقد حدث كلّ هذا في أقلّ من ساعة. جاء الأخ الداعي بعد أن استخدمت هاتف أحد هؤلاء الذين طلبوا المساعدة، فعلمت أنه كان في انتظاري بالمطار الذي جاء إليه متأخراً، ويبدو أنني ضبطت نفسي على الإيقاع الأوربي فتعجلت.

بعد سلام مرهق لطول الغياب، جاءت طائفة من الأسئلة المتعجلة والكثيرة عن الأهل بالأسماء والصفات، في حين أن بعضهم لم أرَهم من زمن طويل، مع أننا في مدينة واحدة، فاكتشفت أن إيقاع الحياة يفرض علينا جفوةً لا يشعر بها المرء إلا حين يختلي بنفسه في إجازة لا تطول غالباً بعيداً من أجواء العمل ومتطلبات الحياة اليومية.

كانت إجابتي عن تلك الأسئلة الملتهفة: كله تمام، ثم هدأت عاصفة السلام المتكرر والأسئلة لتأتي الفكرة، والسؤال عما نحن فاعلون.

عرفت أننا سنذهب إلى مدينة صغيرة اسمها ترولهتان، وهي على بعد مسيرة نصف ساعة أو أكثر قليلاً، وقد ارتحت لذلك؛ لأن الزائر الجديد لأيّ بلد دائماً ما يقصد المدن الكبرى، فرأيت أن المدينة الصغيرة تعطي صورةً أفضل عن واقع الحياة.

في الطريق لم يتغير المشهد الأوربي المألوف؛ فالخضرة تكسو جانبيه، والمنازل بسيطة ما دمنا نبعد من قلب المدينة، لكنها جميلة، وتأخذ طابعاً واحداً، والعمال ينتشرون على طول الطريق يعملون بهمة في تعبيده؛ لأنه طريق دولي يربط السويد بشقيقاتها من الدول الإسكندنافية.

لم أُشِـرْ إلى أن صديقي عندما لم يجدني ظلّ كثيراً ينتظر الطائرات المقبلة، حتى جاءت طائرة مقبلة من أديس أبابا تحمل أحد جيرانه ممن كانوا في إجازة طويلة للمّ شمل أسرته، وتهيئة معيشة لهم في السودان، وقد حكى طول الطريق ما تعرّض له من ابتزاز.

هذا ملمح من ملامح المهاجرين من الدول المضطربة؛ فهم يكابدون في الغربة، ويحملون هموم الأهل في الوطن، وإنه لمفارقة أن يكون السودان الذي يبدو في الإعلام ساحة حرب

ميناء جوتنبرج الشهير



العددان ٤٣٩ - ٤٤٠ / المحرم - صفر ١٤٣٤هـ

ملاذاً آمناً لمواطني الدول المجاورة، خصوصاً إثيوبيا وإريتريا اللتين يجد مواطنوهما في العيش بالسودان خياراً جيداً على الرغم من بعض الاستغلال الذي يتعرّضون له من ضعاف النفوس في البلدين وفي السودان.

وجدت منزل صديقي في مجمع سكني ذي طابع واحد كعادة المجمعات السكنية، وكانت ملامح من رأيت من ساكنيه أقرب إلى الملامح العربية، وقد عرفت أن أغلبهم من تركيا وباكستان والدول الآسيوية الأخرى، مع بعض العرب، والعرب الأفارقة، وهم من الذين ألجأتهم ظروف بلادهم إلى السويد، ووجدت لاحقاً أن المطعم التركي فيه أكلات عربية مختلفة، وأن بضائع البقالة داخل المجمع أغلبها يوافق الذوق العربي، وبعضها عربي صرف، كأن العرب انتقلوا إلى السويد بتقاليدهم وعاداتهم ومنتجاتهم، بل إن اللسان العربي يشيع بين الأبناء كأنهم لم يغادروا بلادهم.

الظاهرة اللافتة أن العرب تذوب بينهم الفوارق، فيمثّلون تكتلاً يتّضح في علاقات الأبناء، كما يرتبط الأفارقة مع بعضهم، بينما الآسيويون يمثّلون تكتلاً، وإن كان الأتراك لكثرتهم، ولعامل اللغة، يرتبط بعضهم مع بعض ممثلين كتلةً متجانسةً.

كانت هذه بعض المشاهدات والانطباعات العابرة، أما المدينة نفسها فقد رأيتها جميلة مثل غيرها من المدن الأوربية، ولم يحن وقت اكتشافها إلا في اليوم التالي بعد أن قضيت اليوم الأول أتقصّى حياة صديقي، الذي أوضح لي كيف أنه هو وأفراد عائلته تعلّموا اللغة السويدية من خلال برنامج مدروس ومكثف في مدة وجيزة في إطار سياسة لدمج المهاجرين في المجتمع السويدي، خصوصاً أن اللغة أساس للتفاعل مع المجتمع، ومعرفته معرفة جيدة، حتى يمكن للإنسان التكيف معه، واكتساب ما يناسبه من ثقافته؛ لإيجاد قواسم مشتركة بين المقبل الجديد وأهل البلد الأصليين، أو من أصبحوا من أهلها لاحقاً.

تحدث صديقي عن توافر كلّ سبل الراحة من تعليم على أعلى المستويات يتيح لكل طامح أن يصل إلى أقصى ما يستطيع من دون أعباء مالية، إلى جانب رعاية صحية بالغة الروعة، حتى إن من يتخلف عن الكشف الطبي في التاريخ المحدد له تقع عليه غرامات، مع وجود مسكن مهيّأ، وتوافر وسائل الحياة المعاصرة.

ولا يخلو الأمر من وجود بعض المنغصات؛ كارتفاع أصوات من يمارسون العنصرية على المهاجرين، ويساعدهم على ذلك بعض المشكلات التي يوجدها المهاجرون أنفسهم بعدم احترام بعضهم القوانين والأنظمة، وإتيانهم سلوكيات منحرفة يتم تعميمها بشكل مخلّ.

من معالم ترولهتان



نيل إريكسون هو باني سكك حديد السويد، إضافةً إلى بنائه قناة قوتا الحديثة، التي أكمل بناءها في عام ١٨٤٤م

ساهمت شركة قناة ترولهتان في تطوير ترولهتان التي أصبحت من المدن المهمة في السويد

ترولهتان: معلومات أولية

ذهبت في الصباح الباكر مع صديقي نحو النهر وهو يعرّفني بالمدينة وتاريخها، وذهلت أنه يحفظ كثيراً من المعلومات عن ظهر قلب، وأشار إلى أن ترولهتان Trollhattan واحدة من أقدم المدن الصناعية في السويد، وأن موقعها في غرب السويد، وهي تتبع محافظة غرب قوتلاند Vastra Gotland، وتقع على مسافة ٦٣ كيلومتراً من مدينة جوتنبرج (بالجيم المصرية، أو قوتنبرج حسب نطق صديقي). وهذه المدينة (أي: جوتنبرج) هي ثاني أكبر مدن السويد بعد العاصمة استوكهولم، كما أنها الميناء الرئيس للسويد، أما عدد سكان ترولهتان فيتجاوز الـ٥٥ ألف نسمة.

قبعة المارد

مضى صديقي في سرده الممتع ونحن نسير بين أشجار كثيفة، ومنازل ريفية الطابع أنيقة، وأناس يمارسون العدو وركوب الدراجات، وقال: عاش الناس في هذه المدينة منذ أكثر من سبعة آلاف عام، واشتهرت بقلعتها Ekholm التي بُنيت قبل ١٣٦٠ عاماً عند مصبات المياه على نهر قوتا الهائج دائماً ذي الشلالات والمنحدرات القوية. كان الناس يعتقدون أن مارداً ضخماً يسكن في منطقة مصبات المياه بالقرب من مكان القلعة، والمارد باللغة السويدية Troll، وكانوا يعتقدون أن النهر يهيج عندما يغضب المارد الضخم، فيصدر أصواتاً مخيفة ومرعبة، ويزداد تدفق المياه، ويزداد هديرها.

وكانت مدينة ترولهتان تسمّى سابقاً مدينة إدت الكبير Stor Edit؛ لوجود مصبّ كبير للمياه لنهر قوتا فيها، وعلى بعد ١٦ كيلومتراً منها يقع مصب أصغر Lilla Edit، وتسمى بالاسم المنطقة التي يقع فيها.

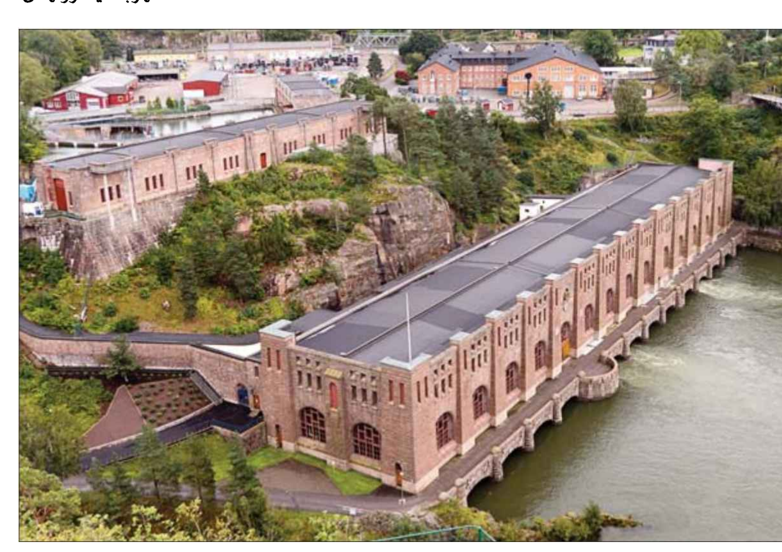
وفسّر صديقي أن عبارة لِيلا إدِت أتت من كلمة Eidhar، التي تعني الممر الضيق؛ لأن ممر الماء كان ضيقاً وبمنحدرات قوية، أما مدينة ترولهتان Trollhattan التي تعني قبعة المارد فسمّيت بهذا الاسم لوجود جزيرة عند مصبات المياه في شكل قبعة، وكان الناس يعتقدون أن هذه الجزيرة تقف مثل العصا عندما يشتد جريان المياه في المصب؛ لذا أطلق عليها قبعة المارد، الذي أصبح اسماً للمنطقة فيما بعد.

لقد أصبح نهر قوتا Gota الممر النهري الذي يربط Vanern في أقصى الشمال الغربي للسويد والمحيط (بحر الغرب) Vaster havet، لكن كانت هناك ثلاثة مصبات للمياه للنهر في Vargon وترولهتان Trollhattan و Lilla Ede ؛ إذ كان الناس يضطرون إلى تحميل بضاعتهم على الأرض عند هذه المناطق.

تم التفكير في بناء قنال عند هذه المناطق أول مرة في عهد الملك Gustav Vasas، وعهد المطران Brask، فتمّ بناء البوابة النهرية الأولى في Lilla Edet، وكان الانتهاء منها في عام ١٦٠٧ م، وتمّ إغلاق الماء في منطقة قبل ترولهتان لبناء سد وبوابة مائية بواسطة Polhem وEkeblad Elvius، لكن محاولاتهم فشلت لانهيار السد في عام ١٧٠٠م، ووفاة عدد كبير من الذين كانوا يعملون في بناء السد والبوابات، واستمرت المحاولات لإعادة بناء السد، لكن توقف العمل لأسباب مالية.

قام الملك جوستاف الثالث Gustav III بعدة محاولات لتقديم الدعم المالي للمشروع، لكنه توفي قبل اكتمال العمل، وتمّ إكمال بوابات ترولهتان في عام ١٨٠٠م في عهد الملك جوستاف الرابع أدولف Gustav IV Adolf، فأصبحت

محطة الكهرباء في ترولهتان



بوابات ترولهتان تُعدّ من عجائب الدنيا الثمانية، وكان حديث صديقي التاريخي ونحن أمام البوابات الضخمة التي كانت تفتح وتغلق يدوياً؛ مما يبين قوة سكان هذه المنطقة، ولا يزال بنيانهم الجسماني يدلّ على ذلك.

تمّ افتتاح قناة قوتا في عام ١٨٣٢م لمرور السفن من المحيط إلى Vanern، لكن بسبب تزايد عدد السُفن التي ترغب في المرور بهذه القناة، وتنامي أحجام السفن التي تأتي من المحيط ولا تستطيع المرور في هذه البوابات لكبر حجمها، تمّ التفكير في بناء بوابات وقنوات جديدة تسمح للسفن الكبيرة بالمرور.

مهندس بالفطرة

في عام ١٨٣٨م بدأ المهندس الميكانيكي نيلسون إريكسون Nils Ericsson بتنفيذ خطة حفر قنوات جديدة واسعة، وبوابات هيدروليكية ضخمة، مع تركيب مضخات توربينية تساعد على ملء هذه القنوات وتفريغها حسب الحاجة.

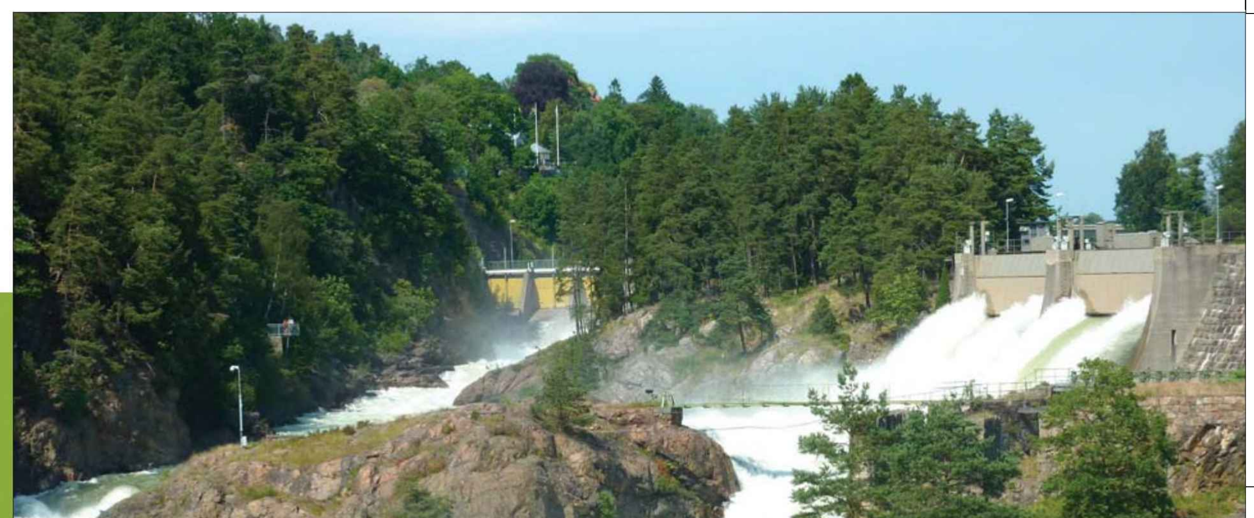
وهنا وجدت صوت صديقي يتغيّر حتى تشعر بمدى الإعجاب في نبراته عن المهندس نيلسون الذي وصفه بالعبقرية، وقال: إن قصته أقرب إلى الخيال؛ فهو لم يدرس الهندسة في الجامعات، لكنه تعلّم المهنة من والده هو وشقيقه John Ericsson. الأخوان نيلس وجون لم يدخلا مدرسة رسمية لتلقي تعليمهما حتى التعليم الأساسي، لكن والدهما أولف إريكسون Olof Ericsson، الذي كان يعمل مراقب منجم في مدينة Varmland، علّمهما أساسيات الميكانيكا منذُ نعومة أظافرهما.

ومضى قائلاً: خسر الأب أُولف إريكسون أمواله في المضاربة، واضطر إلى ترك العمل في المنجم في مدينته، وانتقل إلى مدينة Forsvik حيث تمّ تعيينه مديراً للشركة التي تولّت شأن بناء قناة قوتا في المدة بين ١٨١٠ و١٨٣٢م، فطلب مصممو القناة أن يكون ابناه معهم للقيام ببعض أعمال التصميم، وأقنع الملازم براندنبورغ من سلاح البحرية الميكانيكية تعليمهما فنّ التظليل، ورسم الأجهزة الميكانيكية، وهما في سنّ المراهقة، إلى أن أصبحا فيما بعد من أشهر المهندسين.

ونيل إريكسون هذا هو باني سكك حديد السويد، إضافةً إلى بنائه قناة قوتا الحديثة، التي أكمل بناءها في عام ١٨٤٤م؛ إذ عبرت باخرة الملك أوسكار الأول، واسمها الباخرة الملكية Esplendior، في عام ١٩٤٤م من هذه القناة، واستمرت حتى عام ١٩٤٦م.

في عام ١٩٠٤م كان قد تمّ شراء القناة من الشركة المالكة

بوابات ترولهتان



العددان ٤٣٩ - ٤٤٠ / المحرم - صفر ١٤٣١هـ

(شركة القناة) من قبل الدولة؛ للقيام بإجراء التعديلات اللازمة، وأُوكلت مهمة الإدارة إلى السيد Vilhelm Hansen، الذي كان متخصصاً في الطرق والمياه، والذي شكّل أول مجلس إدارة لشركة مصبات المياه Waterfall Company، وتمّت توسعة القناة لتتمكن البواخر التي طولها يصل إلى ٩٧ متراً، وعرضها ١٢,٥ متراً من المرور خلالها، وفي عام ١٩٠٧م بُنيت سدود في هذه القناة لتوليد الكهرباء، وتصل الطاقة الكهربائية المولدة إلى ٢٤٠ ميجاوات.

الأخشاب مصدر للرزق

بعد هذا الحديث عن نهر الحياة في ترولهتان انتقل صديقي إلى بعض الإشارات عن واقع معيشة السكان؛ فهم كما أوضح كانوا منذ عام ١٤٠٠م من الفلاحين الذين يعيشون على الزراعة، وقطع الأشجار وأخشابها بمناشير نصبوها على جانبي نهر قوتا، وبيع هذه الأخشاب في المدن الأخرى من أجل التدفئة والطبخ وبناء المساكن، وكانوا يرمون الأخشاب في النهر، ويتابعونها من البر على مجرى النهر، ويخرجونها في المناطق التي يريدون بيعها فيها.

عندما تمّ إنشاء مدينة جوتنبرج في عام ١٦٢١م أصبح الطلب كبيراً على أخشاب مدينة ترولهتان، التي ازدهرت الحياة فيها نتيجة لذلك، وتمّ تصنيع مناشير ضخمة لقطع الأخشاب؛ لإيفاء حجم الطلب المتزايد عليها.

في عام ١٧٠٠م كان قد تمّ إنشاء أكثر من ٣٠ موقعاً للمناشير، ومراكز تجميع الأخشاب؛ إذ يتم انتشال الأخشاب التي ترمى في النهر من مختلف مناطق ترولهتان، وبُنيت أكواخ في المناطق كان يتم إسكان العمال فيها.

وساهمت شركة قناة ترولهتان في تطوير ترولهتان التي أصبحت من المدن المهمة في السويد، حتى أصبحت مدينة صناعية بفضل وجود الممر النهري المهم فيها.

الصناعات في ترولهتان

عن الصناعات التي ازدهرت في ترولهتان قال صديقي: بعد إنشاء القناة، وبداية توليد الطاقة الكهربائية، أصبحت الظروف مواتية لقيام الصناعات، وكانت منطقتا Molgan وOnan أول منطقتين صناعيتين في ترولهتان على الساحل الغربي من النهر.

تأسّست شركة ترولهتان الهندسية في عام ١٨٤٧م من قبل مؤسسيها السيدين Nydqvist Lidstrom وHolm، وأُطلق عليها اسم نوهاب Nohab (اختصاراً للحروف الأولى من اسميهما).

بفضل جهود NOHAB أصبح لترولهتان اسم على خريطة العالم؛ إذ بدأ تصنيع التوربينات المائية، لكنها سرعان ما أصبحت متخصّصة في تصنيع القاطرات، وتمّ تصنيع القاطرة الأولى في عام ١٨٦٥م (القاطرة البخارية).

في عام ١٩٢٠م كانت مملكة السويد تمرّ بحالة ركود اقتصادي، وتلقّت شركة نوهاب طلباً من روسيا بتصنيع ألف قاطرة بخارية، على أن يتم دفع قيمتها ذهباً، فكان يتم إنتاج قاطرة كلّ يومين، حتى بلغ عدد القاطرات المصنعة ٥٠٠ قاطرة، وقد عُرفت هذه الحقبة في السويد بالعصر الروسي، وكانت هذه القاطرات تُحمّل على سفن بخارية كبيرة وترسل إلى روسيا، وتم الاكتفاء بتصنيع هذا العدد من القاطرات، وإغلاق المصنع مباشرةً.

صورة بانورامية لمدينة ترولهتان



القطارات والسيارات صناعة مزدهرة في ترولهتان

عام ١٨٣٨م بدأ المهندس الميكانيكي نيلسون إريكسون بتنفيذ خطة حفر قنوات جديدة واسعة، وبوابات هيدروليكية ضخمة تساعد على ملء هذه القنوات وتفريغها

عند إنشاء مدينة جوتنبرج في عام ١٦٢١م أصبح الطلب كبيراً على أخشاب مدينة ترولهتان، التي ازدهرت الحياة فيها نتيجة لذلك



ومن طرائف تلك الحقبة أن السويديين اعتقدوا أن عمال السفن البخارية الذين كانوا يحضرون لتحميل القاطرات، وهم من ذوي البشرة السوداء، قاموا ببثّ السحر وسط الفتيات السويديات الحسناوات.

مؤسسة فولفو أيرو

في عام ١٩٣٠م بدأت شركة نوهاب بصناعة محركات الطائرات الحربية، وفي عام ١٩٣٧م أصبحت شركةً مستقلةً لصناعة محركات الطائرات، وتُعرف اليوم باسم شركة فولفو أيرو Volvo Aero.

في عام ١٩٣٠م تمّ إنشاء شركة ساب SAAB لصناعة الطائرات الحربية السويدية، لكن بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٥م تقرّر التحوّل إلى صناعة السيارات، وكانت بداية إنتاج السيارات في عام ١٩٤٧م.

مدينة ترولهتان

في يوم ٧ أغسطس عام ١٨٥٧م قرّر جلالة الملك أن تكون ترولهتان مدينةً؛ لنمو عدد سكانها، وإسهامها في الاقتصاد السويدي؛ لذا تمّ تكليف المهندس نيلس إركسون بوضع التصاميم الهندسية لشوارعها ومبانيها بصورة عصرية حديثة، وكان من المخطّط أن تكتمل في عام ١٩١١م، لكن العمل اكتمل في عام ١٩١٦م.

وختم صديقي حديثه عن المدينة التي أحبها بقوله بفخر شديد: إن ملوك السويد يتبعون تقليداً ثابتاً، وهو زيارة مدينة ترولهتان كلّ يوم ٢٧ أكتوبر من كلّ عام، وزيارة منطقة مصبات المياه وشلالاتها، مع نحت توقيعاتهم على صخرة موجودة في تلك المنطقة، ويكون هذا اليوم يوماً احتفالياً، فتفتح فيه بوابات السد؛ لتنطلق المياه معربدةً، وهي تبدو في مواطن الشلالات كالحليب، كما يشهد الاحتفال إطلاق الألعاب النارية تعبيراً عن الابتهاج، وتلبس المدينة كلها أثواب الفرح في جوّ رائع؛ إذ لا شمس قائظة، ولا برد قارساً، وإنما أنسام قدوم الشتاء ووداع الخريف، وفي كلّ الأحوال هذه المدينة رائعة في كل المواسم والعهدة على الراوي، وهو صديقي الذي نقل إليّ عدوى حب هذه المدينة المسكونة بالأساطير، وبالحقائق التي هي أقرب إلى الخيال.

رأيت أن يكون صديقي على صدر الاستطلاع؛ فقد مثّل ما رواه لي من معلومات، وأرسلها إليّ موثّقةً بالصور، زاداً لي في كتابة هذا الموضوع.

المحرر

اعتقد السويديون أن عمال السفن البخارية، وهم من ذوي البشرة السوداء، قاموا ببثّ السحر وسط الفتيات السويديات الحسناوات

ملوك السويد يزورون ترولهتان كلّ يوم ٢٧ أكتوبر من كلّ عام مع نحت توقيعاتهم على صخرة موجودة في المنطقة



صخرة لتوقيعات ملوك السويد

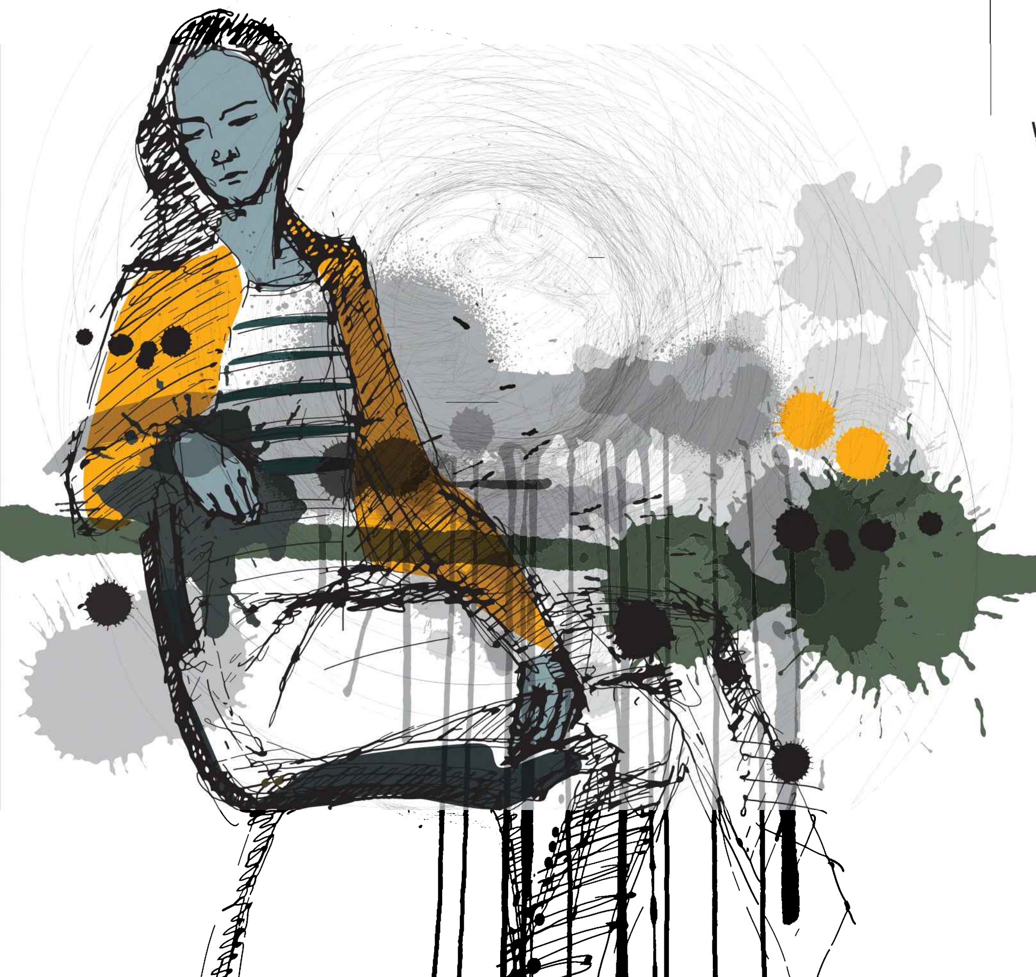
قصيدة

أغلقت عيوني

أغلقتُ عيوني
كما قلتَ لي
وتوقفتُ عن التنفس
أشعرُ بيديك تداعبانني
تعثرانِ على دمعة
أنا خائفة
توقّف قلبي عن الخفقان
شفتاك..
فرشاةٌ تمسحني
تسرقُ..
قطراتِ الملح
التي أعطاها لي البحرُ هدية!
لماذا
أنا
غير محفوظة الحقوق؟!

ماريا كونسيتا أريزي
ترجمة: محمود علي محمود جودة
قنا – مصر

(*) ماريا كونسيتا أريزى: شاعرة إيطالية معاصرة، وُلدت في مدينة جيلا جنوب جزيرة صقلية الإيطالية في الأول من يوليو عام ١٩٥٧م. تكتب أحياناً تحت اسمها المستعار ستيلا كويرتشا، وتعمل معلمة في مدرسة حضانة، صدر لها ديوان (شظايا) عام ٢٠٠٠م، وهي ناشطة في مجالات نشر السلام وحقوق الإنسان ورفض العنف، وتعيش وتعمل حالياً في مدينة يودين في الشمال الإيطالي.

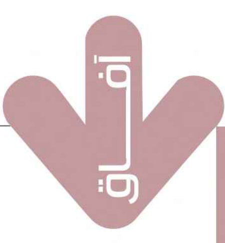




آفـــاق

الجوائز الثقافية.. اتجاهات وانتقادات

جوائز الفكر والثقافة تتنوع أهدافها، وتختلف قصص نشأتها، وتتفق في أنها تضع لنفسها أهدافاً ساميةً، ومع هذا لا ينجو بعضها من الانتقادات بالانحراف عن الأهداف المعلنة بتأثيرات السياسة، أو بهوى النفوس، ومع هذا يظلّ لتلك الجوائز دورها في رفد الحركة الثقافية الإبداعية بالجديد المفيد من الفكر الذي يزين الحياة، ويجمل الواقع.



جائزة خادم الحرمين الشريفين للترجمة..

رسالة سلام

أقرّ مجلس إدارة مكتبة الملك عبدالعزيز العامة إنشاء جائزة عالمية للترجمة من اللغة العربية وإليها باسم (جائزة خادم الحرمين الشريفين عبدالله بن عبدالعزيز العالمية للترجمة) في التاسع من شوال سنة ١٤٢٧هـ/ ٣١ أكتوبر ٢٠٠٦م، ومقرّها مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض، وهي جائزة تقديرية عالمية تُمنح سنوياً للأعمال المتميزة والجهود البارزة في مجال الترجمة.

وجاء هذا القرار من منطلق رؤية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز -حفظه الله- في الدعوة إلى مدّ جسور التواصل الثقافي بين الشعوب وتفعيل الاتصال المعرفي بين الحضارات.

وتكرّم الجائزة التميّز في النقل من اللغة العربية وإليها، وتحتفي بالمترجمين، وتشجعهم على تفعيل الاتصال ونقل المعرفة، وإثراء التبادل الفكري؛ لما لذلك من تأصيل لثقافة الحوار، وترسيخ لمبادئ التفاهم والعيش المشترك، ورفد لفهم التجارب الإنسانية والإفادة منها.

وتتمثّل فروع الجائزة في الآتي: جائزة جهود المؤسسات والهيئات، وجائزة الترجمة في العلوم الإنسانية من اللغة العربية إلى اللغات الأخرى، وجائزة الترجمة في العلوم الإنسانية من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية، وجائزة الترجمة في العلوم الطبيعية من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية، وجائزة الترجمة في العلوم الطبيعية من اللغة العربية إلى اللغات الأخرى. وتتكون الجائزة من شهادة تقديرية تتضمن مسوّغات نيل الجائزة، و٧٥٠ ألف ريال سعودي، ما يعادل ٢٠٠ ألف دولار أمريكي، وميدالية تذكارية.

وقد أقيم يوم الاثنين ٢٢ ذي القعدة ١٤٣٣هـ/ ٨ أكتوبر ٢٠١٢م حفل توزيع جائزة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز العالمية للترجمة في دورتها الخامسة في قاعة بلدية مدينة برلين، بحضور صاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالعزيز - نائب وزير الخارجية رئيس مجلس أمناء جائزة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز العالمية للترجمة - وكلاوس فوفرايت - حاكم مدينة برلين.

وأعرب كلاوس فوفرايت عن تشرّف مدينة برلين باحتضان الجائزة التي تكرّم المترجمين، الذين يجسدون إبداعات المؤلفين، وينقلونها إلى حضارات أخرى، وأشاد بما شاهده إبّان زيارته المملكة في شهر مارس ٢٠١٢م، والتطور الذي تشهده المملكة في المجالات شتى، مؤكداً أن هناك اتفاقاً على تنظيم مؤتمر اقتصادي كبير لزيادة التعاون السعودي الألماني في مجال الطاقة والصحة.

وقال صاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالعزيز: إن العالم اليوم يتوافق حول كثير من المفاهيم والقيم الإنسانية التي يؤمن بها، ويؤكد أنها أفضل السبل إلى التعايش والتسامح والتقارب، كما أن معطيات الماضي الداعية إلى الصراع والتنافر والعداء أصبحت قيماً نمطية سلبية غير مرحّب بها في عالم اليوم.

جائزة خادم الحرمين الشريفين العالمية للترجمة تحتفي بالفائزين في ألمانيا



جائزة الملك فيصل.. عالمية مشهودة



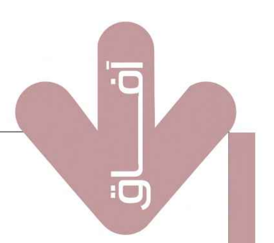
الفائزون بجائزة الملك فيصل العالمية خلال حفل تسليم الجوائز

كانت انطلاقة جائزة الملك فيصل العالمية بإعلان صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل -المدير العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية- أن مجلس أمناء المؤسسة قرّر إنشاء جائزة عالمية باسم الملك فيصل رحمه الله، وأن أولى جوائزها ستمنح سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م. وبدأت الجائزة بثلاثة فروع، هي: خدمة الإسلام، والدراسات الإسلامية، والأدب العربي، وأضيف إليها فرعا الطب والعلوم، فبدأ منح جائزة الملك فيصل العالمية للطب سنة ١٤٠٢هـ، والعلوم سنة ١٤٠٣هـ.

وتتيح المعايير الموضوعية التي تعتمدها الجائزة الفرصة لأيّ عالم أو مفكر له دراسة علمية أصيلة في أيّ فرع نيل الجائزة؛ فهي ليس لها أهداف سياسة أو أي تحيّز من أيّ نوع، من منطلق أن الرجل الذي حملت الجائزة اسمه كانت نيّته خالصة لخدمة القضايا الإنسانية كافةً.

وقد جمع ١٦ عالماً بين جائزتي الملك فيصل العالمية ونوبل، وكان البروفيسور الياباني شينيا ياماناشا الذي فاز بجائزة نوبل للطب لهذا العام (٢٠١٢م) هو الأسرع في الجمع بين الجائزتين؛ فبعد إعلان فوزه بجائزة الملك فيصل العالمية للطب في ٢٠١١م، وتسلّمه الجائزة من صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز - ولي العهد ووزير الداخلية رحمه الله - نال في العام التالي جائزة نوبل في الطب. وما عدا مرة واحدة كانت جائزة الملك فيصل العالمية سبّاقة في منح جائزتها، وهو ما يؤكد معاييرها الموضوعية ودقتها في الاختيار.

ونال علماء آخرون فازوا بجائزة الملك فيصل العالمية جوائز كبرى؛ مثل: جائزة لاسكار المعروفة في الأوساط العلمية بـ(نوبل الأمريكية)، والميدالية الوطنية للعلوم، وهي أرفع جائزة علمية في أمريكا. وفاز بجائزة الملك فيصل العالمية بفروعها الخمسة حتى الآن ٢٢٣ فائزاً وفائزة من ٤٠ دولة في العالم: في خدمة الإسلام ٤٠ شخصية من ٢٠ دولة، وضمن هذا العدد خمس مؤسسات خيرية، وفي الدراسات الإسلامية ٣٣ شخصية من ١٤ دولة، وفي اللغة العربية والأدب ٤٤ شخصية من ١٣ دولة، وفي الطب ٥٩ شخصية من ١١ دولة، وفي العلوم ٤٧ شخصية من ١١ دولة.



جائزة نوبل.. دفع عاصفة السياسة

كان أول احتفال لتقديم جائزة نوبل في الآداب والفيزياء والكيمياء والطب في الأكاديمية الملكية الموسيقية في مدينة ستوكهولم السويدية عام ١٩٠١م. وابتداءً من العام التالي قام الملك أوسكار الثاني بنفسه بتسليم جائزة نوبل للأشخاص الحائزين عليها، بعد أن كان متردداً في تسليم جائزة وطنية لغير السويديين حتى أدرك حجم الدعاية العالمية التي ستجنيها السويد من هذه الجائزة العالمية.

ومن تقاليد الجائزة تقديمها في احتفال رسمي في العاشر من ديسمبر من كلّ عام، على أن تُعلن اللجان المختلفة المعنية بتحديد الفائزين بالجائزة أسماء الفائزين في شهر أكتوبر من العام نفسه.

وجاء تحديد العاشر من ديسمبر للاحتفال لكونه يوم وفاة الصناعي السويدي ألفريد نوبل صاحب الجائزة، وتسلّم جائزة نوبل للسلام في مدينة أوسلو، بينما يسلّم ملك السويد الجوائز الأخرى في مدينة ستوكهولم.

العالم المصري الدكتور أحمد زويل يتسلم جائزة نوبل في الكيمياء من ملك السويد



وألفريد نوبل (١٨٣٣- ١٨٩٦م) مهندس ومخترع وكيميائي سويدي، اخترع الديناميت عام ١٨٦٧م، ثم أوصى بمعظم ثروته التي جناها من الاختراع إلى جائزة نوبل التي سُمّيت باسمه.

ويعدّ ريموند جونيور -الفائز بجائزة الفيزياء عام ٢٠٠٢م- الأكبر سناً من الحاصلين على جائزة نوبل، وكان عمره ٨٨ عاماً، ووليم لورنس براغ هو الأصغر سناً؛ إذ حصل عام ١٩١٥م على الجائزة في الفيزياء وهو في سنّ ٢٥ سنة، وأصغر السيدات الحاصلات على جائزة نوبل هي اليمنية توكل كرمان، التي نالت جائزة نوبل للسلام عام ٢٠١١م وهي في سنّ ٣٢ عاماً، وهي أول امرأة عربية تحصل على هذه الجائزة. كما أن ستة عرب أحرزوا نوبل، هم: الرئيس المصري الراحل محمد أنور السادات الحائز على نوبل للسلام عام ١٩٧٨م بعد توقيعه اتفاقية كامب ديفيد، والرئيس الفلسطيني ياسر عرفات بعد اتفاق أوسلو عام ١٩٩٤م، والدكتور محمد البرادعي -الرئيس السابق للهيئة الدولية للطاقة الذرية- الفائز بجائزة نوبل للسلام عام ٢٠٠٥م، وحاز الأديب نجيب محفوظ جائزة نوبل في الأدب عام ١٩٨٨م، وحصل الدكتور أحمد زويل على جائزة نوبل في الكيمياء عام ١٩٩٩م بعد نيل جائزة الملك فيصل العالمية بعشر سنوات.

وتعرّض هذا العام الروائي الصيني مو يان لوابل من الأسئلة ذات الأبعاد السياسية، فردّ بأنه يكتب آراءه في أعماله الأدبية. وانتقد كثير من المعارضين الصينيين والكتّاب الغربيين فوز مو، وقالت الروائية الألمانية الرومانية هرتا مولر: إنها بكت لمنح الجائزة كاتباً يشيد بالرقابة.

وتتعرض جائزة نوبل لانتقادات واسعة، خصوصاً في الجائزة الخاصة بالسلام، التي يقول المنتقدون: إنها مسيّسة، ومن ذلك ما حدث العام الماضي بسبب اختيارها الرئيسة الليبيرية إيلين جونسون سيرليف قبل أيام فقط من سعيها

إلى إعادة ترشيح نفسها لانتخابات الرئاسة في ظلّ انتقادات المعارضة لها بإعاقتها ممارسة حقها في الإعداد للانتخابات. كما أن هناك من استهجن منح أوربا الغربية جائزة السلام؛ لأن سياساتها سبب في أزمات كثيرة يشهدها العالم.

ورفض بعض الأدباء والمفكرين جائزة نوبل، منهم المفكر الفرنسي سارتر، الذي قال: «أنا أرفض صكوك الغفران الجديدة التي تمنحها جائزة نوبل». كما رفضها الأديب الأيرلندي جورج برنارد شو، الذي لخّص وجهة نظره في قوله: «هذه الجائزة أشبه بطوق نجاة يُلقى به إلى شخص وصل بر الأمان، ولم يعُدْ عليه من خطر، إضافةً إلى أني أكتب لمن يقرأ لا لأنال جائزة». أما الأديب والشاعر الروسي بوريس باسترناك -صاحب رواية (دكتور زيفاجو)- فقد خشي غضب النظام السوفييتي، وكتب معتذراً للأكاديمية السويدية: «عليّ أن أرفض هذه الجائزة التي قدمتموها إليّ، والتي لا أستحقها. أرجو ألا تقابلوا رفضي الطوعي باستياء». وعندما تعاطف كثيرون مع الأديب الروسي تولستوي بسبب عدم فوزه بالجائزة كتب إليهم: «أيها الأعزاء، سررتُ كثيراً لأن جائزة نوبل لم تُمنح لي، ومبعث سروري يرجع إلى سببين: أولهما أن ذلك خلّصني من صعوبة كبيرة، وهي كيفية التصرف في مبلغ الجائزة، وهو في رأيي مثل أيّ مال لا يجلب إلا الشر، وثانيهما أنني تشرفتُ وسررتُ بتلقّي عبارات التعاطف من كثير من الناس».

جائزة الطيب صالح.. تكريم صاحب (موسم الهجرة)

انطلقت جائزة الروائي العالمي الطيب صالح في مجالات الرواية والقصة القصيرة والنقد بمناسبة الذكرى السنوية الأولى لوفاته. وتتمثّل أهداف الجائزة في تشجيع الأنشطة الثقافية، وإعلاء راية الأدب والفنون في السودان والعالم العربي، والوفاء للأديب السوداني الذي خلّد اسم وطنه عبر رواية (موسم الهجرة إلى الشمال)، التي ضمّنت دولياً بين أفضل مئة عمل أدبي في التاريخ.

ومن شروط الترشّح في الرواية أن يراوح عدد كلماتها بين ٣٠ و٤٠ ألف كلمة، وفي القصة القصيرة ألا يقلّ عدد القصص عن ١٠ قصص وفقاً للمعايير الفنية لهذا الجنس الأدبي. أما في الدراسات النقدية، ففي حدود ٣٠ ألف كلمة، وتتمحور حول موضوع الرواية العربية والتراث. كما تتضمن الشروط ألا يكون العمل قد قدم للمشاركة في أي مسابقة أخرى، وألا يكون قد نشر من قبل في أي وسيلة من وسائل النشر، وإذا اتضح خلاف ذلك تسحب الجائزة.

وقيمة الجائزة ٢٠٠ ألف دولار أمريكي تُرصد للجائزة والفعاليات المصاحبة، وتمنح الجائزة مبلغ عشرة آلاف دولار للفائز بالمركز الأول في المجالات الثلاثة، ويحصل على مبلغ سبعة آلاف دولار الحاصل على المركز الثاني، بينما يحصل الحائز على المركز الثالث على مبلغ خمسة آلاف دولار.



مؤتمر صحفي لأمانة جائزة الطيب صالح

جائزة غونكور.. الخيار شرقياً

هي جائزة معنية بالأدب المكتوب باللغة الفرنسية، تمنحها أكاديمية غونكور سنوياً، وقد أنشئت تنفيذاً لوصية إدموند دي غونكور، وتتضمن أربع جوائز، هي: جائزة غونكور للرواية الأولى، وجائزة غونكور للقصة القصيرة، وجائزة غونكور للشعر، وجائزة غونكور لأدب السيرة الذاتية. وفي عام ١٩٨٧م تأسّست جائزة غونكور لطلبة المدارس الثانوية ثمرةً للتعاون بين أكاديمية غونكور ووزارة التربية الفرنسية وشركة فناك المتخصّصة في تسويق الكتب والموسيقا والأفلام.

أسّس الجائزة إدموند دي غونكور، الذي كان مؤلفاً ناجحاً وناقداً وناشراً، ووقف كل أملاكه على تأسيس أكاديمية غونكور وتمويلها؛ لتخليد ذكرى شقيقه وشريكه جول ألفريد هوت دو غونكور (١٨٣٠- ١٨٧٠م)، فقرّر أن تباع كل ممتلكاته بعد وفاته، وتخصّص فوائد هذا المبلغ الضخم لأكاديمية غونكور وتمويلها لمنح الجائزة سنوياً لأفضل عمل أدبي في العام.

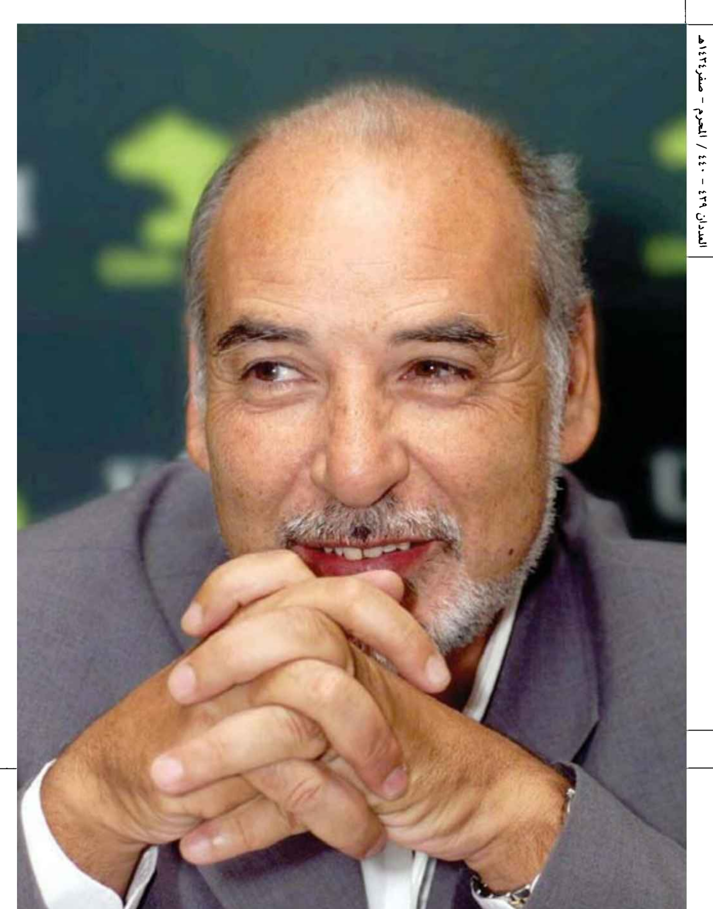
وفي عام ١٩٠٢م تم إنشاء أكاديمية غونكور تحت اسم (المجتمع الأدبي لغونكور)، ومنحت أول جائزة في ٢١ ديسمبر ١٩٠٣م لجون أنطوان ناو لكتابه (قوات العدو). ومن أشهر من نالوا جائزة غونكور: مارسيل بروست، وجان فايار، وسيمون دي بوفوار، وجورج دوهاميل، وألفونس دي شاتوبريان، وأنطونين ماييه.

وفي سابقة فريدة اشترك الشرق أول مرة في سبتمبر ٢٠١٢م في اختيار أفضل رواية فرنسية بدعم من مكتب الشرق الأوسط في الوكالة الجامعية الفرانكفونية، وأطلق على هذه المسابقة (جائزة غونكور- اختيار الشرق)، وتم إطلاق الجائزة ضمن فعاليات معرض الكتاب الفرانكوفوني في مجمع بيال ببيروت، المنعقد في المدة من ٢٦ أكتوبر حتى ٤ نوفمبر ٢٠١٢م، ونال الجائزة الأديب الفرنسي ماتياس إينار عن روايته (شارع اللصوص).

ومن العرب الذين فازوا بجائزة غونكور الجزائري الطاهر بن جلون عن رواية (الليلة المقدسة) عام ١٩٨٧م، واللبناني أمين معلوف عن رواية (صخرة طانيوس) عام ١٩٩٣م، والشاعر المغربي عبداللطيف اللعبي عام ٢٠٠٩م.

ومن الانتقادات التي توجّه إلى الجائزة كبر سنّ أعضاء لجنة التحكيم؛ مما يعني عدم مواكبة الاتجاهات الحديثة، كما أن هناك تساؤلات عن العلاقة بين بعض أعضاء لجنة التحكيم ودور النشر الكبيرة؛ مما يشكّل خطر التحيّز أو التضارب في المصالح.

الطاهر بن جلون



الشيخ محمد بن زايد والمهندس محمود زين العابدين أحد الفائزين بجائزة الشيخ زايد للكتاب

جائزة الشيخ زايد.. إعلاء قيمة الكتاب

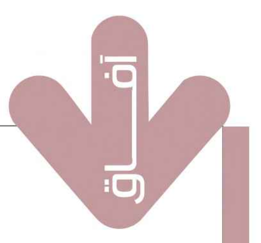
أغلقت جائزة الشيخ زايد للكتاب في أكتوبر الماضي باب استقبال الترشيحات في دورتها الحالية ٢٠١٢- ٢٠١٣م. وكانت الجائزة قد مدّدت استقبالها المشاركات خمسة عشر يوماً لمنح فرصة جديدة للذين لم يتمكّنوا من التقديم إلى فروعها بعد أن كان من المقرر إغلاق باب الترشيح في الثلاثين من شهر سبتمبر ٢٠١٢م. وقد حققت الجائزة حضوراً فاعلاً بين الكتّاب والمؤلفين والمثقفين والمبدعين والمترجمين وأساتذة الجامعات والناشرين. وتلقت الجائزة أعمالاً من دول أوربا وشرق آسيا والولايات المتحدة، وبلغ عدد دول المشاركين ٣٢ دولة عربية وأجنبية. ويتم توزيع الجوائز على هامش معرض أبو ظبي للكتاب في ٢٥ من شهر إبريل ٢٠١٣م، وتبلغ قيمتها الإجمالية سبعة ملايين درهم.

تأسّست هذه الجائزة بدعم ورعاية من هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة؛ تقديراً لمكانة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة -رحمه الله- ودوره الرائد في التوحيد والتنمية وبناء الدولة والإنسان، وهي جائزة مستقلة ومحايدة، تُمنح كل سنة وفق معايير علمية وموضوعية للمبدعين من المفكرين والناشرين والشباب عن مساهماتهم في مجالات التأليف والترجمة في العلوم الإنسانية التي لها أثر واضح في إثراء الحياة الثقافية والأدبية والاجتماعية.

وللجائزة التي انطلقت دورتها الأولى عام ٢٠٠٧م تسعة فروع، هي: جائزة التنمية وبناء الدولة، وأدب الطفل والناشئة، والمؤلف الشاب، والترجمة، والآداب، والفنون والدراسات النقدية، والثقافة العربية في اللغات الأخرى، والنشر والتقنيات الثقافية، وشخصية العام الثقافية.

جائزة سلطان العويس.. تكريم الأصالة

تمنح مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية جوائز لعدد من المبدعين العرب مرة كل سنتين عن نتاجهم في مجال الشعر والقصة والرواية والمسرحية والدراسات الأدبية والنقدية والدراسات الإنسانية والمستقبلية، على أن يعكس ذلك النتاج أصالة الفكر العربي، وطموحات الأمة العربية، ويكون نتاجاً مؤثراً في الحياة الثقافية والأدبية والعلمية. وهذه الجائزة -حسب أمانتها العامة- مستقلة ومحايدة لا يخضع منحها لأي تأثيرات أو ضغوطات، ولا تخضع في معايير منحها إلا إلى الجانب الإبداعي من دون النظر إلى الاتجاهات السياسية أو المعتقدات الفكرية للمرشحين، كما لا تميز بين لون أو دين أو جنس. وتمنح الجائزة في مجالات: الشعر، والقصة، والرواية، والمسرحية، والدراسات الأدبية والنقدية، والدراسات الإنسانية والمستقبلية، وجائزة الإنجاز الثقافي والعلمي. وتبلغ قيمة الجائزة في كل حقل من حقولها ١٢٠ ألف دولار أمريكي، وهي تمنح لفائز واحد، ويجوز منحها مناصفةً. وسلطان العويس شاعر من الإمارات، وُلد في بلدة الحيرة بإمارة الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة عام ١٩٢٥م، وتوفي عام ٢٠٠٠م. عُرفت أسرته بحبها الأدب والثقافة، وبرز منهم عدد من الشعراء والباحثين والأدباء؛ كشاعر الإمارات سالم بن علي العويس، والمؤرخ عمران العويس، والأديب أحمد علي العويس، وغيرهم.



جائزة أمير أستورياس.. احتفاء بالرياضة

واحدة من أرفع الجوائز في إسبانيا، وهي تقدم تقديراً لأصحاب العمل العلمي والتقني والاجتماعي حتى الرياضي، أو تقدم إلى فرق عمل أو مؤسسات ذات صيت كبير، ويكون ما حققته قدوةً للإنسانية.

أنشأت الجائزة مؤسسة أمير أستورياس عام ١٩٨٠م، وهي مؤسسة غير ربحية، هدفها تشجيع التقدم العلمي التكنولوجيا والفنون والآداب والرياضة، ويتولى رئاسة هذه الجائزة الأمير فيليبي -ولي عهد دولة إسبانيا- الذي يقدمها في احتفال أكاديمي يقام في أستورياس بإسبانيا. وتتألف الجائزة من شهادة وتمثال قام بتصميمه الفنان الإسباني خوان ميرو، وتبلغ قيمة هذا التمثال ما يقارب خمسين ألف يورو.

ومنحت الصداقة بين لاعب فريق برشلونة تشافي وحارس ريال مدريد كاسياس جائزة هذا هذا العام؛ فهما صديقان على الرغم من المنافسة المحتدة بين فريقيهما. ونال الاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر جائزة التعاون الدولي؛ تقديراً لأدائها في النزاعات المسلحة التي اندلعت في سورية وليبيا والصومال، وغيرها، وفي الكوارث الطبيعية التي عصفت بهايتي وإندونيسيا واليابان. وعن فئة التواصل فاز المصمم الياباني الشهير شيغيرو مياموتو بالجائزة على تصاميمه وألعابه الإلكترونية، وفاز بالجائزة في فئة الأدب والكتابة الكاتب الأمريكي فيليب روث، الذي سبق أن فاز بجائزة مان بوكر العالمية.

ومن الذين حصلوا على هذه الجائزة: الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات، والأمير الحسين بن طلال، والكاتبة وعالمة الاجتماع فاطمة المرنيسي، وفتيحة بوضياف أرملة الرئيس الجزائري الراحل محمد بوضياف، والزعيم نيلسون مانديلا، والاقتصادي البنجالي محمد يونس، والرياضي المغربي هشام الكروج.



أمير وأميرة أستورياس مع الحائزين على جائزة ٢٠١٢م

بوكر العربية.. والاتجاه المعاكس

هي النسخة العربية لجائزة بوكر الأدبية، وأنشئت عام ٢٠٠٧م في أبو ظبي بدولة الإمارات العربية المتحدة، وتنظم بالاشتراك بين مؤسسة جائزة بوكر البريطانية ومؤسسة الإمارات ومعهد وايدنفيلد للحوار الإستراتيجي.

تُمنح الجائزة في مجال الرواية، ويتم ترشيح ستّ روايات تتنافس فيما بينها في الجائزة، وتمنح الرواية الفائزة خمسين ألف دولار أمريكي، إضافةً إلى عشرة آلاف دولار للروايات الستّ المرشحة للفوز بالجائزة.

ذهبت الجائزة في دورتها الأولى عام ٢٠٠٨م إلى رواية (واحة الغروب) للروائي المصري بهاء طاهر، وكانت الجائزة في الدورة الثانية من نصيب رواية (عزازيل) للروائي والباحث المصري يوسف زيدان، وفي عام ٢٠١٠م فاز بالجائزة الأديب السعودي عبده خال عن رواية (ترمي بشرر)، وفي عام ٢٠١١م حصل الأديب المغربي محمد الأشعري على الجائزة عن روايته (القوس والفراشة)، بينما نال جائزة عام ٢٠١٢م الروائي اللبناني ربيع جابر عن روايته (دروز بلجراد). واختارت الجائزة العالمية للرواية العربية (البوكر) ١٦ رواية من تسع دول عربية في قائمتها الطويلة للدورة السادسة (٢٠١٣م)، واختيرت الأعمال الصادرة خلال الاثني عشر شهراً الماضية من بين ١٣٣ رواية قدمها كتّاب من ١٥ دولة عربية. وستعلن في التاسع من يناير المقبل في تونس القائمة القصيرة التي تضم ست روايات، ويحصل كلّ مؤلف تأهّلت روايته للقائمة القصيرة على عشرة آلاف دولار، أما الفائز الذي سيعلن عنه في معرض أبو ظبي للكتاب يوم ٢٣ إبريل المقبل فسيحصل على ٥٠ ألف دولار أخرى.

وكان بعض الأدباء العرب، خصوصاً من المصريين، قد دعوا إلى مقاطعة الجائزة، متهمين لجنة التحكيم بالمحاباة، وقاد الحملة الأديبان جمال الغيطاني وإبراهيم عبدالمجيد، في حين يساند كثير من الأدباء الجائزة بوصفها وسيلة لتنشيط الحركة الثقافية مهما كانت المآخذ عليها.

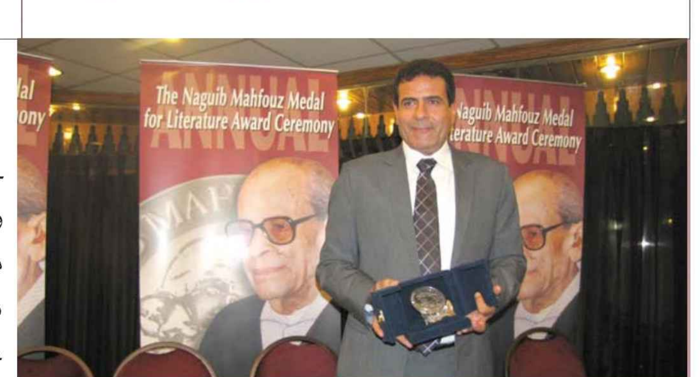
أما الجائزة الأصلية، التي تفرّعت منها البوكر العربية، فهي مان بوكر للرواية، وهي جائزة أدبية سنوية مخصّصة للأعمال الروائية باللغة الإنجليزية مكتملة الطول منذ تأسيسها عام ١٩٦٨م. وتُمنح الجائزة لأفضل رواية كتبها مواطن من المملكة المتحدة أو من دول الكومنولث أو من جمهورية أيرلندا.

وتفرعت من البوكر جائزة بوكر الروسية التي تأسّست عام ١٩٩٢م، وجائزة كاين للأدب الإفريقي عام ٢٠٠٠م، وجائزة بوكر الآسيوية عام ٢٠٠٨م.

محمد الأشعري أحد الفائزين بجائزة البوكر للرواية العربية ٢٠١١م



جائزة نجيب محفوظ.. احتفاء أمريكي



القمحاوي الفائز بجائزة نجيب محفوظ للأدب عن روايته «بيت الديب»

تمنح الجامعة الأمريكية هذه الجائزة تكريماً لاسم أديب نوبل الراحل نجيب محفوظ منذ عام ١٩٩٦م بشكل سنوي في الحادي عشر من ديسمبر من كل عام، الذي يوافق ذكرى ميلاد نجيب محفوظ؛ لدعم ترجمة الأدب العربي المعاصر. ويحصل الفائز على ميدالية فضية ومبلغ مالي رمزي، كما تتم ترجمة العمل الفائز إلى اللغة الإنجليزية من خلال مراكز الجامعة الأمريكية للنشر في القاهرة ونيويورك ولندن، ومنحت الجامعة الأمريكية الجائزة العام الماضي للشعب المصري لإبداعه الأدبي الثوري. وأعلنت لجنة تحكيم جائزة ميدالية نجيب محفوظ الأدبية، التي ترأستها تحية عبدالناصر -حفيدة الرئيس الراحل جمال عبدالناصر، الأستاذة في قسم الدراسات العربية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة- يوم الثلاثاء ١١ ديسمبر ٢٠١٢م عن فوز الكاتب والروائي المصري عزت القمحاوي بجائزة هذا العام عن رواية (بيت الديب)؛ لإبداعه في تضفير حياة الريف المصري وحقب تاريخية من الحكم العثماني حتى نهاية القرن العشرين.

وفاز بجائزة نجيب محفوظ للرواية على مدار تاريخها ١٨ أديباً مصرياً وعربياً، منهم ٨ نساء، و٩ رجال، ١٠ منهم مصريون، وفلسطينيان اثنان، وجزائري، ولبناني، ومغربي، وسوري، وعراقي، من أبرزهم: الأديب الراحل خيري شلبي، وإبراهيم عبدالمجيد الذي حصل على الجائزة في دورتها الأولى مناصفةً مع الكاتبة لطيفة الزيات، والكاتبة المصرية ميرال الطحاوي، والجزائرية أحلام مستغانمي، والشاعر الفلسطيني مريد البرغوثي، والسوري خليل صويلح، وهدى بركات، وسمية رمضان.

جائزة بوليتزر.. الحجب الصادم

هي جوائز ومنح تقدمها سنوياً جامعة كولومبيا بنيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية في مجالات الخدمة العامة والصحافة والآداب والموسيقا. ونالت هذه الجوائز، التي موّلت في الأساس بمنحة من رائد الصحافة الأمريكية جوزيف بوليتزر، بتقدير كبير، وتمنح في شهر مايو من كل عام منذ عام ١٩١٧م، وتمنح جامعة كولومبيا الجوائز بتوصية من هيئة جوائز بوليتزر، المكوّنة من محكّمين تعينهم الجامعة نفسها، ويصل عدد الجوائز الممنوحة سنوياً إلى واحد وعشرين جائزة، منها أربع عشرة جائزة في مجال الصحافة، وستّ في مجال الآداب، وواحدة في الموسيقا، إضافةً إلى أربع منح في مجالات متعددة أخرى.

وقد منحت الجائزة هذا العام عن فئة (تصوير الأخبار العاجلة) إلى الأفغاني مسعود حسيني من وكالة الأنباء الفرنسية لصورته (المفجعة) لفتاة تصرخ من الخوف بعد تفجير انتحاري استهدف مزاراً مزدحماً في كابل.

وأثار حجب جائزة الصحافة هذا العام ردود أفعال كثيرة؛ إذ وصفت صحيفة نيويورك هذا الحجب بأنه صدمة؛ فـ«الرواية الفائزة تقفز بسرعة لصدارة قوائم المبيعات، وهي جائزة تترقبها دوماً دوائر صناعة النشر».

وقالت سارة ماكنالي صاحبة دار ماكنالي جونسون للكتب في نيويورك: إنها ستمنح جائزة خاصة بها إلى (الليلة الكبرى) للروائي كريس أدريان، و(نحن الحيوانات) لجستين توريس، و(بيم) لمات جونسون.

ونشرت مجلة ببلشيرز ويكلي الأسبوعية التي تهتم بقضايا النشر قائمةً بكتب نشرت عام ٢٠١١م، وتستحق الحصول على الجائزة، من بينها رواية (فن الاختيار) لتشاد هارباك، ورواية جولي أوتوسوكا (بوذا في الغرفة العليا).

جائزة البابطين.. اهتمام بالفردوس المفقود

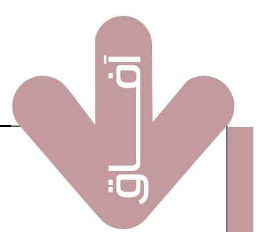
تأسّست مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع في القاهرة عام ١٩٨٩م بمبادرة من الأستاذ عبدالعزيز سعود البابطين، وهي مؤسسة ثقافية خاصة غير ربحية تُعنى بالشعر من دون سواه من الأجناس الأدبية، وقد حملت مع انطلاقتها طموحات كبيرة، فعملت في اتجاهات شتى يجمع بينها الهم الثقافي.

وتتلخص أهداف المؤسسة بصورة رئيسة في إثراء حركة الشعر العربي ونقده، وتشجيع التواصل بين الشعراء والمهتمين بالشعر العربي، وتوثيق الروابط بينهم بإقامة مسابقة عامة في الشعر العربي ونقده مرة واحدة كل سنتين ضمن دورات المؤسسة، وتكريم المبدعين في هذه المجالات، وإصدار سلسلة (معاجم البابطين) لشعراء العربية المعاصرين والراحلين، وإصدار مطبوعات عن شعراء دورات المؤسسة بالتزامن مع إقامتها تتضمن: دواوينهم وأعمالهم الإبداعية الأخرى، وأبحاثاً عن سيرهم وأدبهم، وإقامة ندوة أدبية مصاحبة للدورة عن شاعرها، وتتضمن أبحاثاً عن بعض قضايا الشعر ونقده، إضافةً إلى أمسيات شعرية تشارك فيها نخب مختارة من شعراء الوطن العربي، وغيرها.

وتنظّم (جائزة عبدالعزيز سعود البابطين العالمية في الدراسات التاريخية والثقافية في الأندلس) لأفضل بحث يتناول جانباً أو أكثر من الجوانب المتعلقة بالتاريخ والثقافة الإسلامية في الأندلس. وتقدم مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري جائزةً مقدارها ثلاثون ألف دولار أمريكي لهذه الجائزة الباحثة عن الفردوس المفقود؛ اهتماماً بالتراث الثقافي الأندلسي بمختلف ميادينه الفنية والأدبية والعلمية التي مازالت تشكّل محلّ اهتمام الباحثين. وفاز بالجائزة حتى الآن (٢٠٠٩- ٢٠١٢م) كلّ من: الباحثة الإسبانية الدكتورة آنا أرسيوغا عن بحثها (الوجود الإسلامي في مدينة آبلة من القرن الحادي عشر إلى القرن السادس عشر)، والباحث الإسباني الدكتور خوسي راميريز دي ألريو عن بحثه (سهوب مدينة إستجة في الأندلس: بادية إستيبيا والمناطق المحيطة بها). وإلى جانب الجائزة تقوم المؤسسة بطباعة البحوث الفائزة في كتب لمصلحة الفائزين باللغتين العربية والإنجليزية.

جانب من أحد احتفالات جائزة البابطين





جائزة كفافيس.. جسر ثقافي بين مصر واليونان

سُمّيت هذه الجائزة بهذا الاسم نسبةً إلى لقب الشاعر اليوناني كفافيس المولود في فلسطين في ٢٩ إبريل ١٨٦٣م، الذي عاش في مدينة الإسكندرية حتى وفاته في ٢٩ إبريل ١٩٣٣م.

تمنح الجائزة للمبدعين من مصر واليونان مرةً كل عامين منذ انطلاقتها عام ١٩٩٠م بهدف تنمية العلاقات الثقافية بين مصر واليونان. وحصل على الجائزة الكاتب المصري نجيب محفوظ في عيد ميلاده الثاني والتسعين، كما حصل عليها من الكتّاب المعاصرين: فاروق شوشة، وسيد حجاب، وإبراهيم أصلان، ورضوى عاشور، وسحر الموجي، وبهاء طاهر.

وكانت قد نظمت احتفاليات ثقافية متميزة عام ١٩٨٣م للمرة الأولى في مدينتي الإسكندرية والقاهرة إحياءً لذكرى مرور ٥٠ سنة على وفاة الشاعر اليوناني قسطنطين كفافيس شاعر الإسكندرية تحت اسم (كفافيات)، وكان الهدف تنمية العلاقات الثقافية بين اليونان ومصر من خلال إبراز إبداعات هذا الشاعر اليوناني الذي عاش في مدينة الإسكندرية منذ مولده حتى وفاته، وأبدع كل أعماله في هذه المدينة التي عشقها.

وقامت الفنانة ملينا مركوري -وزيرة الثقافة اليونانية سابقاً- بدعم فكرة بنايوتي فلاسوبولس -القنصل اليوناني في الإسكندرية في تلك المدة- لتصبح هذه الاحتفاليات من أهم الأحداث الثقافية في مصر. وفي عام ١٩٩٠م قام المستشار الثقافي اليوناني كوستيس موسكوف بتطوير الكفافيات بتأسيس جائزة كفافيس الدولية التي تمنح إلى مبدعين من مصر واليونان. وفي عام ٢٠٠١م شكّلت لجنة جديدة لجائزة كفافيس تضم نخبةً من المثقفين في مصر واليونان تقوم باختيار الفائزين كل عامين، وأضحت احتفالية تسليم الجائزة جزءاً من احتفاليات (كفافيات).

وتقدم (كفافيات) إبداعات مصرية ويونانية ليس في مجال الأدب فقط، بل في المجالات الثقافية كلها في سياق ثلاثية تضم فنون الكلمة والموسيقا والتشكيل؛ بهدف تنمية اهتمام الجمهور، وتسهيل مهمة التعارف والتقارب، وإتاحة الفرصة للمبدعين المصريين واليونانيين للتعبير والالتقاء.

سرفانتس.. نوبل الناطقين بالإسبانية

ميشيل دي سرفانتس كاتب مسرحي إسباني، وهو شاعر في الوقت نفسه، ارتبط اسمه برواية (دون كيشوت)؛ ذلك العمل الإبداعي العالمي الذي حقّق نجاحاً عالمياً مذهلاً بعد سلسلة من الإخفاق واجهها سرفانتس في حياته.

خصّصت إسبانيا جائزةً سنويةً لتخليد سرفانتس تمنح سنوياً لكتّاب العصر المبدعين، وهذه الجائزة مساوية لجائزة نوبل بالنسبة إلى البلاد الناطقة بالإسبانية، وحازها من قبل: بورخيس، وفونتيس، وأكتافيو باث، ورفائيل ألبرتي، وماريو فارغاس يوسا، وعشرات غيرهم من كبار كتّاب أمريكا اللاتينية وإسبانيا. ومن الطريف أن الشاعر المكسيكي خوسيه إيميليو باتشيكو سقط بنطاله وهو يتقدم لتسلّم الجائزة من العاهل الإسباني الملك خوان كارلوس، ووصف الشاعر هذا الحادث بأنه علاج جيد جداً للغرور.

بمناسبة انتهاء عمله في المملكة
الأمير تركي الفيصل يستقبل السفير الياباني



استقبل صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل -رئيس مجلس إدارة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية- سعادة السيد شيغيرو إندو -السفير الياباني لدى المملكة العربية السعودية- الذي زار المركز بمناسبة انتهاء عمله في المملكة العربية السعودية.

وأعرب الأمير تركي الفيصل عن تقديره لما قام به سعادته من جهود عظيمة خلال تمثيله بلاده في المملكة لدعم علاقات البلدين في مختلف الصعد، وتنشيط حركة التبادل الثقافي، مؤكداً أن علاقاته ستظلّ قائمةً مع المركز، وأن جهوده ستتواصل من خلال خلفه؛ لأن اليابان دولة لها أهميتها، ولها علاقاتها التاريخية مع المملكة. وأضاف سموه أن المركز له علاقاته الثقافية مع المراكز العلمية والبحثية في اليابان، وقد تطورت هذه العلاقات بدعم السفير إندو، كما أنها ستتوسع بما يخدم العمل الثقافي المشترك في البلدين، متمنياً لسعادته التوفيق في موقعه الجديد لخدمة بلاده.

وشكر سعادة السفير إندو سمو الأمير تركي الفيصل على مشاعره الصادقة، وعبّر عن تقديره لما وجده من دعم القيادة في المملكة والمسؤولين، وهو ما يؤكد عمق العلاقات بين البلدين؛ مما سهل عليه القيام بمهامه، ونوّه بالعلاقات المتميزة مع سمو الأمير تركي الفيصل والقائمين على المركز، مشيراً إلى دور المركز الثقافي المتميز، وما يقوم به من دعم العلاقات الثقافية من خلال مشروعاته الرائدة.

دكتوراه وماجستير في «الفيصل»

نال الزميل حسين حسن حسين -مدير تحرير مجلة الفيصل- درجة الدكتوراه في الإعلام بتقدير ممتاز من قسم الصحافة والنشر بكلية الإعلام في جامعة أم درمان الإسلامية عن أطروحة بعنوان: (تصميم الصحف الإلكترونية العربية: دراسة تطبيقية على عينة من الصحف الإلكترونية والعاملين في مراحل التصميم). كما نال الزميل سيد الجعفري المصحح والصحفي بالمجلة درجة الماجستير من كلية الإعلام بجامعة القاهرة بدراسة عنوانها: (استخدام المصريين في الخارج شبكات التواصل الاجتماعي في انتخابات الرئاسة المصرية ٢٠١٢م: الفيسبوك أنموذجاً.. دراسة ميدانية على عينة من المصريين المقيمين بالمملكة العربية السعودية).

الحشرة الاجتماعية

أماني البحيري
الرياض – السعودية

عُرف النمل بالحشرة الاجتماعية لأنه يعيش في جماعات منظّمة تُعرف بالمستعمرات، وقد يصل عدد أفراد المستعمرة إلى الآلاف. والنمل من رتبة الحشرات الغشائية الأجنحة، ولكل فرد من أفراد المستعمرة عمل؛ فالملكة وظيفتها وضع البيض، وبقية الإناث شغالات، أما الذكور فوظيفتها الوحيدة تلقيح الملكات. وللنمل لغة خاصة يتفاهم بها بسهولة ويسر؛ إذ تفرز النملة من قرني استشعارها مادة يشمها النمل تعبّر عما يريده. والنمل حشرة ناجحة في المناطق الحضارية؛ لأن لها قدرةً على استخدام أيّ نوع من الغذاء؛ فهي تأكل كثيراً من المواد النباتية والحيوانية، وأغلبها يفضّل الغذاء الغنيّ بالسكريات والكربوهيدرات والزيوت والبروتينات، وكثير من النمل يزور الأشجار لجمع الرحيق.

عالم الأسرار

إن عالم النمل مملوء بالأسرار التي تفيض بوحدانية الخالق عزّ وجلّ؛ فقد وهبه الله ذكاءً حاداً، وفي هذا الصدد يقرّر علماء الحشرات أن النمل يتميز بذكاء خارق يدلّ عليه قيامه بعملية فلق الحب قبل تخزينها في مخازن لكيلا تنبت، والحبوب التي لا يستطيع النمل فلقها يعتمد على نشرها في الشمس بصفة دورية ومنظمة؛ حتى لا يصيبها البلل أو الرطوبة فتنبت. وللنمل أيضاً طرائق فريدة في جمع المواد الغذائية، وتخزينها، والمحافظة عليها؛ فإذا لم تستطع النملة حمل ما جمعته في فمها كعادتها لكبر حجمه حرّكته بأرجلها الخلفية ورفعته بذراعيها، ومن عاداتها أن تقضم البذور قبل تخزينها؛ حتى لا تعود إلى الإنبات مرةً أخرى، وتجزئ البذور الكبيرة كي يسهل عليها إدخالها في مستودعاتها، وإذا ابتلّت بفعل المطر أخرجتها إلى الهواء والشمس لتجفّ. ولا يملك الإنسان أمام هذا السلوك الذكيّ للنمل إلا أن يسجد لله الخالق العليم الذي جعل النمل يدرك أن تكسير جنين الحبة، وعزل البذرة عن الماء والرطوبة، يجعلانها لا تنبت (يعطّل إنباتها). وعلى الرغم من ضراوته في الهجوم، واستماتته في الدفاع عن نفسه، نجد هناك علاقات مشتركة بين النمل وحشرات المنّ، وغيرها؛ فقد زوّد الله عزّ وجلّ النملة بالقدرة على إفراز مواد كيميائية مطهّرة، تستطيع بها تعقيم العشّ وتطهير اليرقات والبيض لئلا تهلكها البكتريا والفطور؛ فهي تقوم بتغليف الشرانق بغلاف من هذه المادة يحميها من شر البكتريا، وتستخدمها أيضاً لتطهير غذائها المخزّن مدةً طويلةً، ولولا هذه المادة لهلك النمل على الأرض. وتستطيع النملة أن تفرز حمض النمليك الذي يعدّ مادةً مخدرةً للخصم، تستخدمه للدفاع عن نفسها. وقد كرّم الله النمل بذكره في القرآن الكريم، في سورة النمل، خلال إيراد قصة نبينا سليمان عليه السلام.

أسماء النمل

هناك نوع من النمل يُطلق عليه النمل الكيميائي، وهو متخصّص في مضغ الخشب، ويقوم بتحويله إلى نوع من الكرتون، ثم يبني من هذا الكرتون طرازاً هندسياً عجيباً. وهناك نمل الحصان الذي يستطيع أن يرفع أثقالاً تعادل ٥٢ ضعف وزنه، وهو ما يوازي قدرة الإنسان على رفع أربعة أطنان بأسنانه. وما نمل الحصان هذا إلا نوع من خمسة عشرة ألفاً من أنواع النمل المتعددة الألوان والأشكال، التي تعيش في كلّ بقاع الأرض.

ويوجد أيضاً النمل الفلاح، الذي يمارس الزراعة؛ إذ يزرع نبات عشّ الغراب، ويجلب له السماد من الأوراق المتعفنة، ثم يحصده عند نضجه، ويخزنه في مخازنه. ويتميز النمل الأبيض بأن جنوده تضرب برؤوسها الكبيرة جدران الأنفاق إذا شعرت بهجوم على عشها أو أيّ خطر يتهددها، فيفهم ذلك باقي أفراد النوع، وتقوم بعمل اللازم نحو حماية نفسها من الخطر المحدق بها. ويرى بعض العلماء أن النمل الأبيض هو دابة الأرض التي أكلت عصا سليمان المشار إليها في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ (سبأ: ١٤)

وتشترك كل الأنواع من النمل من حيث التركيب في ذلك الخصر الرفيع الذي يفصل بين البطن الذي يحتوي على أجهزة النمل الحيوية والصدر الذي يضم العضلات القوية التي تحرّك ستة أرجل نشيطة، وينتهي الصدر برأس كبير بالنسبة إلى حجم باقي

الجسم يحمل عينين كبيرتين وقرني استشعار دائمي الحركة يعتمد عليها النمل اعتماداً كبيراً في حياته؛ بسبب ضعف بصره الشديد، إضافةً إلى هذين الفكّين الرهيبين. ويذكر العلماء مثالاً آخر لنوع من النمل يسمى (أتا)، إذا حفرت في مستعمرته على عمق أكثر من متر وجدت في حجرة خاصة كتلاً متبلورة بنية اللون من مادة شبيهة بالإسفنج، هي في الواقع أوراق متحللة لنوع معين من النبات يسمى (الكيريزويت)، إذا دققت فيها النظر وجدت خيوطاً بيضاء رائعة من فطر عش الغراب الذي يعدّ الطعام الوحيد لهذا النوع من النمل الذي يعيش أغلبه في المناطق المدارية.

مستعمرات النمل

ذكر أحد علماء الحشرات أنه رأى مدينةً هائلةً للنمل في بنسلفانيا بلغت مساحتها خمسين فداناً، وكانت مكوّنةً من ألف وستمئة عشّ، ارتفاع معظمها قرابة ثلاث أقدام، ومحيطها اثنتا عشرة قدماً عند القاعدة. والأغلبية العظمى في أعشاش النمل توجد تحت الأرض، ويحتوي العش عادةً على عدة طوابق، وربما يصل إلى عشرين طابقاً في جزئه الأعلى، وعلى عدد مماثل من الطوابق تحت سطح الأرض، لكن طابقه الخاصّ الذي تحدده درجة الحرارة، وهو الجزء الأكثر دفئاً في العشّ، يحتفظ فيه خصيصًى لتربية الصغار. ومن مظاهر مجتمع النمل قيامه بمشروعات جماعية؛ مثل: إقامة الطرق الطويلة في مثابرة وأناة. وتحرص مجموعاته المختلفة على الالتقاء في صعيد واحد من آن إلى آخر، ولا تكتفي هذه المجموعات بالعمل نهاراً، بل تواصله ليلاً في الليالي القمرية، لكنها تلزم مستعمراتها في الليالي المظلمة.

النمل مزارع ومربٍّ ماهر

يضيف العلم الحديث حقائق جديدة عن أبقار النمل وزراعتها؛ فقد ذكر أحد علماء التاريخ الطبيعي، وهو رويال ديكنسون، في كتابه (شخصية الحشرات) أنه ظلّ يدرس مدينة النمل نحو عشرين عاماً في بقاع مختلفة من العالم، فوجد نظاماً لا يمكن أن نراه في مدن البشر، وراقبه وهو يرعى أبقاره، وما هذه الأبقار إلا خنافس صغيرة ربّاها النمل في جوف الأرض زماناً طويلاً حتى فقدت في الظلام بصرها.

وإذا كان الإنسان قد سخّر عدداً محدوداً من الحيوانات لمنافعه فإن النمل قد سخّر مئات الأجناس من حيوانات أدنى منه جنساً، ونذكر على سبيل المثال: بق النبات، تلك الحشرة الصغيرة التي تعيش على النبات، ويصعب استئصالها؛ لأن أجناساً كثيرة من النمل ترعاها. ولأن داخل المستعمرة لا يمكن أن تعيش النباتات فإن النمل يرسل الرسل لتجمع له بيض هذا البق، وتعنى به وترعاه حتى يفقس وتخرج صغاره، ومتى كبرت تدرّ سائلاً حلواً يسمّى (العسل)، ويقوم على حلبه جماعة من النمل لا عمل لها إلا حلب هذه الحشرات بمسّها بقرونها، وتنتج هذه الحشرة ٤٨ قطرة من العسل كلّ يوم، وهو ما يزيد مئة ضعف على ما تنتجه البقرة إذا قارنا حجم الحشرة بحجم البقرة. ويقول ديكنسون: إنه وجد أن النمل زرع مساحةً بلغت خمسة عشر متراً مربعاً من الأرض، قامت جماعة من النمل بحرثها على أحسن ما يقضي به علم الزراعة، جماعة زرعت الأرز، وأخرى أزالت الأعشاب، وغيرها قامت بحراسة الزراعة من الديدان. ولما بلغت عيدان الأرز نموها رأى صفاً من شغالات النمل لا ينقطع يتجه إلى العيدان فيتسلقها إلى حب الأرز، فتنزع كلّ شغالة من النمل حبة، وتنزل بها سريعة إلى مخازن تحت الأرض.

أقدم نملة على الأرض

لا يرى النمل بعينيه، وإنما يرى بقرونه الاستشعارية، وأثبت العلم وجود لغة خاصة يتفاهم من خلالها النمل ويتواصل حتى عن بُعد. وليس للنمل رئة، إنما يتنفس من خلال ثقوب منتشرة على كل أجزاء جسمه، ويقوم بتنظيف هذه الثقوب بمخالبه الموجودة على نهايات أقدامه الست. واكتشفت عام ١٩٩٨م أقدم نملة على وجه الأرض تم اكتشافها في جحر بأمريكا، وعمر هذه النملة ٩٢ مليون سنة، وقد عاشت هذه النملة في عصر الديناصورات، وسبحان الله ديناصور يزن عشرات الآلاف من الكيلوجرامات هلك وانقرض، لكن نملة لا تزن إلا جزءاً من الجرام باقية تتكاثر كلّ هذه السنين.

ماذا نتعلم من النمل.

يفكر النمل في الشتاء؛ لذلك يجمع طعام الشتاء طوال فصل الصيف، ويخرج النمل في أول يوم دافئ. ونستخلص من تصرّفات النمل أنه على الإنسان ألا يستسلم أبداً، وأن يفكر في المستقبل، وأن يكون إيجابياً، وأن يفعل كلّ ما يستطيع فعله عندما يكون قادراً.

(*) يراجع في ذلك كتاب (شخصية الحشرات)، رويال ديكنسون.



برسالة SMS فارغة إلى رقم

5055

تساهم بكفالة يتيم

5055

قيمة الرسالة 10 ريال

موبايلي mobily

STC الاتصالات السعودية

ZAIN



للتبرع أو الاستفسار يرجى الاتصال على الرقم الموحد ٩٢٠٠٠١١٣٣

www.ensan.org.sa

مصرف الراجحي	١٦٤٦٠٨٠١٠٠٠٠١٩٠	بنك الرياض	٢٠١١٦٩٣٠٤٩٩٠١	البنك الأهلي التجاري	٢٢٣١٩٠٠٠٠٠٠٠٠٢٠٠
مصرف الإنماء	٦٨٢٢٠٠٠٢٠٠٠٠٠٠	بنك ساب	٠٢٠٠٠٩٩٩٩٠٤٧٢	البنك السعودي الفرنسي	٧٧٩٦٤٠٠٠١٦٣
مجموعة سامبا المالية	٩٩٠٧٠٠٤٧٥٨	بنك البلاد	٩٩٩٣٣٣١١١١٠٠٠٥	البنك العربي الوطني	٠١٠٠٨١١٧٤٠٠٠٠٠



Disabled Children's Association





